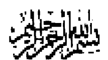

الفيصل
مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٦٠ - جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ - يوليو ٢٠٠٦م
ALFAISAL MAGAZINE - NO. 360 - July 2006
ناطحات السحاب جسور الأرض التي تعانق السماء
الأزهر وحليفته الجديدة بين التراث والحداثة
الغرب وحق الآخرين في الهجرة

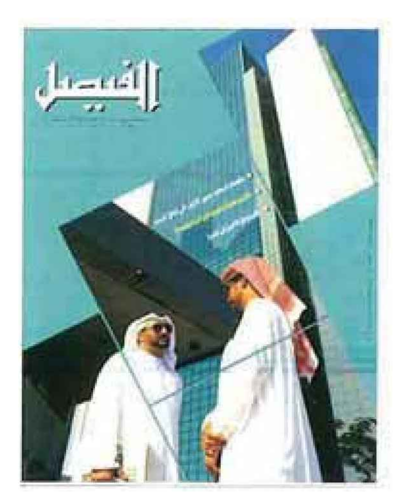






مجلة ثقافية شهرية ـ العدد ٣٦٠ ـ جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ ـ يوليو ٢٠٠٦م
ALFAISAL MAGAZINE - No 360 -July 2006

استطلاع	الأزهر وحديقته الجديدة بين التراث والحداثة	نزار طه شاهين	٦
قضايا معاصرة	الغرب وحق الآخرين في الهجرة	الحسن طه سعيد جالو	١٨
تعليم	النموذج البريطاني في تقويم جودة البحث والتدريس	وليد محمود الشارود	٤٠
مترجمات	قصة أحد الرهبان في تركيا	ترجمة: سهيل صابان	٤٨
عمارة	ناطحات السحاب: جسور الأرض التي تعانق السماء	خالد خلف زيدان مهني	٥٨
فنون	المقامات ومسرح خيال الظل	نور الدين عمرون	٧٢
قصائد	دوران	مصطفى رجب	٨٨
	لم أبح به	شوقي محمد أبوناجي	٩٠
	شطرنج	عبدالله سعد اللحيدان	٩١
قصص قصيرة	القندلفت	ترجمة: وفيق كريشات	٩٢
	امرأة حقيقية	موسى بن عبدالله بن موسى البوكري	٩٨
رحلة في كتاب	معركة نقدية حول شعراء عسير	عبدالرحمن بن حسن المحسني	١٠٠
حوار	الدكتور أنطونينو بوليتيري: وسائل الإعلام تفضل التمييط على الموضوعية	حسين حسن حسين	١١٠
المسابقة			١٢٠
الملف الثقافي			١٢٣
خاتمة المطاف	تأثيرات التقنية في الشباب	عوض بن خزيم آل سرور الأسمري	١٤٢



ناطحات السحاب: جسور الأرض التي تعانق السماء

يحاول الإنسان منذ القدم إبراز قوته وقدرته على تجسيد طموحه، وتحويله إلى واقع ملموس، يتجاوز به حضارات سابقيه، ويفاخر به حاضره ومستقبله، وتعدُّ العمارة من أهم العناصر الحضارية التي يعمل الإنسان على تطويرها دائمًا، وفي العصر الحديث أبدع أروع نماذج العمارة قيمة ونفعًا، ألا وهي ناطحات السحاب العملاقة.

إدارة التحرير

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير

حسين حسن حسين

محسن بن حمد الخرابة

نايف بن مارق الضيط

حوى النبي علي صالح

الإخراج الفني:

الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ .

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ . ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ . ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢

ردمد ١١٤٠ . ٠٢٥٨

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر، ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.

ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات . الكويت ٨٠٠ فلس . الإمارات ١٠ دراهم . قطر ١٠ ريالات . البحرين دينار واحد . عُمان ريال واحد . الأردن ٧٥٠ فلس . اليمن ١٠٠ ريال . مصر ٤جنيهات . السودان ١٥٠ دينارًا . المغرب ١٠ دراهم . تونس ٢٥٠٠. ١دينار . الجزائر ٨٠ دينارًا . العراق ٨٠٠ فلس . سورية ٤٥ ليرة . ليبيا ٨٠٠ درهم . موريتانيا ١٠٠ أوقية . الصومال ٢٠٠٠ شلن . جيبوتي ١٥٠ فرنك . لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية . الباكستان ٢٠ روبية . المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد .

الموزعون

السعودية . الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع . هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر . مؤسسة توزيع الأهرام . شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ . فاكس ٣٣٩١٠٩٦ . ٢٠٢... سورية . المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ . ١١، ٠٠٩٦٣ . تونس . الشركة التونسية للصحافة . ٣نهج المغرب . ص.ب ٧١٩، فاكس ٧١٢٣٢٠٠٤/ هاتف ٣٢٢١٩٩ . ٧١ . ٠٠٢١٦ . قطر . دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع . ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ . فاكس ٤٦٦١٨٦٥ . ٠٠٩٧٤ . الأردن . شركة وكالة التوزيع الأردنية . ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ . فاكس ٤٦٣٥١٥٢ . ٦، ٠٠٩٦٢ . البحرين . مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ٥٢١٢٨١ . ٠٠٩٧٣ . الإمارات العربية المتحدة . مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ . فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ . ٤ . ٠٠٩٧١ . الكويت . شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ . فاكس ٢٤١٧٨٠٩ . ٠٠٩٦٥ . المغرب . الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٢٢ . ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٢، الجمهورية اليمنية . القائد للنشر والتوزيع ت: ٣/ ٢٠١٩٠١ . ٣ . ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧







صحة العقول

كم هو رائع وجميل أن نرى مجلة الفيصل عملاقة وقوية الأداء، مواصلة الصمود، تنافس المجلات العالمية، وتحتل المرتبة الأولى في الدولة العربية، وتبعدنا عن مشكلاتنا اليومية المتواصلة، وهمومنا الدائمة المتراكمة، وتجيب عن استفساراتنا الجميلة والمتغيرة مع تغير الزمن، وأسئلتنا القوية التي نجد لها حلاً سريعًا كسرعة الثانية عندما تمر. «الفيصل» تتميز بقرائها المميزين بموضوعاتهم، المبدعين بكلماتهم العجيبة والفريدة، الذين يمتدون من الشرق إلى الغرب، ومن الجنوب إلى الشمال على أوطاننا العربية العريقة، والوصول إليهم في الأوقات المتفق عليها، إن مجلة الفيصل لهذا الوطن العربي كله، من الخليج شرقًا، إلى المحيط غربًا، ومن حلب شمالاً، إلى المكلا وجوبا جنوبًا. والفيصل للفكرة العربية الخالصة، وهي لكل ما يتمخض عن الفكرة العربية من معان، فهي ضد الجهل، ومع المعرفة، في هذا الوطن العربي كله، وهي ضد المرض، ومع الصحة. ومن الصحة صحة العقول. «الفيصل» هذه المجلة الحديثة بتطور الثقافة الدائمة التي تشكل جزءًا أساسيًا من عالم الصحافة الثقافية لكي تربط كل فرد من أفراد الوطن العربي. هذه المجلة الرائدة باسمها، العالية بأبنائها وقرائها، منافسة بسطورها وكبيرة ومستمرة بفصاحتها العربية. «الفيصل» تتزين وتتجدد يومًا بعد يوم، أسبوعًا بعد أسبوع، شهرًا بعد شهر. مجلة «الفيصل» أعطتنا، وأسعدتنا كثيرًا عندما نمسكها نشعر بارتياح تام، ونحسّ بلونها الجميل الذي يشكل ألوان قوس قزح السبعة الرائعة. «الفيصل» في كل شهر نتطلع إليها بشوق وفرح وحماسة، وجسر متواصل دائمًا، ونهر عذب لا ينضب أبدًا ....

علاء سالم مهران سالم

أسيوط - مصر

التحرير:

نشكر لك هذا الإطراء، ونأمل أن تكون المجلة عند حسن ظن كل الإخوة القراء، ولا شك أن هذا لن يكون إلا بمزيد من الملاحظات والاقتراحات القيمة التي تعين على تجويد الأداء وتلبية الرغبات، نكرر لك الشكر.

اقتراحات

أكتب إليك رسالتي هذه؛ لأنني من أشد المعجبين بمجلة الفيصل، تلك المجلة الرائعة، التي أنتظرها بصبر يكاد ينفد كل بداية شهر لكي أقتنيها، وأتصفح كل صفحة فيها من بدايتها إلى نهايتها، وأستفيد من موضوعاتها المتعدده، وأحب أن أشكر كل من يعمل بالمجلة، ويساهم في إخراج تلك المطبوعة الثقافية الرائعة، وشكرًا مرة ثانية، واسمحوا لي أن أعرض بعض الاقتراحات (الأفكار) لتطوير المجلة، وهي:

- يجب أن تكون أسئلة المسابقة الثقافية ليست بتلك الصعوبة إذ إنها أسئلة صعبة جدًا، وأتعب جدًا في الوصول إلى إجاباتها، وكذلك معظم أصدقائي من قراء المجلة،

وأحيانا لا نستطيع الإجابة عنها، فيجب أن تكون الأسئلة من الموضوعات التي تنشر بالمجلة، ويمكن البحث عن الإجابات داخل المجلة أو إرجاع الاختيارات من إجابات الأسئلة، كما كان ينشر من قبل في الأعداد السابقة.

- من الممكن أن يصدر مع المجلة كتاب لأحد الكتاب الكبار ويكون موضوعه يتضمن النواحي العلمية والثقافية؛ وذلك هدية لقراء المجلة في جميع أنحاء الوطن العربي.

- ارجو إلقاء الضوء على أخطر الزواحف الموجودة في الأرض، وهي تنتمي إلى فصيلة الثعابين، وهي اخطر انواع الثعابين واشرسها واسمها، وهي (الطريشاء)، وهي موجودة في مصر فقط، كما سمعت، وخاصة في صعيد مصر، وفي الصحراء، فأرجو ذكر المعلومات كافة عن تلك الزاحفة، وصور لها، إن أمكن، حفظنا الله منها، ومن سمومها.

وفي نهاية رسالتي أتوجه بالشكر مرة ثانية إلى كل من يعمل بالمجلة، وأتمنى أن توافقوا على الأفكار لتطوير المجلة ومزيداً من النجاح والتطوير بإذن الله وفي نهاية رسالتي لكم مني كل تحية وتقدير، والسلام ختام.

محمد عبدالهادي

محافظة قنا - مصر

التحرير:

نشكر لك اقتراحاتك وملاحظاتك، وسوف تؤخذ في الحسبان، والموضوع الذي اقترحته سوف نكلف احد كتاب المجلة في مصر لإعداد استطلاع مصور عنه، ومرحبًا بك، وبزملائك وأصدقاء المجلة.

ردود سريعة

الأخ حسام فتحي - الرياض - السعودية:

نشكر لك إطراءك، ونأمل تواصلك، ونبارك لك وأنت مقدم على حياة جديدة، كما تقول.

ونفيدك أن استطلاعات المجلة تشتمل كل العالم، ولا تقتصر على بلد دون آخر، وإذا تناولت أعداد المجلة التي تقول إنك تحرص على اقتنائها فستجد هذا الأمر واقعًا، ونتمنى لك التوفيق ونأمل تلقي المزيد من آرائك ومشاركاتك.

الأخ ياسر فضل المولى - الخرطوم - السودان:

اقتراحك لإيجاد باب للخدمات عن أحدث الأجهزة الإلكترونية وغير ذلك، يصعب علينا تحقيقه، وهو يتناسب مع الصحيفة اليومية، إلى جانب تنوع قراء الفيصل، وتعدد البلدان التي ينتمون إليها؛ مما يجعل صعبًا أن يلبي هذا الباب رغبات الجميع.

الأخت سناء أحمد مرسي - أستراليا:

كنا نتمنى ان تصل إليك أعداد المجلة، ولكن الأفضل للحصول عليها هو الاشتراك، الذي يضمن وصول العدد إليك فور صدوره، ونشكر لك هذا الحرص، ونأمل في استطلاع مصور من أستراليا وفق سياسة التحرير التي تعرفينها جيدًا من خلال متابعتك.

الأخ فيصل حسن الزين - الرياض - السعودية:

هناك ملف متكامل عن الحكومة الإلكترونية سوف ينشر في عدد قريب، كما أن اهتمامك بالجديد في عالم الحاسوب كبير، وتهتم «الفيصل العلمية» بهذا الموضوع بشكل أكثر من خلال إسهامات مختصين، فمرحبًا بمشاركاتك وإسهاماتك في هذا المجال وغيره.



الأزهر وحديقته الجديدة بين التراث والحداثة

نزار طه شاهين

مصياف - سورية

«إن أملي في أن تصبح حديقة الأزهر موردًا رئيسًا جديدًا للزوّار، ولسكان القاهرة، يفسح المجال لرؤية ومشاهد جديدة تطل على المعالم التاريخية المحيطة بهذه المنطقة الفريدة. كما أود أن أعبر عن أملي في أن يفاخر سكان القاهرة القديمة بهذه الحديقة، وأن تحفزهم مشروعات إنشاء الحديقة، وترميم الجدار التاريخي إلى أن يساهموا في أعمال إحياء منطقة الدرب الأحمر، ومعالمها التاريخية وساحاتها».

(الأغاخان)

تم الافتتاح الرسمي لحديقة الأزهر في ٢٥/٣/٢٠٠٥م بحضور الأغاخان، وعقيلة الرئيس المصري حسني مبارك، ووزير الثقافة فاروق حسني. وتزامن مع الافتتاح ندوة بعنوان: (الحديقة العامة كحافز على الإحياء العمراني) شارك فيها خبراء على مستوى عال في مجال أعمال الترميم، وتصميم المناظر الطبيعية، وقضايا البيئة، وتضمنت الندوة محاور أخرى، كما تضمنت التحدي الذي رافق إنشاء الحديقة، وأعمال الترميم للجدار الأيوبي المجاور



للحديقة، وثلاثة ابنية(جامع السلطان شعبان، ومجمع خاير بك، ومدرسة درب الشغلان).

الجامع الأزهر

تتنوع انماط العمارة الإسلامية حسب التطور التاريخي الذي مرت به هذه العمارة واتساع رقعة العالم الإسلامي إلا أن العامل الديني، وهو الإسلام نفسه، كان روح هذه العمارة، على الرغم من تنوعها وأساليبها، وأحيانا المحلية التي طرأت عليها، وخاصة على حدود العالم الإسلامي المجاور لحضارات لها خصوصيتها في العمارة، وتعدّ العمارة الإسلامية الفاطمية جزءًا لا يتجزأ من العمارة الإسلامية بعمومها. ولعل أهم ما خلفه الفاطميون من عمارة، كإرث إسلامي في مصر، مجموعة من المساجد، والأضرحة، والأسوار، والأبواب، ويكفي أن نعرف أن ما يقارب ثلث المدن التاريخية المسجلة في قائمة اليونسكو لمواقع التراث العالمي موجودة في العالم الإسلامي، ويواجه بعضها خطر الزوال بسبب

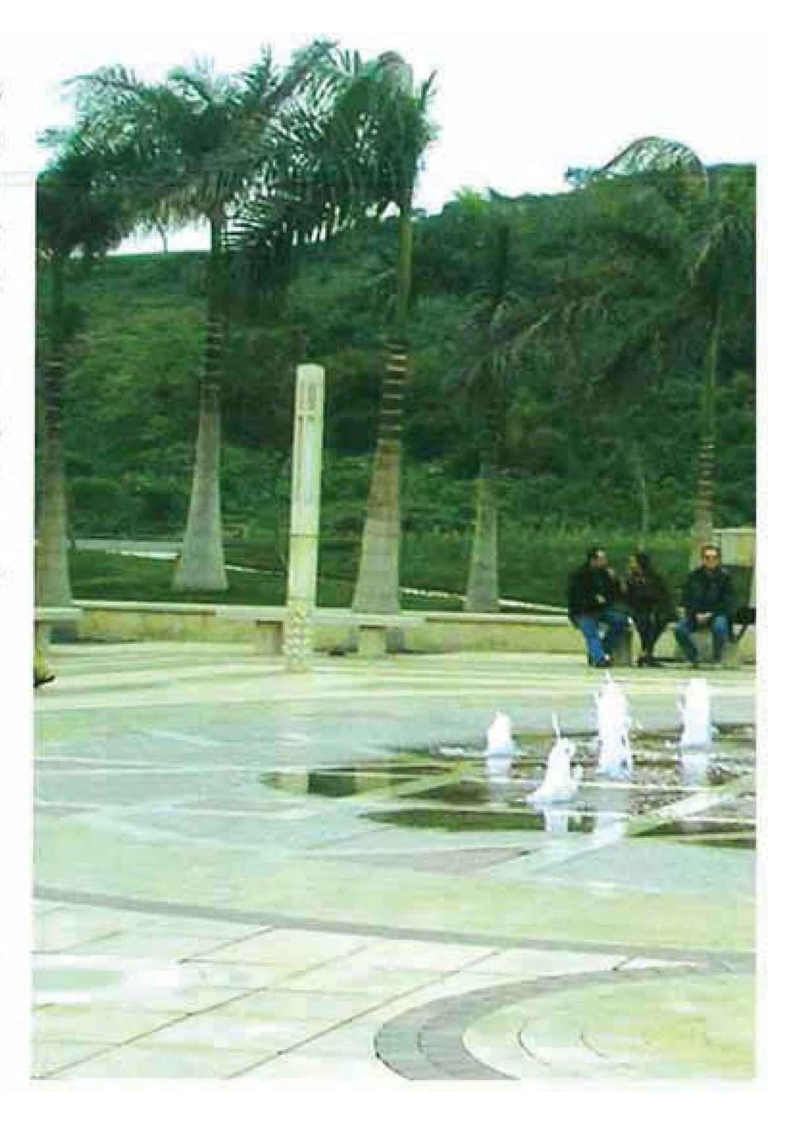


الإهمال، أو عدم التنبه لها، كإرث إنساني وحضاري يجب المحافظة عليه، وإحياؤه وتطويره دون المساس ببنيته المعمارية. وقد وضع مؤتمر (البندقية) شروطاً لإحياء التراث المعماري العالمي، حدّد فيه الكيفية التي يتم بها ذلك. وتعدّ حديقة الأزهر الجديدة استكمالاً واستمراراً للعمارة الإسلامية، وتطويراً لها. وقد استُلهمت العمارة الإسلامية في هندسة المنشآت

بعد فتح الفاطميين لمصر بعام قام جوهر الصقلي ـ قائد جند أبي تميم معد ـ ببناء الجامع الأزهر في مدينة القاهرة؛ ليصلي به الخليفة. وهو أول جامع بني في مدينة القاهرة. وأقدم أثر فاطمي إسلامي بمصر مازال يحتفظ ببنيته المعمارية

الخدمية في الحديقة وتصميمها، كالمطعم، مثلاً، الذي اختير له مفردات العمارة الإسلامية، سواء الأعمدة أو الأروقة أو الأقواس، حتى الحديقة روعي أن تكون المساحات فيها ضمن إطار البستان الإسلامي التقليدي، وقد تم الربط بين هندسات الحديقة وتصاميمها، والعمارة المجاورة لها، وهي تقع في أكثر المناطق الإسلامية غنى بالفن والعمارة، في مدينة القاهرة، وتجاور أهم المساجد الإسلامية، ليس كمركز ديني ومعرفي، بل كمركز للعمارة شاركت فيه بعد الفاطميين متوالية من الهندسات الإسلامية توسعة وتطويراً؛ إنه الجامع الأزهر الذي سنتعرض له تاريخاً وعمارة، ثم إلى حديقته الجديدة.

بعد فتح الفاطميين لمصر بعام قام جوهر الصقلي - قائد جند أبي تميم - معد ببناء الجامع الأزهر في مدينة القاهرة، ليصلي به الخليفة، وهو أول جامع بني في مدينة القاهرة، واقدم أثر فاطمي إسلامي بمصر، مازال يحتفظ ببنيته المعمارية، والأرجح أنه سمي الأزهر تيمنًا بفاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، وإشادة بذكرها، وقد بدئ البناء به سنة ٣٥٩هـ/٩٧٠م، وأقيمت أول جمعة به سنة ٣٦١هـ/ ٩٧٣م، بني المسجد جنوب شرق المدينة على مقربة من القصر الكبير، وقد كتب جوهر بدائرة قبته نقشاً تاريخه ٣٦٠هـ، إلا ان هذا النقش اختفى مع تطوير المسجد.



في العهد العثماني قام ولاة الدولة العثمانية بإضافات جديدة، كالأروقة والزوايا، وفي عهد (عبد الرحمن كتخدا) زيدت مساحة الجامع بنسبة كبيرة، وتمت عمارة أبواب جديدة لعل أهمها باب (المزينين)، وهو الباب الرئيس للجامع حاليا

المخطط المعماري للجامع

يشكل الجامع مستطيلاً يتكون من صحن أوسط، وثلاثة إيوانات تحيط به، الإيوان الشرقي يتكون من خمسة اروقة، أما الشمالي والجنوبي فيتكون كل منهما من ثلاثة أروقة، والإيوان الغربي من دون

اروقـة: لأن المدخل الرئيس للجـامع يتـوسطه، وقـد ارتفـعت فـوقـه مـئـذنة الجـامع. امـا الإيوان الشـرقي فكان يقسمه مجاز يتوجه إلى المحراب، يرتفع سقفه وعقوده عن مستوى ارتفاعات الإيوان، ويعلو المحراب قبـة فـاطمـيـة، حل مـحلّهـا بعـد ذلك قبـة تعـود إلى المرحلة المملوكيـة. ومن المرجح أن يكون بطرف هذا الإيوان قـبـتـان اندثرتا. كـان للجـامع ثلاثة أبواب من الجهات الجنوبية والشمالية والغربية.

تعرض الجامع لزلزال، ثم جددت عمارته في سنة ٧٢٥ هـ على يد محتسب القاهرة، سقطت منارته في سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٨م، فـــشـــيـــدهـا في الحـــال السلطان(بـرقـوق)، ثم سـقطت مـرتين بعـد ذلك في سنة ٨١٧هـ/١٤١٥م، وفي سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٤م، وكـان يعاد إصلاحها في كل مرة.

أحد المطاعم المميزة في الحديقة



تعدّ حديقة الأزهر الجديدة استكمالاً واستمراراً للعمارة الإسلامية، وتطويراً لها، وقد استُلهمت العمارة الإسلامية في هندسة المنشآت الخدمية في الحديقة وتصميمها، كالمطعم، مثلاً، الذي اختير له مفردات العمارة الإسلامية، سواء الأعمدة أو الأروقة أو الأقواس، حتى الحديقة روعي أن تكون المساحات فيها ضمن إطار البستان الإسلامي التقليدي

لم يبق الجامع على شكله الأولي، بل حدثت تطورات بفعل الزمن، وتغيرات وإضافات، بدأت بالعصر الفاطمي، إذ لم تمض فترة على بنائه حتى قام الخليفة (العزيز بالله بن المعز) بأعمال تكميلية

تحفّ الحديقة أشجار الزينة والخضرة



للجامع، ثم جدّده ثالث الخلفاء الفاطميين (الحاكم بأمر الله) سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، وأوقف عليه عدة أوقاف، ولم يبق من أثر لهذا التجديد سوى باب خشبي يحمل زخارف خشبية محفوظ بدار الآثار العربية في القاهرة، وبعد ذلك قام الخليفة -(الآمر بأحكام الله) سابع الخلفاء الفاطميين بصناعة محراب من الخشب، متنقل، تعلوه كتابة كوفية، ونقوش زخرفية، وهو محفوظ بدار الآثار العربية بالقاهرة أيضًا. وفي عهد الخليفة (الحافظ لدين الله) تم إضافة رواق أحاط بصحن الجامع من جهاته الأربع، وتمت إقامة قبة على مقدمة المجاز القاطع. حلّيت هذه القبة بزخارف جصية من الداخل، وطرز من الكتابة الكوفية المشتملة على آيات قرآنية. أما ما تبقى من الأعمال الفاطمية البارزة في الجامع فهي الزخارف والكتابات الكوفية، التي ترجع إلى عهد إنشاء الجامع، وعقود المجاز وزخارفها، والشبابيك الجصية المفرغة و(المصمتة) حاليًا، وما يحيط بها من الكتابات والزخارف التي حولها، وهذه بقيت في الناحية الجنوبية والشمالية. وهذا ما يوضح حدود الجامع الأصلية. وفي عام ١٩٣٣م تم الكشف عن المحراب القديم للجامع من قبل الأثري حسن عبد الوهاب.

بعد المرحلة السابقة توالت أعمال التجديد على الجامع، إذ اهتم به المماليك؛ فالأمير (عز الدين ايدمر) قام بتجديد الجامع وإصلاحه بعد أن لحقه الإهمال طوال الفترة الأيوبية، وأُلحقت به مدرستان، هما المدرسة (الطيبرسية) وذلك سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م، ويعدّ محرابها الرخامي من أهم المحاريب لتناسب أجزائه، ودقة صناعته، وتجانس ألوان الرخام، وتنوع رسومه، وما احتواه من فسيفساء

مذهبة، ازدانت بها توشيحات عقده. والمدرسة (الأقبغاوية) سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٤٠م. و تلتهما مدرسة ثالثة عرفت بالمدرسة (الجوهرية) سنة ٨٤٤هـ/١٤٤٠م، وأهم عمارة تلت ذلك بالنسبة إلى الجامع هي التي قام بها السلطان (قايتباي) خلال سنوات حكمه، إذ تم تجديد الباب الغربي الكبير، وأقيمت عليه مئذنة. وفي عهد السلطان (الغوري) تم بناء مئذنة ضخمة للجامع ذات رأس مزدوج، ومن ميزات هذه المئذنة أن لها سلمين يبتدئان من الدورة الأولى، ويتلاقى الصاعدان عليهما عند الدورة الثانية، بحيث لا يرى أحدهما الآخر.

أما في العهد العثماني فقد قام ولاة الدولة العثمانية بإضافات جديدة، كالأروقة والزوايا. وفي عهد(عبد الرحمن كتخدا) زيدت مساحة الجامع بنسبة كبيرة. وتمت عمارة أبواب جديدة لعل اهمها باب (المزينين)، وهو الباب الرئيس للجامع حاليًا. وفي زمن أسرة محمد علي باشا تمت تجديدات وإصلاحات في الجامع، وتم إنشاء مكتبة الأزهر حيث أودعت بها نفائس الكتب والمخطوطات العربية الإسلامية. وبجامعته بفروعها أصبح الأزهر ليس مكانًا دينيًا، وإنما مركز إشعاع علمي ومعرفي، وحضاري.

تعرض الجامع لزلزال، ثم جددت عمارته في سنة ٧٢٥ هـ على يد محتسب القاهرة. وسقطت منارته في سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٨م. فشيّدها في الحال السلطان(برقوق). ثم سقطت مرتين بعد ذلك في سنة ٨١٧هـ/١٤١٥م. وفي سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٤م. وكان يعاد إصلاحها في كل مرة



حديقة الأزهر الجديدة

جهة المشروع

(مؤسسة الأغاخان للثقافة)

تقوم مؤسسة الأغاخان للثقافة، من خلال برنامج دعم المدن التاريخية، بجهود مباشرة، تهدف إلى إحياء التجمعات الحضرية التاريخية في العالم الإسلامي، أو الحفاظ على المعالم الأثرية وترميمها، وتطوير التجمعات السكنية في الأماكن التاريخية بمشاركة السكان، ومساعدة السلطات المحلية على إعداد الخطط الإستراتيجية للحفاظ على المواقع التاريخية وتطويرها. وتدريب الكوادر الوطنية، وضمن هذا التوجه أعلن سمو الأغاخان عن قراره بتمويل إنشاء حديقة لسكان القاهرة؛ وذلك خلال الندوة التي أقيمت حول كيفية التعامل مع النمو الحضري لمدينة القاهرة في عام ١٩٨٤م.

الموقع

تم اختيار موقع الحديقة من خلال دراسة الأماكن المحتملة لقيام هذا المشروع، وهذا الموقع هو منطقة كانت تستخدم (كمكب) لمعظم نفايات القاهرة، وهو على شكل تلال تقع على الطرف الشرقي للمدينة، وهذه التلال ستبلغ مساحتها بعد إنجاز الحديقة (٣٠٠) دونم، ويبلغ ارتفاعها (٤٠) متراً عن مستوى الأماكن المسكونة لتشكل مشهداً بانورامياً ترى من خلاله المدينة القديمة بخصائصها المعمارية.

خصائص الموقع وتحدياته

سلم محافظ مدينة القاهرة موقع الحديقة إلى مؤسسة الأغاخان بموجب بروتوكول موقّع من الطرفين يتضمن شروط العمل في الحديقة والاستثمار بها، والزمن التقديري لإنجاز المشروع، وبعض الجوانب الفنية الأخرى المتعلقة بالمشروع وإنجازه.

بيّن المسح الأولي للموقع إمكانية وجود عراقيل ومفاجآت محتملة أمام المشروع، وهذا أفضى إلى القيام بعمليات سبر اقتضت إزالة ما يزيد على(١,٥) مليون متر مكعب من التربة والنفايات؛ أي: ما يعادل حمولة (٨٠) ألف عربة نقل، وفي أثناء الحفريات في الطرف الغربي من الحديقة، وبعمق يقارب الخمسة عشر مترًا تم الكشف عن جدار يبلغ طوله (١,٥كم) كيلومترًا ونصف الكيلومتر بكامل أجزائه تقريبًا، ويحتوي على (١٥) برجًا وحصنًا دفاعيًا، وفتحات رماية، وبوابتين تم ترميمهما وفتحهما وربطهما بمنطقة الدرب الأحمر، وهذا الجدار السور يعود إلى المرحلة الأيوبية؛ أي: إلى القرن الثاني عشر، وقد وضعت مؤسسة الأغاخان للثقافة خطة عمل لترميم الجدار، وفق معايير الترميم الدولية، وسيكون امتداد الجدار مجالاً للزيارة والمشاهدة بعد الانتهاء من ترميمه، ومن المحتمل الانتهاء من ترميمه بحدود عام ٢٠٠٧م، كما تبين أن تربة الموقع غير صالحة للزراعات المزمع تنفيذها بأنواعها المختلفة، بسبب ملوحة التربة العالية، وهذا اقتضى تغيير في بنية التربة وخصائصها، وتكوين بنية جديدة مؤلفة من التراب والرمل، تراوحت سماكتها بين ٥ر٠ و ٢م، ولما كان ذلك يؤدي إلى انزياح وتخلخل في التربة الجديدة، نتيجة تسرب مياه السقاية، فقد تم وضع سماكة من الطمي بلغت حدود نصف المتر؛ وهذا يؤدي إلى تثبيت التربة، والاحتفاظ بمياه السقي، ومنع تسربها. كما أن خصوصية المناخ للمنطقة (جفاف ورياح صحراوية) أوجب اختيار أنواع الزراعات، التي ستكون صالحة للنمو في مثل هذه البيئة من خلال المستنبتات التي انتجت أكثر من مليوني شجرة ونبتة، زرع منها (٦٥٥٠٠٠) في الحديقة.

وتم تضمين الحديقة ثلاثة خزانات ضخمة احتياطية

للمياه العذبة بلغ قطر الواحد منها (٨٠) متراً، وعمقه (١٤) متراً، حتى تستفيد منه مدينة القاهرة.

وأنشئ نظام حديث للري من خلال شبكة بلغ طولها عشرة كيلومترات، اعتمد فيها نظام الري والتنقيط: وذلك حسب احتياج الزراعات، وعن طريق محطة تقوم بحساب الاحتياج على أساس درجات الحرارة والرطوبة.

يجاور الحديقة حي الدرب الأحمر، وهو من أشد أحياء القاهرة فقراً واكتظاظاً، إلا أنه يحوي على بعض الأماكن الأثرية المهمة، التي هي بحاجة إلى ترميم، وإعادة تأهيل، وهي جامع أم السلطان شعبان، الذي يعود بنائه إلى القرن الرابع عشر، ومجمع خاير بك، وهو يتضمن (جامعاً ومنزلا عثمانياً يعود إلى القرن الثالث عشر) وأيضاً مدرسة درب الشغلان، حيث تقوم المؤسسة بعمليات الترميم، وهذا قاد أيضاً إلى عملية تأهيل للبيوت القريبة من الحديقة لتتناسب مع الحياة الجديدة لسكان الحي، وتبلغ نسبة البيوت المؤهلة خمسين بيتاً في العام، ويستمر التأهيل من قبل المؤسسة حتى عام ٢٠٠٧م، وتعاد هذه البيوت إلى مالكيها، وتساعد خطة إقراض ميسرة من قبل المؤسسة السكان على إعادة تأهيل بيوتهم، أو ترميم البيوت المتهالكة. وتقوم المؤسسة بتحسين الساحات العامة، وكيفية استخدام هذه


إطلالة من الحديقة على القاهرة





قدمت محافظة القاهرة الإمكانات لتنظيف الأماكن المحيطة بالجدار الأيوبي، ومحيط الحديقة، وإزالة الإشغالات التي تشوه المنطقة، وتمت عملية الرصف والإنارة بالأسلوب التاريخي القديم، كما تم بناء مركز خدمي طابقي بمحاذاة الحديقة يتسع لـ (٤٠٠) سيارة

تقوم مؤسسة الأغاخان للثقافة، من خلال برنامج دعم المدن التاريخية، بجهود مباشرة، تهدف إلى إحياء التجمعات الحضرية التاريخية في العالم الإسلامي، أو الحفاظ على المعالم الأثرية وترميمها، وتطوير التجمعات السكنية في الأماكن التاريخية بمشاركة السكان، ومساعدة السلطات المحلية



الطابع العربي الإسلامي يغلب على تصميم الحديقة ومرافقها

الساحات من قبل السكان لتحسين المنطقة وتجميلها؛ وذلك لجلب الزوار والسيّاح ومن ثم استثمار علاقة هذه الساحات بالمحيط، كمداخل الحديقة، ومداخل الجدار التاريخي، ورصف الشوارع والساحات، وتحسين واجهات المحال التجارية لخلق تأثيرات تتعلق بجذب الزوار، وتنمية السياحة. وقد قدمت محافظة القاهرة الإمكانات لتنظيف الأماكن المحيطة بالجدار الأيوبي، ومحيط الحديقة، وإزالة الإشغالات التي تشوه المنطقة، وتمت عملية الرصف والإنارة بالأسلوب التاريخي القديم، كما تم بناء مركز خدمي طابقي بمحاذاة الحديقة يتسع لـ (٤٠٠) سيارة.

تصميم الحديقة وهندستها

اعتمد تصميم الحديقة على الأساليب الإسلامية في تصميم الحدائق والفسحات، واعتمدت الزخرفة الإسلامية الفاطمية في بعض المنشآت الخدمية، ومجازات السير، وكون العمل وُكِل إلى مختصين، فقد أنجز بشكل غير متوقع. وقد استخدم الرخام المصري في مجمل التشكيلات المعمارية، سواء البناء أو الأرضيات والمجازات، ويذكرنا كثرة استخدام المياه في الحديقة بحدائق الأندلس، يخترق الحديقة محور رئيس للتنزه أطلق عليه محور النخيل، إذ تحف طرفيه أشجار النخيل، وتتوزع مقاعد الاستراحة على جانبيه، وعلى امتداده توجد النوافير وسواقي المياه، وتشكيلات هندسية إسلامية، وتشكيلات من الأزهار والنباتات لتوفير الظل، يرتبط المحور الرئيس بمحاور أخرى تربط بقية الحديقة

منظر عام للحديقة





الجامع الأزهر

تم الافتتاح الرسمي لحديقة الأزهر في ٢٠٠٥/٣/٢٥م بحضور الأغاخان، وعقيلة الرئيس المصري حسني مبارك، ووزير الثقافة فاروق حسني. وتزامن مع الافتتاح ندوة بعنوان: (الحديقة العامة كحافز على الإحياء العمراني) يشارك فيها خبراء على مستوى عال في مجال أعمال الترميم، وتصميم المناظر الطبيعية، وقضايا البيئة

به، ويتوسط الحديقة مطعم في قمتها مساحته (٤) دوانم، وتشغل البحيرة الصناعية مساحة تقدر بـ (٦٠٠٠) متر مربع، ويطل عليها مقهى يشغل (١,٥) دونمًا ونصف الدونم، وعدا قيمتها الجمالية لها قيمة استعمالية، إذ تستخدم مياهها لري الحديقة، كما يوجد في أعلى الحديقة مساحة للإطلال على المدينة التاريخية، كما خصصت مساحة لألعاب الأطفال، ومسرح مفتوح لتقديم الحفلات الموسيقية التراثية والعالمية، ومساحة لإقامة المعارض الفنية والرسم.

وقد ترافق مع إنشاء الحديقة إيجاد فرص عمل لسكان الحي، وإقامة ورشات تدريب مهني في قطاع الترميم، وأعمال البناء والخشبيات، وإنتاج البضائع السياحية، وقد انخرط السكان في عملية التأهيل من خلال القروض الصغيرة التي قدمتها المؤسسة لتكوين ورشات عمل، تشكل دخلاً دائماً للسكان؛ بغية تطوير حياتهم وبيئتهم الاجتماعية، وقد تم تأهيل بناء يقع قرب الحديقة، وتم تحويله إلى مركز اجتماعي؛ وذلك بغية تقديم خدمات صحية، واستشارات تربوية وعائلية، وهكذا تحولت المنطقة من مكب للنفايات، عمره مئات السنين، إلى جنة خضراء، ومكان للعيش المحترم.

المراجع

١- المقريزي، اتعاظ الحنفا.

٢- عمر رضا كحالة، الفنون الجميلة في العصور الإسلامية.

٣- دافيد تابوت رايس.. ترجمة د. منير صلاحي الأصبحي، الفن الإسلامي.

٤- موقع وزارة الأوقاف المصرية على شبكة الإنترنيت.

٥- موقع مؤسسة الأغاخان: http://www.akdn.org

٦. تقرير الأرض - BBCW

٧. مقالة للمهندس مأمون ديوب.





الغرب وحق الآخرين في الهجرة

مفارقة في العولمة، أم تناقض في العقل الغربي؟

الحسن طه سعيد جالو

مساكن ـ تونس

«إنّ رجلاً يصرخ بأعلى صوته ألماً، ليس ذلك الدبّ الذي يرقص مرحًا!» (أيمي سيزار)

Aime Cesaire. Cahier d'un Retour au Pays natal.

ظلّت الهجرة بأغراضها المختلفة: الاقتصادية والسياسية والرّوحية والأمنية، حقيقة إنسانية قديمة قدم الإنسان، وستظلّ عاملاً أساسيًا من عوامل تغيير التاريخ والتأثير في الجغرافيا، إلاّ أنها لأسباب معروفة، بعضها أناني، وبعضها سياسي، وقع تشويهها في السنوات الأخيرة، فأضحت كأيّ مأثرة من مآثر الإنسان الخالدة، رذيلة من الرذائل في زمن العولمة المتوحشة. أذكّر هنا بالمشاهد المزرية للمهاجرين الأفارقة السرّيين شمال المغرب التي تناقلتها وكالات الأنباء والقنوات التلفازية بشكل سافر غير مسبوق من قبل. هذه الدراسة ستركّز في المهاجرين بصفة عامّة، والمهاجرين الأفارقة إلى أوربا في السنوات الأخيرة بصفة خاصة، متسائلة حول النقاط الآتية:

. هل نسي الغرب أو تناسى الهجرات التاريخية الكبرى وما جلبته للإنسانية من مآثر ما زالت تعيش عليها إلى اليوم؟



- هل الهجرة عند الغرب فضيلة، وعندنا رذيلة؟.
- إفريقية والهجرتان: القسرية والاختيارية. أين ربحت، وأين خسرت؟

الهجرات الكلاسيكية الكبرى

ما نعنيه هنا بالهجرات الكلاسيكية الكبرى، هو التي وقعت في التاريخ، وليس ما قبله، أي تلك الموثقة بشكل ما أو بآخر. هنا سأركز في هجرات الساميين وهجرات الهندو - أوربيين اختصارًا، وليس حصرًا.

أ. هجرات الساميين: ظلت الجزيرة العربية خزانًا بشريًا وحضاريًا لكل المناطق المجاورة لها. لذلك يمكن أن نقول إنّ السيل البشري لم ينقطع في تدفقه منها إلى الهلال الخصيب: من جنوب العراق إلى مرتفعات كردستان، مرورًا بسواحل سورية ومناطقها الداخلية. ومن الجزيرة العربية كذلك خرجت أعداد هائلة من المهاجرين إلى المناطق الشرقية للقارة الإفريقية، خاصة المرتفعات الداخلية مثل: مرتفعات أمهرة وتجرينا، مرورًا ببعض الجيوب والجزر لوادي النيل من الشمال إلى

الجنوب (١). بل هناك من قال: إنّ البربر سكان شمال إفريقية أنفسهم جاؤوا من الجزيرة العربية في وقت مبكّر جدًا (٢). وكانت مصر واحة أمن وسلام للساميين، يلجؤون إليها كلّما ألمّ بهم ملم، أو أصابهم مكروه. وحدث ذلك في عهد يعقوب ﷺ عندما عمّت المجاعة بلاد كنعان كلها، فلجأ بنو إسرائيل وغيرهم من سكان البلاد إلى مصر فرارًا من الموت الذي أودى بحياة آلاف منهم، بما فيهم أولاد يعقوب عليهم السلام (٣). مهما يكن من أمر فإنّ من أخصب الهجرات عند الساميين تلك التي اتجهت نحو بلاد الرّافدين حيث ساد أقوام غير ساميين، عرفوا بسومر، فكانوا على درجة عالية من الثقافة والتطور (٤). إنّ التقاء العنصر السامي المعروف بالبابلي المهاجر من الجزيرة العربية بالعنصر غير السامي أو السومري، أنتج حضارة متميزة عرفت بالحضارة البابلية التي وصلت إلى أوجها ثقافيًا، عندما اخترعت أول حرف في العالم، وهو الحرف المسماري، الذي منه تطور أغلب الخطوط في العالم (٥).

كما عرفت أوجها في الميدان المعماري، عندما شيّدوا الحدائق المعلّقة في بابل في عهد نوبخذنصر الثاني؛ وذلك نحو عام ٦٠٠ قبل الميلاد، ووصلت إلى القمة من الجانب التشريعي عندما دون حمو رابي (ق١٨ ق.م) شريعته المشهورة التي أثرت في كل الشرائع التي جاءت بعدها من دون استثناء (٦).

أما الإنجاز الأعظم الذي قام به البابليون، فكان من الجانب الأسطوري أي الأساطير البابلية (La Cosmogonie Babylonienne)، التي وصلت إلى أوجها من حيث البهاء والجمال في أسطورة جلجامش، وانكيدو اللذين تجرأا على تحدّي إرادة الآلهة وحوّلا عداوتهما الشرسة إلى صداقة دائمة (٧). ملخص الأسطورة هو: انّ الآلهة سمعت استغاثات الناس ضد ملك أوروك الظالم المسمّى بجلجامش، فأرسلت إليه كائنًا حيوانيًا يصارعه، فتصارعا بلا منتصر ولا منهزم. عوضًا من أن يدخلا في العداوة الأبدية، دخلا في الصداقة الخالدة، فأخذا يصارعان كلّ من يقف أمامهما، ولو كان همبابا ثور السماء العملاق، الذي طرحاه أرضًا، مما أغضب عشتار إلهة الحبّ والحرب والخصوبة عند الساميين. فبينما هما في نشوة الانتصار وراء الانتصار، حكمت الآلهة من مجمعها السماوي الموت على أنكيدو! عرف جلجامش أن الدائرة ستكون عليه فيما بعد، هكذا تابت أوبته، واتّجه إلى قاع البحر وعالم الظلمات باحثًا عن الخلود أو الدواء الواقي من الموت، هيهات!

بعد جهد جهيد، وزمن غير قصير، استطاع أن يحصل عليه، وقفل راجعًا إلى مملكته، لكنّ الحيّة الملونة سرقته في آخر اللحظة. هكذا عرف جلجامش أن الآلهة لا تسمح للبشر بالوصول إلى هذه الغاية، وأنه لا سبيل لهم إلى الخلود، وأن من الأفضل له ان يستسلم لإرادة الآلهة طائعًا، عوضًا من التحدي والعناد، وهكذا استسلم جلجامش أخيرًا للآلهة ذليلاً ومقهورًا. هذه الأسطورة بما تحويه من معان إنسانية سامية، تعدّ أول تسجيل لهاجس الإنسان المشروع نحو الموت، ورغبته الصادقة في الخلود (٨). لقد غزا الإنسان الفضاء، وركب أعالي

ظلت الجزيرة العربية خزانًا بشريًا وحضاريًا لكل المناطق المجاورة لها، لذلك يمكن أن نقول: إنّ السيل البشري لم ينقطع في تدفقه منها إلى الهلال الخصيب: من جنوب العراق إلى مرتفعات كردستان، مرورًا بسواحل سورية ومناطقها الداخلية

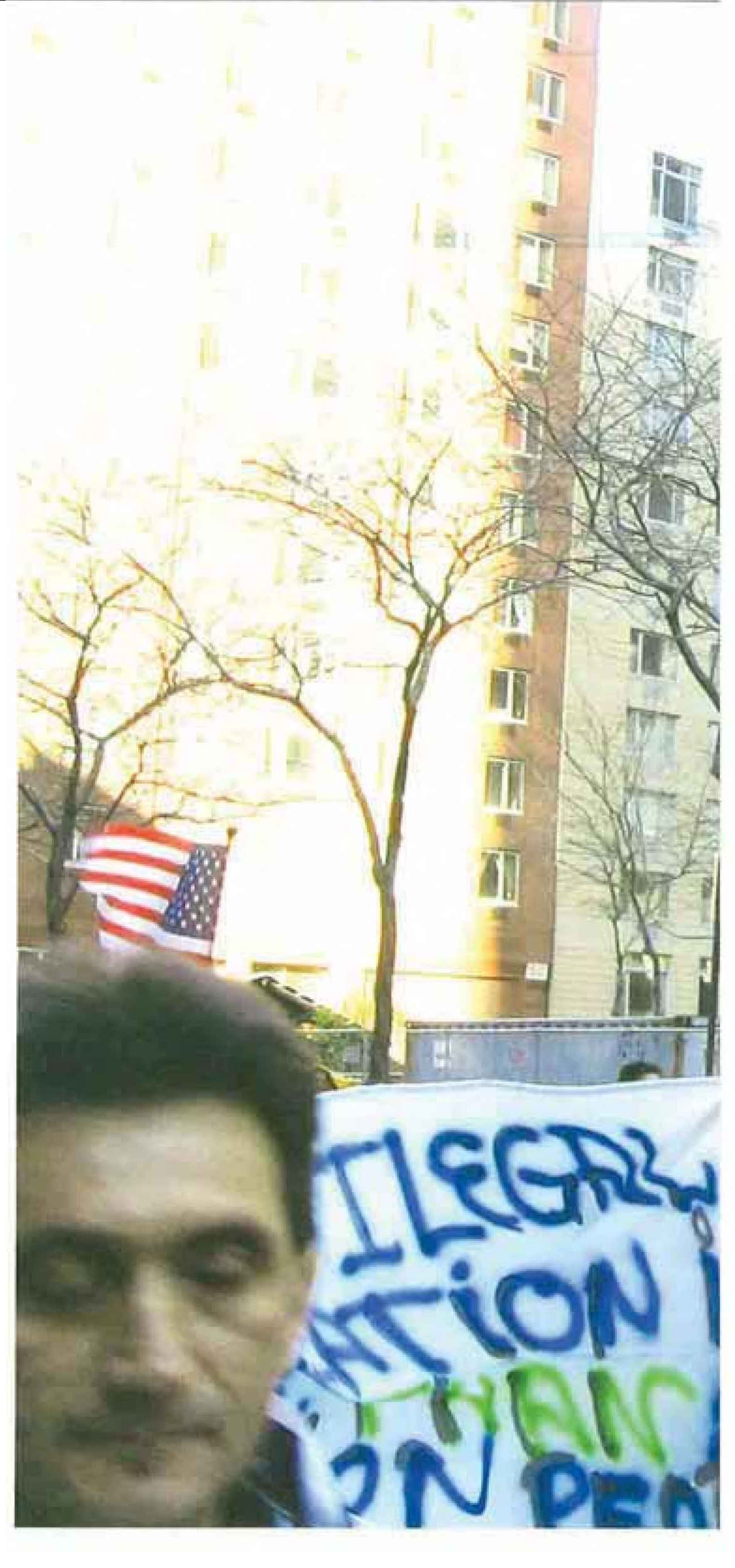
البحار، وغاص في أعماقها، وفجّر الذرّة، واكتشف الشفرة السرية للحياة .. لكنّ خوفه ظل كما كان مع جلجامش، وهنا تكمن أصالته وعبقريته في الفكر الإنساني عبر الأمكنة والأزمنة.

ما يجدر ذكره هنا هو انه على خصوصية أرض الرّافدين وجاذبيتها، قد وقعت الهجرة المضادة أحيانًا، اي منها إلى سورية ومنها إلى مصر فالجزيرة العربية، وكان قائد هذه الهجرة هو أبو الأنبياء، ومؤسس الدّيانات التوحيدية الثلاث إبراهيم ﷺ، الذي هاجر مع قومه من ارام بدام أرام أو بلاد أور (٩) إلى فلسطين، ومنها إلى مصر، ثم إلى فلسطين ثانية، فالحجاز حيث بنى مع ابنه إسماعيل عليهما السلام بيت الله الحرام. هذا فقد انتشرت الديانات السماوية بفضله إلى جميع أرجاء العالم عن طريق اليهودية والمسيحية في الوهلة الأولى، وعندما بزغت شمس الإسلام، اندفع العرب مهاجرين إلى الآفاق لنشر دين الله الحنيف، واللقاء مع الآخر، في محبة وخشوع وتواضع ... فأعطيت اللغة العربية وثقافتها فرصة أكبر، وعمرًا أطول؛ وذلك لتمكينهما في الأرض مددًا زمنية لم تتوافر لغيرهما حتى الآن (١٠). قبل اللغة العربية كان الحرف الفينيقي الذي تعلم منه العالم كله الكتابة والقراءة، واضحى سيد الحروف، وعميد الأبجديات في الوقت الذي تقهقر فيه غيره أو انقرض، وكأن الفينيقيين يعرفون هذا المصير المحتوم، لذلك حملوا معهم حرفهم وكأنهم صنوان وهكذا قدرهم أينما ذهبوا: من صيدا وصور إلى قرطاجة وطنجة، فالشواطئ الأطلسية الشرقية في كل من شبه الجزيرة الأيبيرية وإفريقية الغربية، حتى إنّ الرومان في نشوة انتصارهم على قرطاجة، نادوا بأعلى صوتهم: أن دمّروا قرطاجة! فكان الدمار لهم، وليس لقرطاجة (١١). إن هجرة الساميين إلى الأصقاع، كانت إضافة نوعية للإنسان من الناحية المادية والروحية، قلّما نجد لها مثيلاً في الهجرات الأخرى، إلاّ في الهجرات الهندو - اوربية.

ب - الهجرة الهندو - أوربية: لم يشهد التاريخ شعوبًا مهاجرة بعد الساميين مثل الشعوب الهندو - اوربية. فقد انتقلت من جبال القوقاز وسهولها جنوبًا نحو إيران والهند وما جاورهما، وغربًا نحو أوربا الشرقية والغربية وإسكندنافيا، وغيرها من المناطق قاطعة عشرات الآلاف من الكيلو مترات في حقب زمنية متعاقبة. إلا أن هذه الشعوب ظلت متوحشة وممزقة إلى أن تلقت الديانة السماوية عن طريق المسيحية واليهودية، فهذا لا يتناقض مع المعجزة الفلسفية اليونانية؛ لأنّ اليونان كانت قطرة في بحر، ثمّ إنّ مصادر الفلسفة اليونانية نفسها ما زالت غامضة؛ لأنّ الفلاسفة الكبار الأوائل مثل طاليس (٦٢٥- ٥٤٧ ق. م) وفيثاغورث (٥٧٠- ٤٩٠ ق. م)وغيرهما، سافروا إلى مصر قبل نبوغهم في العلم والفلسفة. اليونان إذن قد تكون شرقية أو منطقة تماس بين الشرق والغرب، ويؤكد هذا الاحتمال وجود أكبر الأجزاء اليونانية التاريخية في الشرق مثل الأيونية في آسيا الصغرى والجزر المتوسطية الكثيرة ذات المناخ الثقافي الشرقي، مثل جزيرة كريت، ومالطة، وقبرص، وغيرها. مهما يكن من أمر فإنّ اليونان أخذوا أبجديتهم من

عندما بزغت شمس الإسلام، اندفع العرب مهاجرين إلى الآفاق لنشر دين الله الحنيف، واللقاء مع الآخر، في محبة وخشوع وتواضع ... فأعطيت اللغة العربية وثقافتها فرصة أكبر، وعمرًا أطول؛ وذلك لتمكينهما في الأرض مددًا زمنية لم تتوافر لغيرهما حتى الآن


WE ARE NOT
THE ENEMY
WE ARE WOR



الأبجدية الفينيقية بتمامها وكمالها مع تغيير بسيط في الشكل، وزيادة الحروف الصائتة؛ لأن الحروف الفينيقية والسامية بصفة عامة ساكنة (١٢). لقد انتشرت العناصر اليونانية في المنطقة السامية على أثر غزو الإسكندر المقدوني (٣٥٦ ـ ٣٢٣ ق. م) إياها، فأثرت، وتأثرت، مما خلق نوعًا من الحضارة في المنطقة عرفت بالحضارة الهلنستية، التي من سماتها البارزة دمج العناصر اليونانية في الثقافة الشرقية، وتأويل الثقافة الشرقية من دين وفلسفة طبقًا للمفاهيم اليونانية، فترجمت التوراة من اللغة العبرية إلى اللغة اليونانية، وعرفت بالترجمة السبعينية Septante، كما ظهر علماء يهود وفلاسفة، تشبّعوا بالفكر اليوناني، أمثال فيلون الإسكندري (٢٠ ق. م ـ ٥٠ ب م)، ويوسيفوس (٣٦ ـ ١٠٠م)، وغيرهما (١٣).

ظل العنصر السامي متفاعلا مع العنصر الهندو ـ أوربي طوال عدة قرون، وكان من أبرز مظاهر هذا التفاعل الكنيسة المسيحية التي كانت في البداية تقاد من قبل العناصر السامية، مثل القديس شاعول الطورسي المعروف ببولس، والقديس بطرس، وغيرهما. إلاّ أن الكنيسة المسيحية ما إن استقرت في العهد البيزنطي حتى استوعبت العناصر السامية، وصهرتها في بوتقة واحدة، يغلب عليها الطابع الهندو ـ أوربي، فأسهمت في إنتاج ثقافة وحضارة متميزتين من حيث الشكل والمضمون، اضحى فيه الأصل السامي من نوع الحنين إلى الماضي. بل أصبحت الكنيسة ترى في نفسها النبراس الوحيد الذي به نعرف الأصل التوحيدي الصحيح من غيره، وأنّ العناصر السامية التي تسرّبت داخل أوربا، والتي تتمثل في اليهودية والإسلام، عناصر هرطقية، استهلكت في أزمنة غابرة، ولم تعد صالحة كدين. هنا انطلق الفكر التفتيشي الكنسي الوسيط، وهنا انطلقت المغامرة الغربية نحو الآفاق التي ما زلنا نعيش نتائجها إلى اليوم(١٤).

الهجرة الغربية الحديثة

ممّا يستوقفني وأنا في بداية هذا الفصل المهمّ قول المفكّر الكيني المسلم: علي أمين المزروعي عند إجابته عن أسئلة استفزازية مجازية حساسة ومهمّة، منها: من خلق الدّين والإنسان والعالم؟ فكان الجواب كالآتي: الساميون هم الذين خلقوا الدين، لذلك أثّروا في الخريطة الدينية في العالم بكامله، بحيث لا تجد دينًا إلاّ ويكون قد تأثر بهم في الصميم. أمّا الإنسان فقد أوجد الأفارقة الذين من قارتهم، وجد أقدم إنسان حتى الآن، ويمتد عمره نحو سبعة ملايين عام. بينما أوجد الأوربيون العالم: أي: إنّ ما نعرفه اليوم من العالم هو من تصور غربي ليس إلاّ. فتساءل عن مكان القطب الشمالي أهو فوق أم تحت؟ وأجاب قائلاً: إن الأرض سابحة في فضاء لا نهائي، بحيث لا يوجد فيها مكان لفوق ولا تحت، وكل ما في الأمر أن رجلاً غربيًا قام برصد النجوم والكواكب فجعل منطقته فوق المناطق، وغيرها تحت. ولو قام غيره برصد السماء، لجعل القطب «الشمالي» في غير مكانه! (١٥) فلو بسطت أمامك خريطة جغرافية، وحاولت قراءتها دون الرّجوع إلى المفاهيم الغربية، لتحولت إلى خريطة خرساء وبيضاء، ولا تنطق، وكذلك الأمر في الخرائط الأخرى!.

إن ما يثير المرء في قول المزروعي هو تلك الدعابة أو السخرية اللطيفة التي عادة ما تغلّف الحكم والمعاني السامية، لو قالها بأسلوب آخر، لكان لها حساسية أكثر. في البداية اعتمد الغرب في معرفته للعالم على مصدرين أساسيين: الأول علمي يمثله الجغرافيون العرب والمسلمون الذين ورثوا العالم الكلاسيكي، من مصر وبابل واليونان، والثاني: يمثله الفكر الديني الكنسي الممزوج بالعواطف الجياشة، والأساطير الحالمة، مثل أسطورة القديس يوحنا الحبشي (Jean. Lepretre)، الذي زعموا أنّه يتصدّى وحده لقتال المسلمين الكفّار. وإنّ من التزام الدين المسيحي أن نمدّ له يد المساعدة حتى لا تتقهقر المسيحية أمام الزحف الإسلامي (١٦). المصدران المذكوران لم يكونا في حالة انفصال دائم، بل كان بينهما تقاطع. فعلى سبيل نصرة القديس يوحنا الحبشي، ومطاردة المسلمين، احتلت إسبانيا سواحل إفريقية الشمالية. واستوطن البرتغال السواحل الشرقية والغربية لإفريقية. كما أنّ رحلة كولبس (١٤٥١م - ١٥٠٦م) إلى الهند غربًا هي، أيضًا، لم تكن خالية من العنصر الأسطوري (١٧). مهما يكن من أمر فإن الغرب أباح لنفسه الهجرة الشاملة إلى جميع أصقاع الأرض فاستوطنها من دون الناس أجمعين، وذلك عن طريق هجرتين أساسيتين: الأولى مادّية، والثانية رمزية.

أ. الهجرة المادية: تمتدّ هذه الهجرة من العصور الاستكشافية الأولى أو الاستيطانية إلى العصر الاستعماري الغربي، وهما في الواقع لا ينفصلان بعضهما عن بعض، الاستيطان في بعض الأحيان تحوّل إلى الاستعمار عندما لم ينجح مشروعه لسبب ما أو لآخر. فمنذ الوهلة الأولى زحفت المجتمعات الأوربية نحو ما سمّي بالعالم الجديد، تحت ضغوطات متنوعة، بعضها اقتصادي، وبعضها اجتماعي وروحي. إلاّ أنّ أكثرها كان بدافع اقتصادي؛ لأنّ الشعوب الأوربية في هذه الفترة

لم تكن الشعوب الأوربية الأخرى أكثر رحمة من الإنجليز والإسبان. فقد استوطن الهولنديون في إفريقية الجنوبية، فافتكّوا الأرض من أهلها، وأبادوهم. وشهدت هجرة بوير (المهاجرون الهولنديون) من منطقة كاب إلى المناطق الداخلية مجازر بشرية يندى لها الجبين

كانت تعاني الفاقة من دون استثناء، لذلك هرعت الجماهير إلى تلك المناطق طامعة في غنى رخيص وسهل، أو ما كان يعرف بالإسبانية الدورادو El Dorado، وفحواه أنّ هناك قبيلة هندية تملك خزائن هائلة من الذهب، وأنّها لا تجد ما تفعل به إلاّ أن تدفن به الموتى، أو تدهن به أجسام الأحياء، وغيره من الأساطير (١٨).

جيّشت إسبانيا جيوشًا جرّارة للبحث عن الذهب الموهوم، فقضت على شعوب وحضارات بكاملها؛ ففي أمريكا الوسطى والشمالية وقع القضاء على شعب مايا Mayas وحضارته، وفي أمريكا الجنوبية، وقع القضاء على شعب أزتيك العظيم Aztèques وحضارته، إضافة إلى الشعوب الهندية الصغيرة في أمريكا الوسطى والجنوبية. وممّا يجدر ذكره، هو أنّ هذه الشعوب كانت آمنة في عالمها، ومنسجمة مع بيئتها، ولم تكن أجسادها قد عرفت كثيرًا من الأمراض الفتّاكة، مثل تلك التي عرفتها القارة الأوربية، فلمّا اقتحم عليهم الرجل الأبيض الباب بأمراضه، أبادهم جميعًا (١٩). أما أمريكا الشمالية التي اختص بها العنصر الأنجلو - سكسوني، فلم تكن أكثر حظًا من غيرها؛ لأنه هو أيضًا قضى على شعوب برمتها؛ وذلك على الرغم من كونها شعوبًا مسالمة في البداية حسب اعترافه هو. فهناك طقوس بقيت حتى الآن تشهد على تلك الروح الأخوية لدى الهنود الحمر، مثل صلوات يوم الشكر للرّب Thanksgiving Day، التي ما زال الشعب الأمريكي يقوم بها إلى اليوم في شهر نوفمبر كل عام، ومضمونها أنّ الآباء المهاجرين الأوائل وصلوا إلى أمريكا، وليس في جعبتهم شيء يأكلونه، فقدّمت لهم القبائل الهندية عشاء شهيًا يتمثل في الديك الرومي. كما قدّموا لهم بعض المحصولات الزراعية، مثل الذرة، وغيرها ! قارن هذه الصورة بما شاهدته من أفلام رعاة البقر الهوليودية التي صورت الإنسان الهندي كأنه وحش كاسر، أو جاموس من الجواميس، لا يروّض إلاّ بإبادة جماعية، لذلك لابدّ من القضاء عليه (٢٠)، وهي الصورة نفسها روّجت عن الزنوج في وسط إفريقية فزعموا أنهم أكلة لحوم البشر Cannibale، وبطبيعة الحال لكل صورة ثمنها، وكان الثمن في بعض الأحيان غاليًا جدًا (٢١).

لم تكن الشعوب الأوربية الأخرى أكثر رحمة من الإنجليز والإسبان. فقد استوطن الهولنديون في إفريقية الجنوبية، فافتكّوا الأرض من أهلها، وأبادوهم. وشهدت هجرة بوير (المهاجرون الهولنديون) من منطقة كاب إلى المناطق الداخلية مجازر بشرية يندى لها الجبين، كما تمكنوا من فرض نظام عنصري في البلاد، حرم أهلها الأصليين من أي حق طوال أربعة قرون (٢٢). وهو الشيء نفسه قام به الإيطاليون في كل من ليبيا والصومال وإثيوبيا، حيث قضوا على الملايين من البشر دون اعتذار ولا ندم. أما الألمان، فقد قاموا هم أيضًا بمجازر رهيبة في كل ممتلكاتهم الإفريقية: من توغو وكاميرون إلى ناميبيا وتنزانيا، وحاصروا الشعب الخويساني - المدعو ظلمًا وعدوانًا - برجال الغابة Bushmen، حاصروه في تخوم الصحراء، فمات جوعًا وعطشًا داخل صحراء ناميبيا (٢٣). بينما قام الفرنسيون بالشيء نفسه في غرب إفريقية وشمالها ووسطها، فطردوا السكان الأصليين من

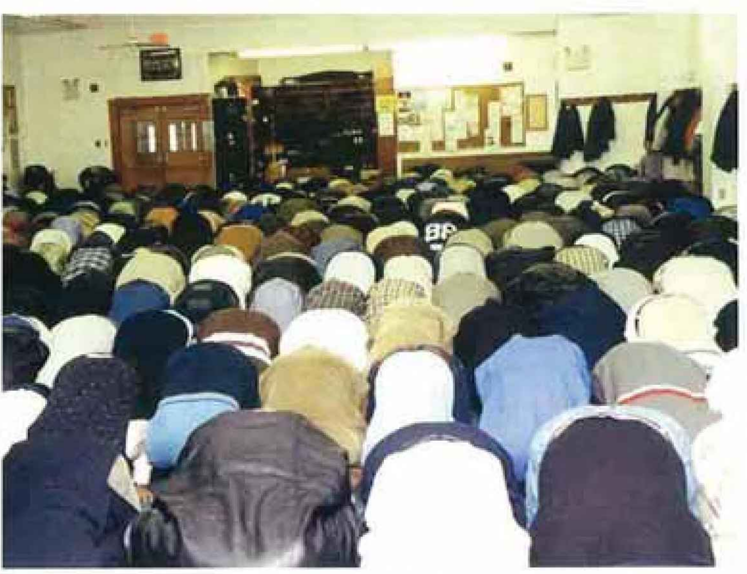
الهجرة المادية لم تنجح في كل المناطق، بل جوبهت بمقاومة شرسة؛ ما اضطر المستوطنين الأوربيين إلى الجلاء نهائيًا، لكنّ الغرب تحوّل إلى هجرة أخرى تتمثل في النظم الاقتصادية والاجتماعية والروحية والفكرية، وغيرها من النظم

أراضيهم الخصبة ليحلّ في مكانهم المستوطنون الأوروبيون باختلاف جنسياتهم، خاصة الأوروبيين الجنوبيين من المالطيين والإيطاليين. وهكذا نجحت الشعوب الأوروبية في كثير من هذه المناطق في أن تقضي على الشعوب الأصلية، مثلما حدث في ثلاث قارات: الأمريكيتين، الشمالية والجنوبية، وأستراليا، وقسم من

الاقتصادية والاجتماعية والروحية والفكرية، وغيرها من النظم، فمن طريقها يتنقل الغربي جيئة وذهابًا إلى جميع أرجاء العالم، وهذا لا يمكن أن يفعله أي عنصر آخر من العناصر المكوِّنة للعالم. لا أريد الوقوف هنا طويلاً، ويكفي أن تنظر إلى الميدان الرياضي فقط، حتى ترى أن المدرِّبين الغربيين هم الذين يستحوذون على هذا الميدان



الاحتجاجات لا تتوقف ضد قوانين الهجرة


المسلمون في الغرب

إفريقية، لكنها أخفقت إخفاقًا ذريعًا في مناطق أخرى، فتحوّل المستوطنون إلى عناصر استعمارية بغيضة، ومن ثمّ هدفًا للمقاومة المشروعة(٢٤).

ب ـ الهجرة الرّمزية: لقد رأينا أن الهجرة المادية لم تنجح في كل المناطق، بل جوبهت بمقاومة شرسة؛ مما اضطر المستوطنين الأوربيين إلى الجلاء نهائيًا. لكنّ الغرب تحول إلى هجرة أخرى تتمثل في النظم

دون غيرهم، وقس عليه الميادين الأخرى من اقتصاد وفكر وثقافة، وغيرها، ولكنني منه هذا الجزء بالتركيز في الدين؛ وذلك لما له من دور حاسم في هذا الصراع (٢٥).

بدأ الإصلاح الديني في الغرب بإصلاح الكنيسة، وانتهى بضرب الدين في المقتل، إذ جاءت فلسفات معادية للدين من حيث الجوهر (٢٦). فأعلن فيورباخ Feuerbach(١٨٠٤م ـ ١٨٧٢م) أن الدين، في بحثه عن





أسيويون يعلنون احتجاجهم

الإله، رجع إلى نقطة البداية، وهي طفولة الإنسان الأولى. وقال ماركس Marx (١٨١٨م - ١٨٨٣م): إن الدين أفيون الشعوب، وقال فرويد Freud (١٨٥٦م - ١٩٣٩م): إنه الوهم والعودة إلى عقدة أوديب، وإنّ الإنسانية سوف تكبر يومًا ما، وتكتشف هذا الوهم القاتل .. كل هذا السيل من الفكر الحداثي جعل الدين منفرًا في الغرب، فلا بد من البحث عن دين عقلي، وجنّة أرضية هنا، إذ ليس هناك شيء آخر فيما بعد، وأن العلم والعقلية كفيلان بالوصول إلى هذا الهدف، لكن هيهات، فبعد مرور قرن من الزمن عرفت أوربا أنها كانت تجري وراء السراب، إذ الجنة الأرضية التي وعد بها الفلاسفة الكبار، أمثال ماركس، كانت وهما في وهم، فقد اندلعت الحروب والصراعات المدمّرة؛ لأن الإله الذي استعيض بالإله المعبود عبر الملايين من السنين، كان إلهًا ميتًا، وليس ذلك الذي قتله نيتشه Nietzsche (١٨٤٤م - ١٩٠٠م)، فقد انهارت أسطورة الحداثة وسعادتها حتى من الجانب الشيوعي، وفقدت الحياة معناها الذي وقع تعويضه بالقوانين التي لا أحد يحترمها؛ لأنه يعرف جيدًا أن الكل يتحايل عليها، ورجع الناس إلى الدين، لكن من باب آخر؛ أي: الفرق الدينية الدجّالة والمشعوذة Sectes. ففي فرنسا فقط أكثر من ٣٧٪ يتردّدون إلى السحرة والدجّالين، أكثرهم لا ينجحون في مساعهم، لكنهم جميعًا يبحثون عن المعنى للحياة، الذي ضاع في زخم الحداثة، ووعودها الكاذبة، ألم يقل الشاعر الإنجليزي وليام بليك William Blake (١٧٥٧م - ١٨٢٧م)، وهو يصف وجوه المارة في مدينة

لندن: وسم في كلّ وجه أراه، علامة للضعف وعلامة للحقد (٢٧)؛ لأن، الحياة كما يقول فريدريك ليناور، Frédéric Lenoir تحتاج إلى لمسة شاعرية ما، تجعل من الإنسان كائنًا عضويًا نابضًا لا آلة صماء، وحيًا لا ميتًا، وحساسًا لا فجًا، وروحانيًا لا جمادًا (٢٨) .. فقد استغل هذه الحالة بعض الفلاسفة والمفكرين فجاؤوا بمذاهب زعموها منقذة، وهي لا تنقذ حتى أصحابها، مثل مذهب الحكمة الإنسانية Anthroposophie، لصاحبه الألماني رودولف استاينر R. Steiner (١٨٦١م - ١٩٢٥م)، الذي زعم أن مذهبه قادر على إنقاذ الإنسانية من الدمار الماحق وذلك بمزجه تلك الحكمة الأبدية بين الروح والمادة! لكن أليس هذا ما قالته الأديان - بعضها على الأقل - منذ آلاف السنين؟ هذا ما يجيب عنه مدّعٍ آخر، وهو دافيد اسبانغلر David Spengler البريطاني، الذي ادعى أنه التقى كائنًا كوكبيًا أوحى إليه بحب لا نهائي، وحكمة لا نهائية... (٢٩).

ما يؤخذ على الفرق الدينية باختلاف ألوانها وعقائدها هو نزعتها الأنانية التي تتناقض أصلاً مع الرؤية الدينية الأصيلة والخالدة، وهذا ما جعل موجة الرجوع إلى الدين «الحقيقي» عنيفة جدًا فاستغلها الإنجيليون الجدد. ووظفوها لمصلحتهم، فأعلنوا صراحة أنهم يريدون تنصير العالم كله، ولا يستثنون في ذلك أي منطقة: مسيحية كانت أم غير مسيحية، وأما غير المسيحية فيقع تنصيرها Christianisation بطرائق شتى، وأما المسيحية الرّجراجة، مثل مسيحية أوربا، وروسيا فيقع تنصيرها من جديد بوسائل جديدة re-Christianization، وهم من أجل ذلك الهدف لا يدّخرون أي جهد، مثل خلق شبكة من العلاقات الدولية: من الدبلوماسيين، ورجال المال والأعمال، والأكاديميين، وغيرهم، وكلهم يعملون من أجل هذا الهدف، كما اتبعوا في ذلك وسائل العلم والمعرفة والإغراء أيضًا، مثل تلك الفضائيات الضخمة، والميزانيات الهائلة، ونقل مراكزهم إلى مناطق مختلفة في العالم: من المركز الأم أمريكا الشمالية، إلى أمريكا اللاتينية، وعلى رأسها البرازيل؛ ذلك البلد الذي يمثل قارة، ثم إلى القارة الإفريقية التي لا يختلف اثنان في أنها وجهة الدعوة والتبشير في هذا القرن، وربما في القرن القادم أيضًا، لذلك جعلوا غانا كمركز انطلاق نحو تبشير المناطق المجاورة التي تشترك معها في اللغة الرسمية، وهي اللغة الإنجليزية واللغات المحلية، كما أن دور غانا في التنصير لا يقتصر على إفريقية وحدها، وإنما المناطق الأخرى من العالم، مثل أوربا، حيث توجد لها جاليات عديدة (٣٠). أما آسيا فقد جعلوا لها عدة مراكز من بينها الفلبين. وما يمكن ملاحظته هنا هو أنهم اختاروا بعض الدول التي تعدّ من المعاقل الكاثوليكية، مثل البرازيل، والفلبين لأسباب منها: أنّ البرازيل، كما قلنا سابقًا، تمثل وحدها قارة، وأكبر دولة كاثوليكية في العالم، كما تأتي وحدها منطقة كاملة في أمريكا اللاتينية؛ وذلك حسب التقسيم الآتي:

في النصف الأول من القرن التاسع عشر، اكتشف زيت الفستق Arachides، وكانت السنغال أنسب مكان لزراعته في المستعمرات الفرنسية، لوجود سهول خصبة، وأراض منبسطة، أجبرت فرنسا الغينيين والماليين والبوركنابيين وغيرهم، على الهجرة إلى السنغال والإقامة فيها إلى الأبد

- ارجنتين، بارغواي، أورغواي، وشيلي.
- بوليفيا، بيرو، إكوادور، فنزويلا، وكولومبيا.
- أمريكا الوسطى، باناما وكريبي.

- البرازيل التي هي الدولة الوحيدة الناطقة بالبرتغالية Lusophone في المنطقة، والبقية كلها ناطقة بالإسبانية، وهذا له أهمية وأي أهمية!، إذ بإمكان البرازيليين أن يبشروا في إفريقية الناطقة بالبرتغالية، مثل انغولا، وموزامبيق، وغيرهما، إضافة إلى الجاليات البرتغالية المنتشرة في كامل أوربا بوصفها قوّة عمل رخيصة، قبل أن يتحسن اقتصادها في الثمانينيات من القرن الماضي. بدأت الحركات الإنجيلية بالعمل في امريكا اللاتينية منذ زمن بعيد قد يعود إلى السبعينيات من القرن الماضي، وهي، كما قلنا سابقًا، تقوم بالعمل في كل الاتجاهات، وفي كل الجبهات، وهذا ما جعل عملها موفقًا حتى الآن (٣١).

التجارة والأعمال، والدبلوماسية، والحياة الأكاديمية تمثل ركيزة أساسية للتبشير عند الإنجيليين الجدد، هذا مع خلوّ الديانة من الطقوس الحسّاسة والدقيقة، فهي لا تكلف المؤمن إلاّ قليلاً من اللقاءات، يجدّد فيها إيمانه، أو ما يعبّرون عنه بالولادة الجديدة Born- again Christian.

إن الإحصائيات الدينية تنبئنا بنتائج مذهلة حققتها الكنائس الإنجيلية في جميع أرجاء العالم، وخاصة في معقل الكنيسة الكاثوليكية، حتى صار بعض رؤساء الدول، مثل الرئيس البرازيلي في السبعينيات جيزال Ernest Geisel، والرئيس الغوتيمالي الحالي اوسكار برجر Oscar Berger تابعين للكنائس الإنجيلية (٣٢).

كما يقال ايضًا: إنّ عدد الإنجيليين الجدد في البرازيل وحدها يفوق ثلاثين مليون نسمة، ولهم أكثر من ٤٩ مقعدًا في البرلمان البرازيلي. أما الفلبين فهي الدولة الآسيوية الوحيدة التي تجد فيها الأغلبية المسيحية من سكانها المحليين، وهذا بالنسبة إلى المسيحية معجزة إلهية، أو ما يعبّرون عنه بملكوت الله في علم التبشير، إذ العالم حسب تقسيمهم منطقتان:

منطقة ملكوت الله: أي: تلك التي استجابت للدعوة Le Royaume de Dieu، ومنطقة أسرار الله: أي: تلك التي لم تستجب بعد Le Mystère de Dieu.

ومهما يكن من أمر، فإنّ الدين كان دليلاً قاطعًا على نجاح الغرب في هجرتهم الرمزية بعد ما نجحوا في هجرتهم المادية، فاستوطنوا العالم كلّه، وها هم أولاء الآن ينصّرونه بطريقتهم الخاصة، والمسألة هنا لا تتعلق بالدين المسيحي، هناك مسيحية شرقية، ومثل كنائس فلسطين، ولبنان، وغيرهما من الدول، لكنها لا تتوسع على حساب غيرها من الأديان، وهناك مسيحية إفريقية، مثل الكنيسة القبطية في كل من مصر وإثيوبيا وإريتريا، وإنّما المسألة هنا تتعلق بالهجرة الغربية الرمزية التي تعمل في خفاء وعلن من أجل أهدافها، التي كانت القارة الإفريقية أولى ضحاياها. هذه الهجرة نابعة من نفس أنانية ترى لنفسها الحقّ في التحكم في العالم، والإقامة أينما شاءت، وتنكر ذلك على غيرها!.

ما يقال عن الفرنسيين هو الشيء نفسه الذي يقال عن الإنجليز في مستعمراتهم، خاصة في جنوب إفريقية، حيث جلبوا أقوامًا كثيرين من مستعمراتهم الشرقية، الهند وماليزيا، وغيرهما. أما من داخل القارة الإفريقية فقد جلبوا منها عمال المناجم، وهم من حيث الحقوق أقرب إلى الحيوانات منها إلى البشر

إفريقية وقصة الهجرتين: القسرية والاختيارية

أ. الهجرة القسرية: ما أقصده من الهجرة القسرية هنا، هي تلك الهجرة التي استهدفت ملايين من الأفارقة السود لتنقلهم، ظلمًا وعدوانًا من موطنهم الأصلي الذي هو إفريقية، إلى موطن آخر، لا صلة لهم به، ولا رغبوا في الذهاب إليه (٢٢). لكنّ هذا التعريف أيضًا مراوغ، إذ الحديث الحالي يتعلق بالرقّ الأطلسي، وقد نتحدث عن الرقّ الصحراوي والإفريقي في مناسبة أخرى (٢٣). لم تكن العلاقة السائدة بين الأفارقة والأوربيين في أول اللقاء علاقة عدائية، فقد توالى الرحالون الأوربيون والبرتغاليون بصفة خاصة على منطقة إفريقية الغربية: من فاسكو دي غاما Vasco de Gama (١٤٦٩م - ١٥٢٤م)،




رسم تخيلي لما كان يحدث في سوق الرقيق

يشمل أولئك الذين سيقوا قسرا عبر الصحراء الكبرى إلى مواطن أخرى، فكثيرًا ما يتهمنا بعض الدارسين الغربيين بأننا غير موضوعيين، إذ نتحدث كثيرًا عن الرقّ الأطلسي، ولا نتحدث عن الرقّ الصحراوي، والإفريقي. الردّ على هذه التهمة هو أنّ الرقّ الصحراوي والإفريقي، لم يؤدّيا إلى الاستعمار، ولا إلى النظام العنصري، كما هو الحال عند الرقّ الأطلسي. مهما يكن من أمر فإن ودياس دنيس Dias Denis (١٤٥٠م - ١٥٠٠م) إلى رحالين آخرين ... أثنوا على الشعوب القاطنة في هذه المنطقة، وعلى حسن ضيافتهم وتسامحهم مع الآخر، حتى إنّهم سألوهم عمّا إذا كان لهم إله؟ فردّ عليهم الأفارقة: إذا كان للبيض إله، فإنّ للسود أيضًا إلهًا، وهو الله تعالى، هذا كان أول سجال ديني لطيف بين المسلمين الأفارقة والأوربيين في المنطقة (٢٤). لكن ما إن استقرت أقدام

الغرب كمجموعة بشرية، استفاد من الهجرة أكثر من أي مجموعة أخرى على البسيطة. لكنّه لم يعد يحترم قواعد اللعبة، التي أوصلته إلى ما هو عليه اليوم من نعيم، بل هو يريد إبقاءه عنده عن طريق هجرة رؤوس الأموال والأعمال جبنة وذهابًا إليه

الغرب في القارتين الأمريكيتين، بداية من القرنين السادس عشر والسابع عشر، حتى انقلبت تلك العلاقة الطيّبة إلى كابوس استمرّ خمسة قرون؛ وذلك عندما رأى الراهب الإسباني بار تلومي ديلاس كاساس Bartolomé de las Casas (١٤٧٤م - ١٥٦٦م) أن الهنود لا يقوون على العمل الشاق، فأشار إلى السلطة الاستيطانية بجلب الأفارقة السود، واستخدامهم في الأعمال الشاقة، وهنا بدأت رحلة المآسي إلى اليوم [٢٥].

هنا لا بدّ من الإشارة إلى بعض الحقائق، ومنها: قول بعض المؤرخين الغربيين: إنّ الملوك الأفارقة المحلّيين هم الذين سلّموا رعاياهم إلى الأوربيين، مقابل بعض المال، والمنتجات الأوربية! خرافة من عدة نواح، أولاها: لم تكن

الهجرة ليست من اختراع الأفارقة، وإنما هي حقيقة إنسانية ضاربة جذورها في أعماق التاريخ. بل إن كان لا بد من إطلاق اسم جامع ومانع على الإنسان، فهو: الحيوان المهاجر! لأنه الكائن الوحيد الذي يختار هجرته بحرّية واختيار

هناك دول مركزية حتى تسلّم رعاياها، والدولة المركزية الوحيدة في المنطقة كانت تتمثل في غانا، وبعدها مالي، ثم صنغاي، سقطت بغزو السلطان المغربي أحمد المنصور، الذي بدوره، لم يستطع السيطرة على المنطقة، فتفتتت إلى قبائل وعشائر. ثانيتها أنّ تبادل المنتجات الأوربية، كان يتم مقابل منتجات إفريقية، ولم يكن التفاوت الصناعي كما هو عليه اليوم، بل كانت الكفة ترجح للأفارقة في بعض الأحيان [٢٦].

إن امتلاك الغرب السلاح الناري، كان أمرًا حاسمًا في إدارة دفة الصراع، وهو ما جعله يجبر الطرف الإفريقي على تجارة مهينة وغير متكافئة. وقد عبّر عن ذلك الشاعر الإنجليزي وليام بليك William Blake، بطريقة جميلة جدًا عندما قال: مهما يكن من أمر، فقد كان لنا بندقية ماكسيم، وهم ليس لهم ! [٢٧] هذا فقد خطفوا سكان السواحل في البداية، فلما فرغت الشواطئ من سكانها، راحوا يصطادونهم من أعماق القارة بطريقة عنيفة جدًا ومتوحشة. كانوا يشحنونهم في سفن شديدة الرطوبة والحرارة في مساحات ضيّقة جدًا، فيها يأكلون، وفيها ينامون، وفيها يقضون حاجاتهم أيضًا! لذلك كان أكثرهم يموت قبل أن ترسو السفينة في الضفة الأخرى، ولا ينجو من الهلاك إلاّ من كان محظوظًا وعلى صحة بدنية وعقلية عالية جدًا. أما الأرقام التي يتم تداولها بين الأوساط الأكاديمية، وغيرها، فمختلف فيها. هناك من قدرها بمئة وخمسين مليون فرد. أخرجوا من موطنهم إفريقية قسرًا، وهناك من قدرها ببضعة آلاف من الأفراد! من المؤكد أن الرقم الصحيح يوجد في موقع ما بين الرقمين لكن ما هو؟ لا أحد يعلمه إلا الله تعالى. لذلك اقترح الباحث الكاريبي ولتر رودني Walter Rodney الإحصاء المقارن بين القارات ويبدأ بعام ١٦٥٠م، وينتهي في عام ١٩٠٠م.

القارة/ العام	١٦٥٠م	١٧٥٠م	١٨٥٠م	١٩٠٠م
إفريقية	١٠٠ مليون	١٠٠مليون	١٠٠ مليون	١٢٠ مليونًا
أوربا	١٠٣ملايين	١٤٤ مليونًا	٢٧٤ مليونًا	٤٢٣ مليونًا
آسيا	٢٥٧ مليونًا	٤٣٤ مليونًا	٦٥٦ مليونًا	٦٥٧ مليونًا

جدول إحصاء السكان في القارات الثلاث. من ولتر رودني: أوربا والتخلف في إفريقية، ترجمة إبراهيم عثمان، عالم المعرفة العدد ١٣٢، الكويت، ديسمبر ١٩٨٦م.

هذا الجدول يبين حجم المأساة التي حلت بالقارة الإفريقية فجعلتها متقهقرة من حيث السكان عن كل من أوربا وآسيا طوال قرون عدة. وما يمكن ملاحظته هو ان الأفارقة المسلمين هم أكبر من تضرر من هذه الهجرة القسرية؛ لأن وجودهم المكثف في إفريقية الغربية التي كانت هدفًا أساسيًا لهذه التجارة. لم يكن هناك فاصل زمني بين تجارة الرقيق والاستعمار الأوربي، إذ قسمت القارة على الدول المستعمرة في مؤتمر برلين عامي ١٨٨٤م و١٨٨٥م. وهكذا استمرت الهجرة القسرية لكن هذه المرة داخل القارة. فقد أرادت بعض الجهات الاستعمارية إقامة بعض المشروعات الاقتصادية والتنموية في بعض مستعمراتها، فوجدت نفسها عاجزة لنقص العنصر البشري. فجلبته من مستعمرات أخرى (٣٨). هذا ما حدث بالضبط في إفريقية الغربية. عندما أرادت فرنسا أن تربط مستعمراتها في وسط القارة بتلك التي في المحيط بخط حديدي طوله ثلاثة آلاف كيلو متر، وفرضت من أجل ذلك ما سمي بالعمل الإجباري Travaux Forcés. فجلبت له مئات الألوف من المهاجرين القسريين، جلّهم هلكوا قبل أن يكمل العمل، ومن لم يمت منهم أجبر على الهجرة إلى الأبد (٣٩).

في النصف الأول من القرن التاسع عشر، اكتشف زيت الفستق Arachides، وكانت السنغال أنسب مكان لزراعته في المستعمرات الفرنسية، لوجود سهول خصبة، وأراض منبسطة، أجبرت فرنسا الفينيين والماليين والبور كنابيين وغيرهم، على الهجرة إلى السنغال والإقامة فيها إلى الأبد.

والشيء نفسه حدث في ساحل العاج في زراعة البنّ، وغيرها من المستعمرات. أما المجهود الحربي فكان أكبر عامل في الهجرة القسرية فأنشئت فيالق حربية تحمل اسم المنطقة والجهة، مثل فيلق شمال إفريقية (المغاربة والتونسيون والجزائريون)، والرّماة السنغاليين Les Tirailleurs Sénégalais (كل من انضم إلى الجيش الفرنسي من الأفارقة السود)، وغيرهم .. كانوا موزعين على المستعمرات التي تكثر فيها القلاقل والاضطرابات. وكذلك في الحربين العالميتين: الأولى، والثانية. فقد كان هؤلاء الجنود المساكين في مقدمة الجيش، لذلك كانت نسبة الوفيات فيهم في بعض الأحيان تصل إلى حدود ١٠٠٪، مثلما حدث في قلعة الموت Mont Cassin في إيطاليا، التي اقتحمها فيلق شمال إفريقية ضد الألمان في الحرب العالمية الثانية (٤٠).

ما يقال عن الفرنسيين هو الشيء نفسه الذي يقال عن الإنجليز في مستعمراتهم، خاصة في جنوب إفريقية، حيث جلبوا أقوامًا كثيرين من مستعمراتهم الشرقية، الهند وماليزيا، وغيرهما . أما من داخل القارة الإفريقية

فقد جلبوا منها عمال المناجم، وهم من حيث الحقوق أقرب إلى الحيوانات منها إلى البشر. هذه الحالة كانت مقدمة للنظام العنصري في إفريقية الجنوبية الذي رأينا المأساة التي سببها لهذا الشعب. مهما يكن من أمر فإن الهجرة القسرية استمرت إلى غداة الاستقلال حين اضطلعت النخبة الوطنية بمهام البلاد المستقلة، فكانت ترجو أن تسيّر هذه الأوطان إلى التقدم والازدهار، لكن التركة الاستعمارية كانت أثقل من أن تتحول هذه البلدان إلى بلدان مزدهرة اقتصاديًا، وهنا جاءت معطيات جديدة ستكون محور حديثنا القادم(١١).

ب . الهجرة الاختيارية: السؤال الذي يطرح في هذا الفصل هو: هل الأفارقة قوم مهاجرون بطبيعتهم؟ من الصعب جدًا أن نجيب عن هذا السؤال، فالأفارقة أقوام وثقافات وأديان، على الرغم من وجود خيط رفيع يجمعهم، لا يقبل الإنكار ولا التجاهل. في الثقافة الساحلية التي سنتحدث عنها أكثر من غيرها لكون أكثر المهاجرين ينتمون إليها، فيها تناقضات حول الهجرة: مرة ترى في الهجرة صورة قاتمة، ومرة ترى فيها الخير كله: المسافر ميت حتى يرجع: Jaado, ko mai do، يقول الفلانيون. لكنهم من جهة أخرى لا يرضون للرجل الحر أن يعيش في فاقة وحشمة وهو قادر على السفر: السفر حتى الموت، خير من القعود حتى الحشمة: Yaade ha maya, Buri jodaade ha hersa، في بعض الأحيان يرون النسبية المطلقة بين المضارب والأوطان؛ لأن الوطن الحلو في النهاية، هو الذي تعوده الفتى، وليس ذلك الذي ولد فيه، مهما كان عزيزًا وجميلاً: Mhelndi ala, ko Ngoo-wandi Woodi، إلا أنهم لا يفارقون التغني بالوطن ومناجاته، فقد تزوجت فتاة منهم برجل غريب أحبته وفضلته على ابن عمها، فأخذها بعيدًا عن مسقط رأسها، وبعد أن زال الانبهار به، رجع إليها الشوق إلى الوطن فقالت: يَمّه عرفت الحقيقة الآن يمّه، الحب لعبة الصغار يمّه، أما الزواج فهو حكمة الكبار يَمّة، والذين خطبوني ما تزوجتهم يَمّه، والذين تزوجتهم ما خطبوني يَمّه، وطن لا يسمع فيه خوار البقر خراب يَمّه، وامرأة لا تفوح برائحة الزبدة والزعتر رجل يَمّه(١٢).

الهجرة التي كانت معروفة أكثر من غيرها عن الأفارقة في المنطقة الساحلية هي الهجرة الروحية، أي السفر إلى الحرمين الشريفين، والإقامة فيهما حتى الموت؛ لأنّ ذلك من شأنه أن يقرّبهم إلى المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، من رجع منهم من مكة، ولم يمت فيها، يتمنى أن يعود إليها مرة أخرى، وفي الأثناء لا يحبذ أن ينادى باسمه خاليًا ممّا يرمز إلى الحرمين الشريفين أي «الحاج»، هذا الحنين إلى الديار المقدسة يتساوى فيه الخاصة والعامة، الفقهاء والدهماء، اسمع إلى ما يقوله الشيخ عثمان بن فودي الفلاني عندما ودّعه شيخه جبريل بن عمر متوجّهًا إلى الحرمين الشريفين، اغرورقت عيناه وانهمرت دموعه شوقًا لملاقاة المصطفى، الذي طال ما حلم بزيارته في طيبة، لكنّ كثرة المسؤوليات حالت بينه وبين ذلك:

هل لي مسير نحو طيبة مسرعًا

لأزور قبر الهاشمي محمّد

الهجرة التي كانت معروفة أكثر من غيرها عن الأفارقة في المنطقة الساحلية هي الهجرة الروحية، أي السفر إلى الحرمين الشريفين، والإقامة فيهما حتى الموت؛ لأنّ ذلك من شأنه أن يقرّبهم إلى المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، من رجع منهم من مكة، ولم يمت فيها، يتمنى أن يعود إليها مرة أخرى



سيجموند فرويد



فاسكو دي غاما

لمّا فـــشـــا رياه في أكنافـــهـــا
فـتكمش الحـجـاج نحـو مـحـمّـد
غـــودرت منهلّ الدمـــوع مـــوبّلا
شـوقًـا إلى هذا النبي مـحـمّـد
أقـسـمـت بالرحـمـن مـالي مـفـصل
إلا حـوى حبّ النبي مـحـمّـد (١٣)

هذه طبيعتهم، وتلك كانت أحوالهم إلى أن تبدلت بيئتهم نتيجة الاستعمار الذي أهلك الحرث والنسل، وأجبر القوم على فلاحة لم يعتادوها، ولا استطاعت أرضهم أن تتحمّلها، فماتت من جراء ذلك، وزحفت إليها الصحراء مسرعة، وحام الفلاح والراعي حول المدن القصديرية التي لا يتوافر فيها الماء والغذاء الكافيان. أو كما قال تشينوا آتشيبي Chinua Achebe الروائي النيجيري على لسان بطله، متنبئًا بمصير مظلم لهذه المنطقة غداة الاستقلال: إنّ الأرض ستزلزل تحت أقدامك يا بني! هذه الشقوق التي تراها بعينيك، لن تمحي؛ لأن السماء لن ترحمك هي أيضًا، وهذه الرياح ستظل تعفّر وجهك المثقل بالتراب، وهؤلاء أبناؤك سيهربون منك إلى أعدائك متسولين! إنها يا بني لعنة من جدودك عليك! (١٤).

لم تكن الأوضاع في جلّ الدول المستقلة حديثًا سيئة، بل كانت جيدة نسبيًا في كثير من هذه الدول. لذلك كنا نسمع: معجزة دولة فلانية، ودولة علانية شيدت الشوارع الواسعة، والبنايات الضخمة، وتلألأت المدن ليلاً، وظن الناس أن التقدم والرخاء قد حلاّ أخيرًا، ولكن هيهات فقد انخفضت أسعار بعض المنتجات الزراعية والمعدنية على مستوى العالم، فشهدت المقدرة الشرائية المحلية

تدنيًا لا مثيل له. في المقابل ارتفعت أسعار المنتجات المصنعة بشكل دراماتيكي، كما أن الطبيعة هي أيضًا، لم تكن لطيفة مع الفلاحين والرعاة: فقد شهدت المنطقة جفافًا قاسيًا، واستمر فترة زمنية طويلة، حتى أصبح دوريًا . في البداية نزح الريفيون إلى المدينة مقابل خدمات غير ضرورية، لكن روح التضامن الإفريقي على مستوى العائلة والقبيلة، لا تتركهم يموتون جوعًا، كما استطاعت الدول غير المتضررة من الجفاف جنوبًا استيعاب عدد هائل من المهاجرين «المعيشيين» الذين يعملون ليلاً نهارًا كيفما اتفق، ثم يبعثون ما قبضوا عليه من الأجور إلى عائلاتهم مباشرة دون أي تأخير (١٥).

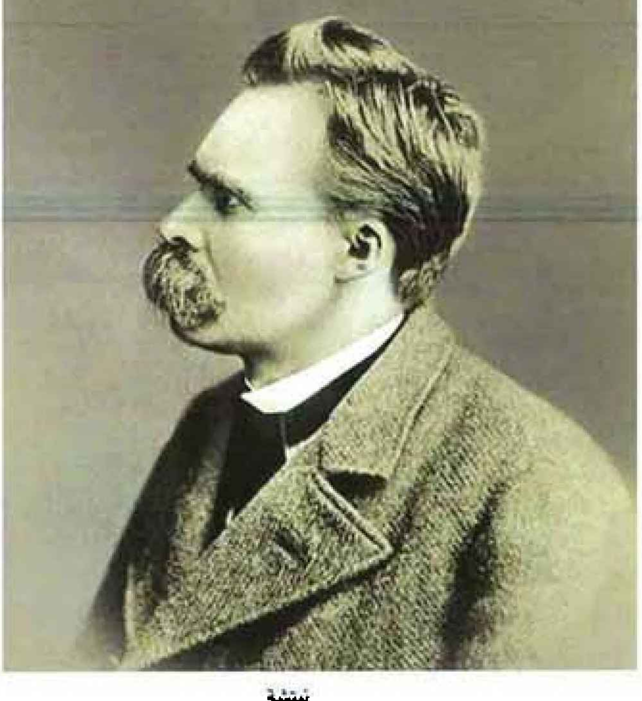
إلاّ أن تلك الدول نفسها دخلت في سلسلة من القلاقل، فانهارت، وبرزت في بعضها الروح الوطنية الممزوجة بالشوفينية والقبلية والطائفية، وكراهية الأجانب .. والحال أن هذه الدول ليست فقط من صنع الاستعمار، لكنها أيضًا من أسوأ ما صنعه، إذ سبق أن رأينا أنه جلب مجموعة سكانية من بعض مستعمراته، وأقحمها في مجموعات أخرى، حيث استقرت عدة أجيال، واكتسبت حق المواطنة من الأرض نفسها التي أقامت بها، في وقت لم يكن يقيم فيها إنس ولا جان، والعرف الإفريقي يقول: من استصلح

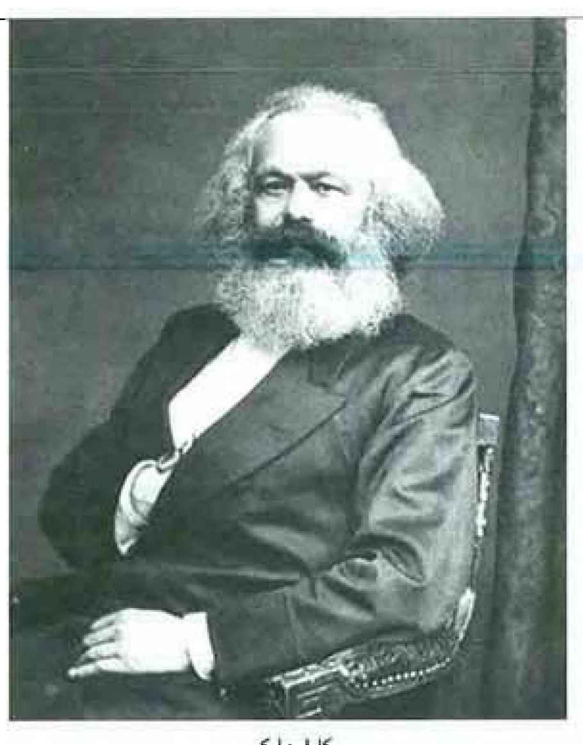
لم يشهد التاريخ شعوبًا مهاجرة بعد الساميين مثل الشعوب الهندو ـ أوربية. فقد انتقلت من جبال القوقاز وسهولها جنوبًا نحو إيران والهند وما جاورهما. وغربًا نحو أوربا الشرقية والغربية واسكندنافيا. وغيرها من المناطق قاطعة عشرات الآلاف من الكيلو مترات في حقب زمنية متعاقبة

المعاناة التي يلقاها فقراء العالم عامة، والأفارقة بصفة خاصة، تكذّب - بلا أدنى شك - أسطورة العولمة برمتها، وعلى الجبّرين والأحرار أن يقاوموها إلى النهاية، عوضًا من التمادي في أحلام وردية لا تسمن، ولا تغني من جوع

أرضًا قبل غيره، فهي له إلى الأبد، ما لم يتنازل عنها: Lewdeko jeido (١٦). كل هذه الأسباب وغيرها أدت إلى تكثيف الهجرة الإفريقية الاختيارية المزعومة، فكان في البداية كلّ هجرة تلد أختها، أي يهاجر فرد واحد من العائلة، فيرسل النقود إلى بقية أفراد العائلة خاصة إلى الشباب ليلتحقوا به في المهجر، وهكذا أصبحت المشروعات بكاملها تدار من المهجر، ممّا صعّد وتيرة الهجرة والتنافس العائلي والفئوي والعرقي. كل مسجد تبنيه مجموعة ما، تبني مجموعة أخرى مسجدًا أجمل منه وأوسع، ولكل مشيخة جولة أو جولتان في العام تجمع خلالهما ما يمكن أن تجمعه من المهاجرين في مناطق وجودهم في المهجر وهكذا .. وفي الأخير انفرط العقد فانهمر السيل، وهبّت تلك الجموع الهادرة، أو كما سمتهم إحدى الصحف المغربية: الجراد الأسود هبت على كامل بلدان إفريقية الشمالية متجهة إلى أوربا، والحال أن هذه الدول نفسها تعاني حمى الهجرة السرية إلى أوربا (١٧).

من الجدير بالتذكير أن الهجرة نقلت معها مؤسسات اقتصادية واجتماعية ودينية .. إلى المهجر، كان من الأفضل لها أن تصلحها، وليس أن تطوّل في عمرها، أو تزيد في تخلفها تخلّفًا آخر. أما ما يسمّى بالهجرة السرّية، فهي في الواقع ليست من السرية في شيء، وإنما هي هجرة كأي هجرة أخرى، الفرق الوحيد بينها


نيتشة


كارل ماركس

وبين غيرها هو أن أوربا لم تعد تعطي التأشيرة لهذا الصنف من المهاجرين؛ لأنهم فقراء وبسطاء، فلم تعدّ لها حاجة إليهم، ما دامت أبوابها مفتوحة للمهاجرين: البيض المسيحيين من أوربا الشرقية، أي ان أوربا نسيت أو تناست تلك السواعد السمراء التي شاركت في بناء ازدهارها الاقتصادي، ومجدها الثقافي، وهبّت لنجدتها مرتين: مرّة في الحرب العالمية الأولى، وأخرى في الحرب العالمية الثانية، لذلك لم يعدّ للمهاجر الإفريقي والمغاربي بصفة عامة صديق يعوّل عليه، إلا الصحراء والبحر. فليكن هذا الأمر واضحًا، أي ألا نأخذ مصطلحات إيديولوجية غربية مأخذ الجدّ، فالغرب تعود خلال ثلاثمئة سنة الماضية على خلق الأساطير، ليدفع العالم كله إلى الإيمان بها على سخافتها، وهي التهمة نفسها التي أطلقها برنار لويس Bernard Lewis، على الشرق عامّة، وعلى العالم الإسلامي (١٨)، الغريب أنّ الغرب بما فيه مجتمعه المدني بارع في لعبة الخبث والنّفاق، ففي الوقت الذي كان يلوم فيه الشرقي على بنائه جدار برلين، وها هو ذا اليوم يقيم جدارًا أعلى وأطول، أي نحو ستة آلاف كيلومتر، من بور سعيد شرقًا إلى طنجة غربًا! في الوقت نفسه يبعث وفودًا من منظمات حقوق الإنسان لتتفقد أحوال المهاجرين «السريين» في معسكرات الاعتقال، وهل وقع احترام كرامتهم الآدمية أو لا؟! وهو يعلم جيدًا أنه ستقع تجاوزات خطيرة في هذه المعسكرات البائسة، كما يعلم جيدًا أنّ أول من داس على هذه الكرامة هو نفسه، لكنه لا يفعل شيئًا؛ لأنه تعود النفاق الدبلوماسي، وفي الوقت نفسه يلوم المغاربة على تصرّفات ينكرها عليهم، وهو أول من قام بها !

إن ما جرى في شواطئ سبتة، ومليلة، وغيرهما من مدن الشاطئ الجنوبي للمتوسط، ليس فقط قضاء على حلم آلاف من المهاجرين «السرّيين»، وإنما أيضًا قضاء على

حلم الملايين من المواطنين داخل الفضاء الإفريقي (الاتحاد الإفريقي) الذين تمنوا أن يروه أملا يتحقق أخيرًا، أي السفر بحرية دون خوف من الحواجز والمخافر، وإذا هم أمام معسكرات الاعتقال داخل فضائهم! هل من خطة جديدة للولوج داخل عقول الشباب الإفريقي وقلوبهم؟ أشك في ذلك؛ لأن العنف المفرط المصاحب للحملة الإعلامية المهينة، لا يترك ذرة من الإيمان في قلب شاب مهان. والحال قد اتفق الخبراء على أن أحسن طريقة لمساعدة الدول النامية، هو تسهيل الهجرة لبعض مواطنيها إلى الدول المتقدمة؛ لأن الأموال التي يرسلونها إلى الوطن الأم أفضل وسيلة للتنمية، وقدّرت العائدات التي أرسلها المهاجرون بمئتين وخمسين مليار دولار في العام، وهذا الرقم أفضل من أي رقم يمكن أن تدفعه الدول الغنيّة إلى الدول الفقيرة، ومع ذلك ترفض الدول الغربية بصفة عامة، والدول الأوربية بصفة خاصة تطبيق التوصيات الأممية؛ لأن الغرب على الرغم مما يسكبه من دموع التماسيح على محرقة الفقراء، فإنه في الواقع لا يريد التنمية في الدول النامية (٤٩). لعلّ هذا ما أثار ألفا عمر كناري رئيس مفوضية الاتحاد الإفريقي عندما قال: إن ما يجري في الشواطئ الجنوبية للمتوسط، لا يمكن السكوت عنه. ثم علينا ألا ننسى أن المنطقتين المجاورتين للصحراء الكبرى مرتبطتان في أكثر من رابطة، خاصة الرابطة الدينية التي قد تكون أكبر متضرّر في المستقبل.

السؤال هو ماذا ربحت القارة من الهجرتين؟ الجواب عن هذا السؤال ليس سهلاً، لأن التأثير في الأمم والشعوب، يظهر عبر الأجيال، وليس في جيل واحد. إلا أننا نستطيع أن نحكم الآن نسبيًا على الهجرة الأولى التي لا يتجادل الاثنان حول تأثيرها السلبي في القارة، مثل: الفقر إلى العنصر البشري بالنظر إلى مساحتها مقارنة بغيرها. كما أنها كانت المنطلق المباشر للاستعمار، الذي نهب ثرواتها، واتخذ أبناءها سخرة؛ ممّا جعلها غداة الاستقلال خالية من أي عنصر إيجابي يعتمد عليه في المجال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

أمّا في العالم الجديد، فقد أسّست هذه الهجرة موقفًا عنصريًا عند كثير من البيض حيال السود، وهذا الموقف على كونه غير مستقر، ولكنه كان وراء جملة من المأساة، التي ما زال السود يعانونها إلى اليوم، للتذكير فقط نقول: إنّ عدد السود القابعين في السجون الأمريكية، أكبر من عددهم في جامعاتها! لكنّ هذه المآسي يجب ألاّ تنسينا النقاط الإيجابية التي حققها السود في أمريكا، منها: أنّ شدّة الحياة وخشونتها علّمتاهم الاعتماد على الذات، فبرزوا في جميع المجالات، خاصة منها الرياضية والفنية، وهم الآن يقودون العالم في هذه المجالات (٥٠).

أما الهجرة الثانية فلا أعتقد أننا نستطيع أن نحكم لها أو عليها الآن، لكن من المؤكد أن الأفارقة سيخرجون منها منتصرين، إذ سيعتمدون على الذات داخل فضائهم الإفريقي الرّحب بعد أن غلّقت على وجوههم كلّ الأبواب، بل إن المتضرر الأكبر على المدى الطويل سيكون المستعمر القديم، الذي يرتبطون به في أكثر من رابطة، خاصة الروابط الثقافية واللغوية (٥١).

اتفق الخبراء على أن أحسن طريقة لمساعدة الدول النامية، هو تسهيل الهجرة لبعض مواطنيها إلى الدول المتقدمة: لأن الأموال التي يرسلونها إلى الوطن الأم أفضل وسيلة للتنمية. وقدّرت العائدات التي أرسلها المهاجرون بمئتين وخمسين مليار دولار في العام

الخاتمة:

في نهاية هذه الدراسة، لا بدّ من وقفة تأمّل في النقاط الآتية: أولاً: إن الهجرة ليست من اختراع الأفارقة، وإنما هي حقيقة إنسانية ضاربة جذورها في أعماق التاريخ. بل إن كان لا بد من إطلاق اسم جامع ومانع على الإنسان، فهو: الحيوان المهاجر! لأنه الكائن الوحيد الذي يختار هجرته بحرّية واختيار فمن طريقها، اكتشف عالمه، واكتشف الآخر ناقلاً إليه حضارته أو آخذًا منه خبرته، وبناء على ذلك يعدّ أي مس أو استنقاص من الهجرة مسّاً واستنقاصًا من الإنسان نفسه، ومن حقوقه المشروعة والمقدسة.

ثانيًا: إن الغرب كمجموعة بشرية، استفاد من الهجرة أكثر من أي مجموعة أخرى على البسيطة، لكنّه لم يعد

المراجع والهوامش

1- C.D. Darlington, The Evolution of man and Society, London, George Allen and Unwin, 1969, Pp. 93 - 125

٢. عبدالرحمن بن خلدون. المقدمة. تونس: مكتبة ودار المدينة المنورة للنشر والتوزيع . الدار التونسية للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م، ص٤٠ - ٤٤، يرى ابن خلدون أن هذه الفرضية وهم لا يمكن دعمها بالحجج والأدلة.

3- C.D. Darlington, Op. cit. Pp. 173 - 195

4- Andre, Parrot, Sumer (Arts of Mankind), London, Thames and Hudson, 1960.

5- C.D. Darlington, Op. cit. Pp. 88 - 110

6- Edwards, Chilperic, The World's Earliest Laws (Hammurabi), London:Watts, 1934

7- Sanders N.K. The Epic of Gilgamesh (Transl. London, Penguin, 1960

٨. فراس سواح. مغامرات العقل الأولى. بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٨م.

9- Understanding the Bible, The Old Testament, London: Oxford University Press, 1966

١٠. أحمد أمين. ضحى الإسلام، ٣ج، دار الكتاب العربي، بيروت، ب. ت/ إسرائيل ولفنسون. تاريخ اللغات السامية، القاهرة: دار المعارف ١٩٢٩م.

11- C.D. Darlington, Op cit, Pp 100-123

١٢. انظر كذلك سمير أمين في دراسة جيدة عنوانها: نحو نظرية للثقافة غير أوربية التمركز. Ibid. Pp. 151 - 174 ، مجلة الوحدة العدد ٥١، ديسمبر ١٩٨٨م، ص ١٢٢ - ١٢٣.

١٣. إميل برييهيية. الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الإسكندري. ترجمه وراجعه: محمد يوسف موسى، وعبدالحليم النجار. القاهرة: شركة ومكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده ١٩٥٤م.

14- C.D Darlington, op. Cit. Pp. 456 - 475.

15- Ali Amin Mazrui, The Africans a Triple heritage, London, BBC Publisher, 1990, p. 25 - 42.

16- The Cambridge History of Africa, Cambridge, Cambridge University Press, 1980, Vol.6, Pp. 145 - 183

17- C.D. Darlington, Op. cit. Pp. 584 - 597

18- BBC World El Dorado, 11/1/2003, 008 GMT

19- Ibid. 008 GMT

20- C.D. Darlington, Op. cit. Pp. 584 - 625

21- Thomas Louis Vincent, La Terre africaine et ses religions, Paris, Larousse, 1975, Pp. 47 - 86

22- Cambridge, Op. cit. Vol. 4, Pp. 258 - 325

23- Olsdeijn, H.L.M, The Political Role of Catholic and Protestant Missions in Colonial Partition of Black Africa, Intercontinenta, no. 3, Leiden 1983, Pp. 25 - 69.

24- Ibid. Pp. 65 - 85

25- Sardar Ziauddin, Postmodernism and the Other, The New Imperialism of Western Culture, London - Chicago: Pluto Press, 1998.

26- Frederic Lenoir, Les Metamorphoses de dieu, La Nouvelle spiritualite Occidentale, Chez Plon Editeur, septembre 2003, Pp. 47 - 58

27- Ibid. Pp. 51 - 65

28- William Blake, Canto One/25

يحترم قواعد اللعبة، التي أوصلته إلى ما هو عليه اليوم من نعـيم، بل هو يريد إبقـاءه عنده عن طريق هجـرة رؤوس الأموال والأعمال جيئة وذهابًا إليه. عندما يمل من الصقيع، أو من روتين الحـيـاة، يركب إلى المكان الذي يختـاره في الخريطة، على جناح السرعة، دون تدابير قنصلية أو حتى الهوية في بعض الأحيان، بدعوى السياحة. في المقابل يقيم الحواجز والموانع أمام الفقراء والبسطاء الذين في الأصل هو الذي وضعهم في تلك الأوضاع البائسة.

ثالثًا: إنّ المعاناة التي يلقاها فقراء العالم عامة والأفارقة بصفة خاصة، تكذّب بلا أدنى شك أسطورة العولمة برمتها، وعلى الخيّرين والأحرار أن يقاوموها إلى النهاية، عوضًا من التمادي في أحلام وردية لا تسمن، ولا تغني من جوع.

29- Lenoir, F. Op.cit. 58 - 59

30- Ariel Colonomos, Evangelistes en reseaux : La Lusophonie a l'epreuve de la latinite, Paris: Syros, 1997. Pp. 16 - 22

31- Ibid. P.13.

32- Ibid. Pp. 17 - 35

33- Popovic, Alexandre, La Revolte des Esclaves en Irak au IIIe/IXe Siecle, Librairie Orientaliste, Paris: Paul Geuthner, 1976.

34- Hunwick, John, Workshop on Slavery and the African Diaspora in the Land of Islam, North Western University, 1999

35- Edward W. Blyden, Christianity, Islam and the Negro Race, London, 1887, repr. Edinburgh: Edinburgh University Press, 1967, Pp. 205 - 285.

٣٦. ولتر رودني، أوربا والتخلف في إفريقية، ترجمة إبراهيم عثمان، سلسلة عالم المعرفة العدد ١٣٢، الكويت ١٩٨٦م.

37- William Blake, Canto One/25

٣٨. ولتر رودني، مرجع سابق ص ١٥٤ - ١٦٥.

39- Paul Marty, L'Islam au Senegal, Paris: Maisonneuve et Larose, 1917 cf Steven Smith, Comment La France a Perdu Son Afrique? Paris: Calmann - Levy, 2005.

٤٠. أحمد بن بلّه، شاهد على التاريخ قناة الجزيرة الفضائية، ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣م، كان الرئيس أحمد بن بلّه من بين الضباط الشبان الذين اقتحموا تلك القلعة المحصنة ودفعوا ثمنًا غاليًا.

41- New African Year Book, I.C. London, 1979

42- Yero Dooo Diallo, Samba e Penda, Cairo: Imprimerie Mondial, 1972

٤٣. ابن فودي عبدالله، تزيين الورقات، صوكتو، مطبعة أبي بكر عثمان بابي، ١٣٨٥هـ.

44- Chinua Achebe, Things Fall apart, Macmillan, 1958, P.52

45- New African Year Book, I.C., London, 1979

46- Amadou Hampate Ba, Amkoullel, L'Enfant Peul, Paris, Babel, 1992

47- Laurent Korea, RFI, Afrique Matin, 14/10/2005, 008:30

48- Lewis Bernard, The Muslims Discovery of Europe, New York, W.W. Norton, 1982, Pp. 123 - 145.

49- BBC World Africa Lives on BBC, 14/10/2005, 009 GMT, 12/10/2005, 009 GMT

50- Alex Haley Racines, Traduit de l'americain par Maud Sissung, Editions ALTA, France, 1977.

.51- Steven Smith, Comment La France a Perdu son Afrique? Paris: Editions Calmann - Levy, 2005

هذا الكتاب كان بمنزلة ناقوس خطر تهدّد بفرنسا في مستعمراتها الإفريقية سواء في الوسط أم في الغرب أم في الشمال، فضلاً عن الأعداد الهائلة من الفرنسيين من أصول إفريقية ومغربية لم تنجح فرنسا في دمجهم داخل المجتمع الفرنسي، إذ وضعتهم في مناطق شبيهة بالمنازل الموبوءة بالفقر والعنف تتفشّى فيها البطالة والمخدرات، إضافة إلى النظرة التي يعانيها قاطنوها، وآخرها التصريح الذي أدلى به وزير الداخلية الفرنسي نيكولا شركوزي Nicolas Sarkozy عندما وصف الشباب المنتفضين في ضواحي باريس بأنهم رعاع Racaille سيأتي بمكنسة كهربائية أو مبيدة الجراثيم Karcher لينظف المكان، ويطهره منهم! وكان هذا التصريح الشرارة الأولى في الأحداث التي بدأت في باريس، ثمّ عمّت البلاد بكاملها، وما زالت تتطور حتى الساعة التي ننهي فيها هذا المقال.



النموذج البريطاني في تقويم جودة البحث والتدريس

وليد محمود الشارود

المنصورة – مصر

في سياق الحديث الدائر عن أهمية إصلاح التعليم والبحث العلمي في جامعاتنا العربية، يظهر الكثير من الأصوات الواعية مطالبة بتطوير أنظمة لتقويم جودة البحث والتدريس بالجامعات، بما يساعد على خلق روح تنافسية بين الأقسام العلمية، تدفعها إلى التطوير والتنمية واستبانة أوجه القصور

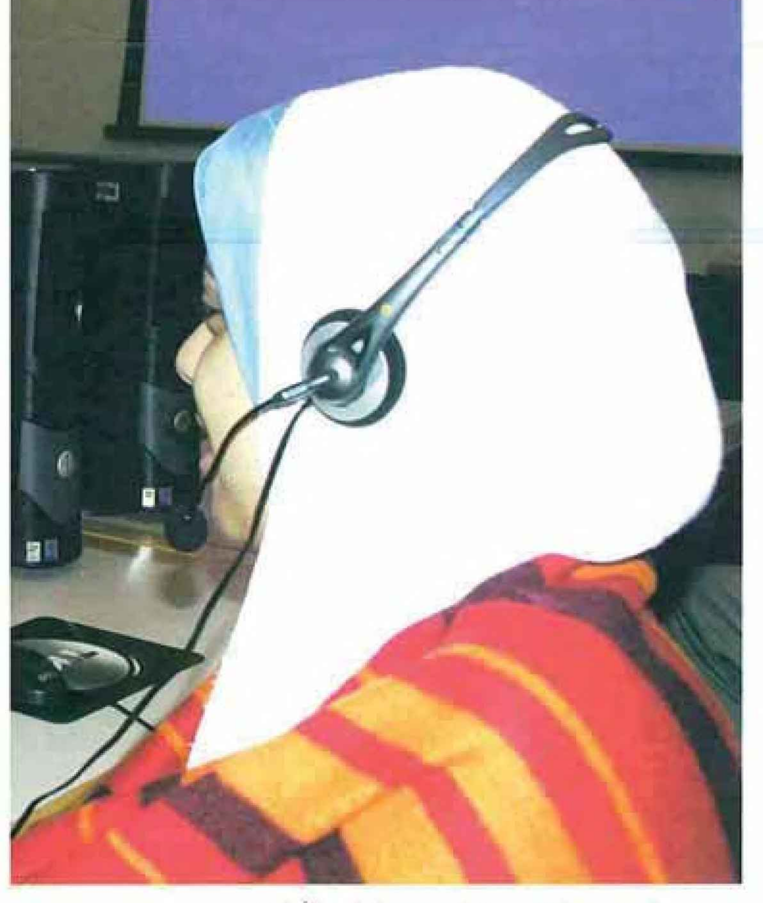
وربما يحتاج هذا الأمر إلى فرق عمل من أكاديميين وتربويين يكون شاغلهم الرئيس هو العمل على خلق أنظمة تقويم تعتمد على الخبرات السابقة في الجامعات الغربية الأكثر تقدمًا، وتكون متوافقة مع طبيعة البيئة الأكاديمية العربية المستهدفة بالتطبيق، ولكننا في هذا المقال نستعرض - وبأسلوب عملي مبسط - النموذج البريطاني في تقويم جودة البحث والتعليم العالي في جامعات المملكة المتحدة.

نعم إنها خمسة!!

في أثناء دراستي للحصول على درجة الدكتوراه بجامعة ريدنج ببريطانيا في الفترة عام ٢٠٠٠م حتى عام ٢٠٠٤م، كان من المعتاد أن نتلقى يوميًا عددًا من الرسائل بالبريد الإلكتروني من إدارة الجامعة، أو رئيس القسم العلمي الذي كنت أدرس فيه، أو سكرتارية ذلك القسم، وعادة كانت هذه الرسائل تتعلق بالأحداث الداخلية بالجامعة، مثل: مواعيد الحلقات النقاشية (سيمينار) أو المحاضرات العامة أو إجازات الكريسماس أو الإيستر...



إلخ. وأحيانًا كانت تتعلق ببعض المناسبات الاجتماعية مثلاً: رسالة تقول: إن فلانًا قد رزق بطفل ويجب تهنئته، أو أن آخر قد مرض ويجب عيادته، وما إلى ذلك. وحقيقة فقد كان لهذه الرسائل على بساطتها دور في شعورنا بالانتماء والتواصل مع الجامعة التي ندرس بها مع أن المشهد العام كان يعطي انطباعًا بأن كل طالب أو عضو هيئة تدريس يعيش في عالمه الخاص، وجزيرته المنعزلة. ولقد توقفت كثيرًا ذات يوم عند رسالة من رئيس القسم كان عنوانها «نعم إنها خمسة!!!» ولقد كانت رسالة ملأى بالنشوة والفرح والشعور بالنصر. وكان ملخصها أنه - اي رئيس القسم - يهنئ جميع أعضاء القسم من طلاب ومحاضرين وباحثين بحصول القسم على تقدير خمسة في تقويم RAE، وأضاف أنه قد حصل على هذه النتيجة بطريقة سرية، وطلب من الجميع - وإن كان ذلك أمرًا مثيرًا للسخرية - كتم الخبر حتى إعلان النتيجة الرسمية. ولعل تلك الفرحة الغامرة لرئيس القسم، وإحساسي بأهمية هذا التقويم هما اللذان جعلاني أحاول التعرف إلى هذا النظام.



تطوير البحث العلمي يحتاج إلى ترسيخ المفاهيم الأساسية

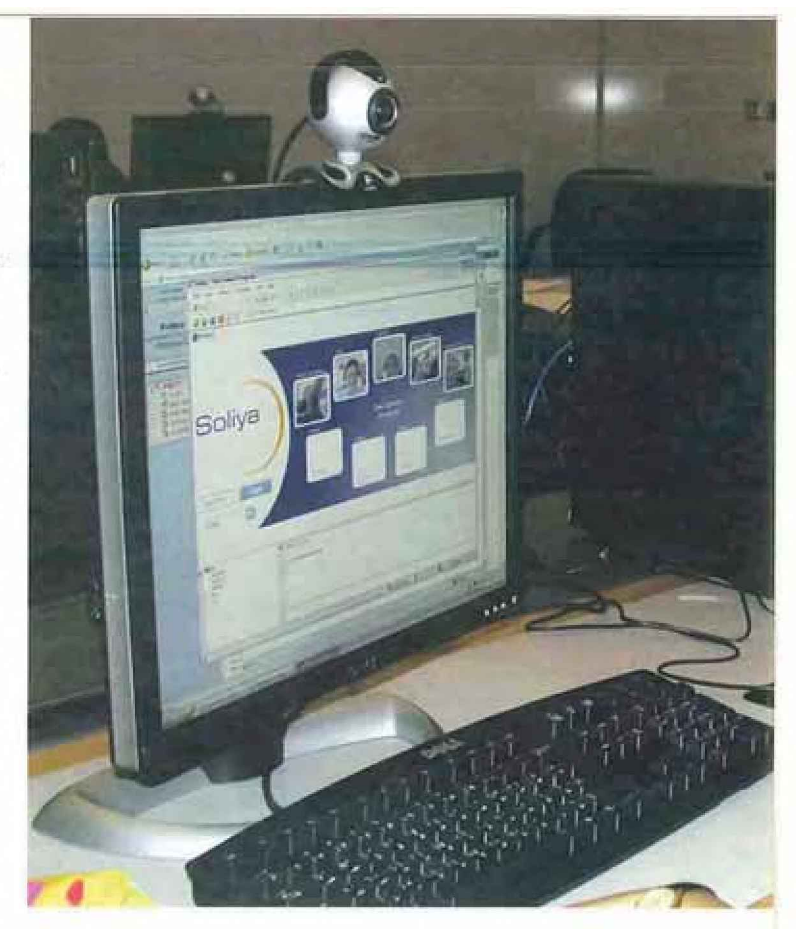
تقويم الجودة البحثية بالجامعات البريطانية

خلافًا لما يحدث في الولايات المتحدة الأمريكية، فإن البنية التحتية Infrastructure للجامعات البريطانية يتم دعمها بواسطة منح حكومية توجه إلى الإنفاق على أجور العاملين بالجامعة والمباني والإصلاحات، وما شابه ذلك، حتى عام ١٩٨٠م كان من المعتاد أن يتم توزيع هذه المنح بطريقة بيروقراطية دون مراعاة الاختلافات في كفاءة الأقسام العلمية بالجامعات وأدائها، ولتحسين ذلك فإنه تم استحداث ما يعرف بممارسة التقويم البحثي Re-search Assessment Exercise (RAE)، التي يتم من خلالها مراجعة الجودة البحثية للأقسام العلمية بالجامعات البريطانية كل خمس سنوات أو ست بواسطة لجان من الأكاديميين المخضرمين، الذين يتم اختيارهم من معاهد علمية مختلفة (نحو ٦٠ لجنة تشمل كل منها ١٥ عضوًا)، وبناءً على نتيجة هذا التقويم يتم تحديد قيمة الدعم المالي الذي تحصل عليه الجامعة.

وتستلزم هذه العملية جهدًا كبيرًا، وقد تستغرق نحو سنة لإتمامها، إذ يتم حصر الأبحاث العلمية، التي قام أعضاء القسم العلمي بنشرها، مع تقويم جودة المجلات المنشورة بها، ومدى تأثير نتائج هذه الأبحاث في تقدم المعرفة وتطورها في مجال التخصص، وقد يوضع في الحسبان أيضًا مدى نجاح القسم في جذب تمويل من هيئات حكومية أو دولية أو تجارية؛ وذلك لدعم الأبحاث التي يتم تنفيذها بالقسم، وبسبب هذا الجهد الكبير، فإن عملية التقويم تستلزم تكلفة عالية - زهاء ٥٠ مليون جنيه إسترليني تم إنفاقها في آخر RAE عام ٢٠٠١م.

ولقد دعا ذلك إلى اقتراح التحول إلى طرائق للتقويم تكون أكثر بساطة، وأقل تكلفة، مثل إجراء مسح إحصائي للأوراق البحثية Research Papers المقدمة من كل قسم وتقدير عدد مرات ذكرها في أوراق بحثية أو منشورات أخرى، وهذا ما يعرف بتحليل الاقتباس Citation analysis، الذي قد يدل على مدى جودة هذه الأوراق البحثية، وقوة

عندما يحصل القسم العلمي على 3b أو أعلى (أي من 3a حتى 5*) فإن هذا يدل على امتياز الجودة البحثية بهذا القسم على المستوى المحلي (البريطاني)، وعلى حصول القسم على الدرجات المرتفعة (5 or 5*) فإن هذا يعني أن جودة البحث به ممتازة على المستوى الدولي



تأثيرها في المجال العلمي المنشورة فيه. لأنه كلما زاد عدد مرات الاستشهاد بالبحث (الاقتباس) في أوراق بحثية

في بدايات إجراء العملية التقويمية كان يتم إعطاء التخصص العلمي أحد ثلاثة تقديرات: ممتاز Excellent، مرْضٍ Satisfactory، أو غير مرْضٍ Unsatisfactory. ولقد تم تغيير هذا النظام ابتداءً من عام ١٩٩٥م، بحيث تم تحديد ستة أوجه يتم تقويم القسم العلمي على أساسها

أخرى دل ذلك على قوة تأثيره في مجال التخصص. وهذا النظام مطبق بالفعل في الولايات المتحدة الأمريكية؛ وذلك كأحد المعايير التي تضعها الجهات الممولة للبحث العلمي عند النظر في طلبات الحصول على منح بحثية. إلا أن هناك الكثير من الجدل المثار حول تطبيقه في بريطانيا؛ وذلك لأن من عيوبه هو زيادة الاقتباس الذاتي Self Citation، الذي فيه يقوم الباحث بتكرار ذكر أحد أبحاثه في أوراق بحثية أخرى من تأليفه من دون أن تكون هناك حاجة حقيقية لذلك. ومن ناحية أخرى فإن تحليل الاقتباس لا يضع في الحسبان تفاوت التركيبة العمرية بين الأقسام العلمية بالجامعات المختلفة، ومدى تأثير ذلك على نتيجة التقويم؛ بمعنى أن قسمًا علميًا أغلب أعضائه من قدامى الأساتذة، الذين أتاح لهم طول العمر أن يقوموا بعدد أكبر من الأبحاث يتم الاستشهاد بها في أوراق بحثية متعددة قد يحصل على تقويم أفضل من قسم علمي، أكثرية أعضائه من الشباب، الذين قاموا - بحكم الوقت - بإنتاج عدد أقل من الأوراق. وفي هذه الحالة لا تعكس نتيجة التقويم فرقًا حقيقيًا في الجودة البحثية بين القسمين. وفقًا لتقويم RAE يتم منح القسم العلمي أحد التقديرات التالية: 1,2,3b,3a,4,5 or 5*.

وعندما يحصل القسم العلمي على 5 أو أعلى (أي من 5 حتى 5*) فإن هذا يدل على امتياز الجودة البحثية بهذا القسم على المستوى المحلي (البريطاني)، وعلى حصول القسم على الدرجات المرتفعة 5 أو 5*، فإن هذا يعني أن جودة البحث به ممتازة على المستوى الدولي. وهو ما يفسر لنا سر نشوة دافيد ليدوارد - رئيس قسمنا بريدنج - في رسالته «نعم إنها خمسة».

تقويم جودة التدريس

لا يقتصر الأمر على تقويم جودة البحث في

الجامعات البريطانية، بل يتم تقويم جودة التدريس أيضًا، ففي خلال الفترة من عام ١٩٩٣م حتى عام ٢٠٠١م قامت هيئة حكومية بريطانية تسمى هيئة تأكيد جودة التعليم العالي (Quality Assurance Agency for Higher Education) بتفويض أكاديميين لتقويم جودة البرامج الدراسية، التي تقدمها الأقسام العلمية لطلاب المرحلة الجامعية الأولى (Undergraduates) وكذلك لطلاب الدراسات العليا (Postgraduates)؛ وذلك بناء على تقارير تقدمها تلك الأقسام، إلى جانب زيارات أسبوعية يقوم بها هؤلاء الأكاديميون إلى الأقسام العلمية.

وفي بدايات إجراء هذه العملية التقويمية كان يتم إعطاء التخصص العلمي احد ثلاثة تقديرات: ممتاز Excellent، مرضي Satisfactory، أو غير مرضي Unsatisfactory. ولقد تم تغيير هذا النظام ابتداءً من عام ١٩٩٥م، بحيث تم تحديد ستة أوجه


الجامعات العربية بحاجة إلى الاسترشاد بالتجارب الناجحة



> لقد ظهرت في هذه الأيام موجة محمودة داخل الجامعات العربية تحت اسم "تطوير التعليم الجامعي" وهي مبادرة مبشرة وواعدة في كل الأحوال، ولكنها ما زالت تلقى اهتمامًا أكبر بالشكل دون المضمون

يتم تقويم القسم العلمي على أساسها، وهي:

- المقررات الدراسية ومحتواها وتنظيمها Curriculum, Content and Organization
- التدريس والتعلم والتقويم (الاختبارات) Teaching learning and assessment
- التقدم الدراسي للطلاب وإنجازاتهم الدراسية Student Progression and achievement
- دعم الطالب وإرشاده Student Support and Guidance.
- مصادر التعلم ووسائله Learning resources.
- تقويم الجودة التدريسية ودعمها Quality assessment and enhancement، وعند تقويم التخصص العلمي في أحد هذه الجوانب فإنه يمنح درجة من ١(الأقل) حتى ٤ (الأعلى) بحيث تكون الدرجة النهائية لمجموع نتائج التقويم على أساس الجوانب الستة ٢٤، ويعد القسم العلمي ممتازًا من الناحية التدريسية إذا تم منحه ٢١ فما فوق.

أنظمة أم أسس؟

رغمًا من المزايا الكثيرة التي توفرها أنظمة تقويم جودة البحث والتدريس، التي تساعد على تقدم الجامعات البريطانية وتطورها، إلا أنه من البديهي أن نذكر أن وجود هذه الأنظمة ليس هو الأساس في تقدم البحث العلمي، والتعليم العالي بتلك البلاد،



تراجع الجودة البحثية للأقسام العلمية كل خمس سنوات

وإنما الأساس هو وجود أسس واضحة لمعنى البحث ومغزى التدريس لدى القائمين عليه... لماذا نبحث؟ ولماذا ندرس؟ إنها أسئلة جدًا بسيطة، ولكنها حرجة.

خلافًا لما يحدث في الولايات المتحدة الأمريكية، فإن البنية التحتية Infrastructure للجامعات البريطانية يتم دعمها بواسطة منح حكومية توجه إلى الإنفاق على أجور العاملين بالجامعة والمباني والإصلاحات، وما شابه ذلك

قد لا يثير استغراب الكثيرين وخاصة الأكاديميين منهم ان نذكر أن هناك كثرة ممن وصلوا إلى مرتبة الأستاذية في جامعاتنا العربية ليس لديهم مفهوم واضح لهدف البحث العلمي وعوامل نجاحه، فعلى سبيل المثال: في العلوم الطبيعية يتصور بعضهم أن نجاح البحث يكمن في استخدام تقنيات متطورة، وأساليب تحليل حديثة، من دون ان يدركوا أن هذا يعدّ عاملاً ثانويًا، وأن العامل الأهم في البحث هو تناوله نقاطًا جديدة لم يتم التطرق إليها من قبل، أو نقاطًا تم بحثها، وما زال هناك نقص في جوانب معرفية خاصة بها، بحيث إنه من خلال ذلك يمكن للبحث أن يضيف



خريجون في جامعة ريدنج البريطانية

إلى المعرفة القائمة في مجال التخصص، وتظل التقنيات وأساليب التحليل أداة، وليست هدفًا للبحث.

والكثيرون من الأكاديميين أيضًا لن يدهشوا إذا ذكرنا أن هناك من الزملاء، من تكون محاضراتهم عبارة عن حصص «إملاء» يقومون فيها بالقراءة من كتاب أو مذكرة، وعلى الطلاب ملاحقتهم في تدوين ما يقرأ عليهم... ولقد ظهرت في هذه الأيام موجة محمودة داخل الجامعات العربية تحت اسم «تطوير التعليم الجامعي» وهي مبادرة مبشرة وواعدة في كل الأحوال، ولكنها ما زالت تلقى اهتمامًا أكبر بالشكل دون المضمون. فكثير من جهد مشروعات تطوير التعليم منصب على استخدام الوسائل الحديثة في التدريس، من عروض كمبيوتر، ومعامل افتراضية، وغير ذلك، وحتى العام الماضي وفي أثناء وجودي للدراسة بجامعة ريدنج بإنجلترا، لم تكن هذه الوسائل متوافرة بالشكل الذي يعطي انطباعًا بأنها أساسية في العملية التعليمية بتلك الجامعة. بل إن أقصى ما وجدته هو استخدام المحاضر لجهاز عرض الشفافيات التقليدي مع توزيع أوراق Handouts تحتوي على النقاط الأساسية للمحاضرة؛ لكي يتمكن الطالب من المتابعة، وإلى جانب ذلك كان هناك اهتمام واضح بقيام الطلاب بتحصيل جزء من المعلومات بأنفسهم من خلال القيام بالبحوث

> يتصور بعضهم أن نجاح البحث يكمن في استخدام تقنيات متطورة، وأساليب تحليل حديثة، من دون أن يدركوا أن هذا يعدّ عاملاً ثانويًا، وأن العامل الأهم في البحث هو تناوله نقاطًا جديدة لم يتم التطرق إليها من قبل، أو نقاطًا تم بحثها، وما زال هناك نقص في جوانب معرفية خاصة بها

المكتبية، مع تنظيم زيارات ميدانية موسمية إلى بعض الأماكن التي يتم ذكرها في المقرر الدراسي (مدرسة، مستشفى، مزرعة نموذجية، ... إلخ).

إن ما يمكن قوله هو أن الجامعات العربية في حاجة ماسة إلى الاسترشاد بالتجارب الناجحة في الجامعات الغربية، وهذا لن يتأتى إلا من خلال أبنائها الذين قضوا فترات طويلة نسبيًا، وتعاملوا بشكل مباشر مع أنظمة البحث والتعليم بتلك الجامعات، والذين - يا للأسف - قد أنفقت عليهم بلادهم الكثير والكثير من دون أن تحاول أن تستفيد منهم، أو تستمع إليهم عند عودتهم، كذلك فإن تطوير البحث العلمي والتعليم الجامعي يحتاج إلى ترسيخ للمفاهيم الأساسية المتعلقة بمعنى البحث والتدريس وآلياته، مما سوف يساعد على تحقيق استفادة واضحة من تطبيق أنظمة تقويم الجودة وغيرها.


حفل تخريج في جامعة الملك سعود بالرياض





قصة أحد الرهبان في تركيا

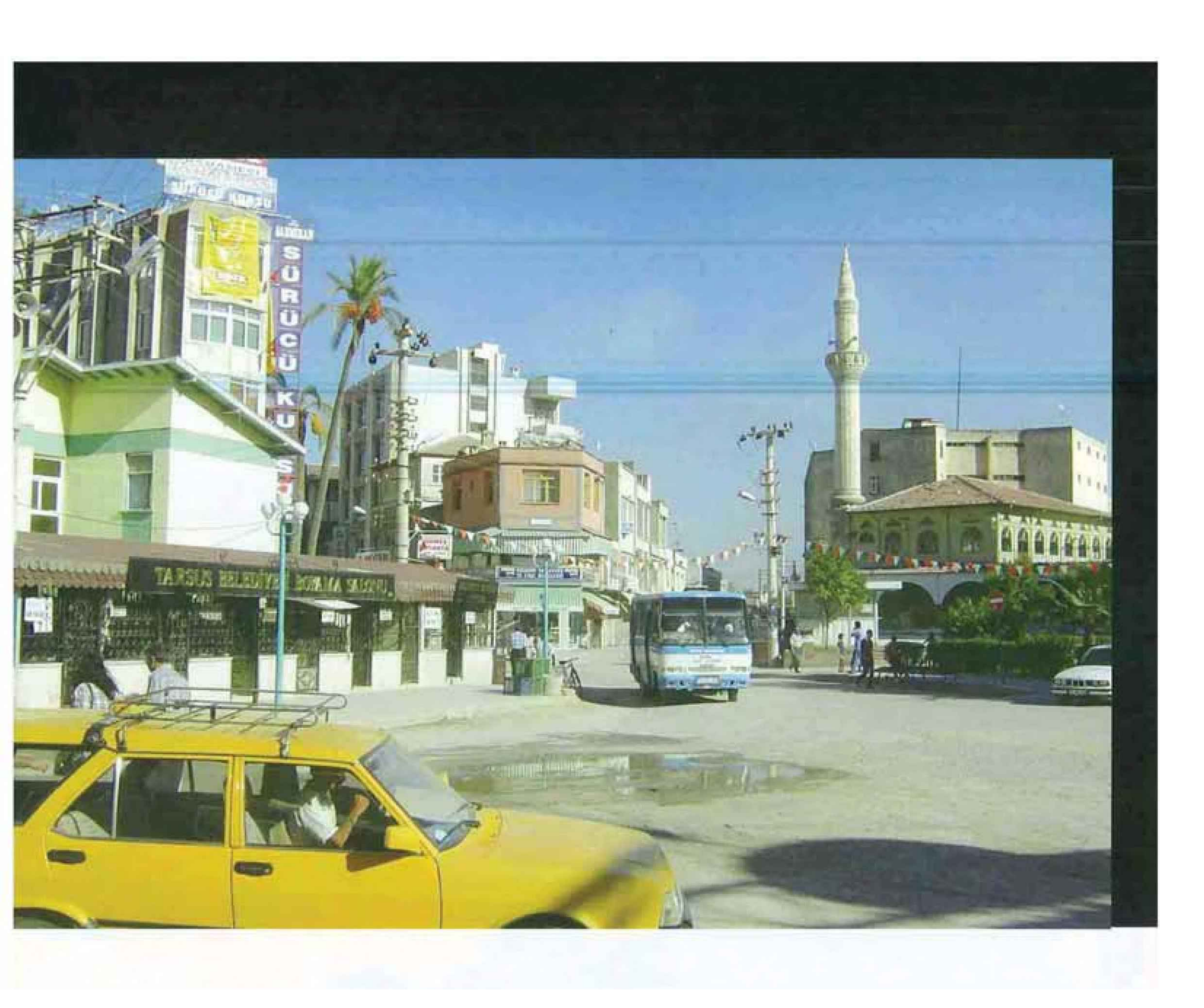
ترجمة: سهيل صابان

الرياض ـ السعودية

تعرف إليه وإلى أعماله الإنسانَ التركي، لما خرج على قناة تلفازية متحدثًا عن الأعمال التي قام بها، وقد وضع على رأسه غطاء؛ حتى لا يعرف شكله. وحسب التصريحات التي أدلى بها، فإنه كان مع المنصّرين منذ عام ١٩٨٧م. وبسبب النجاح الذي أحرزه في عمله التنصيري، فقد ارتقى إلى منصب رئيس الرهبان.

كان آخر عمل له إشرافه على الكنيسة الموجودة في طرسوس. إلا انه انسحب من الكنيسة لما رأى حقيقة أعمال المنصرين. وهو يتحدث الآن عن التنظيم الإداري الذي قضى فيه خمسة عشر عامًا من عمره. والادعاءات التي تحدث عنها ليست بسيطة؛ فقد ذكر أن الميزانية التي خصصتها المنظمات التنصيرية لتركيا هي ٧٣ مليار دولار أمريكي. نعم ٧٣ مليار دولار امريكي. وذكر أن تحويل هذه الأموال الكبيرة يتم عن طريق بعض المؤسسات الأجنبية في تركيا. كما أفاد انه قد تم حتى الآن توزيع خمسة عشر مليونًا وستمئة الف نسخة من الإنجيل في داخل تركيا، وأن تلك الأناجيل قد تمت طباعتها دون أي تصريح، كما أن توزيعها أيضًا قد تم بشكل سري. وأشار إلى أن عدة جهات أجنبية في داخل تركيا تقدم لهم مساعدات، وأن هذا الدعم المالي يصل إلى مبالغ طائلة.

جمع إلكَر جنار خواطره في كتاب (باللغة التركية) سماه «حلُّ اللغز». وهو لا يستطيع الإجابة عن بعض الأسئلة بشكل دقيق. ولما وجهنا إليه سؤالاً عن المكان الذي كان



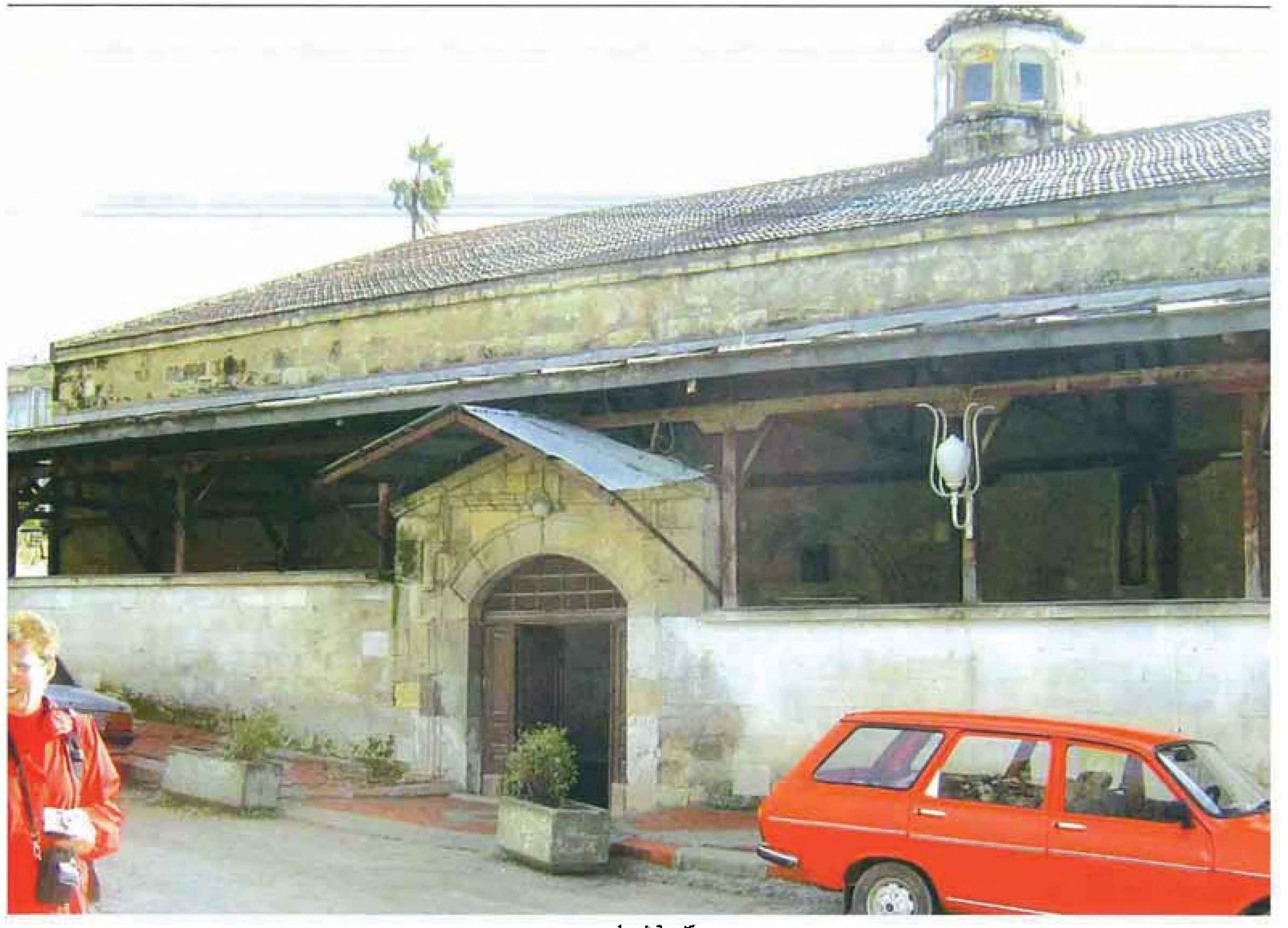
يقطنه خلال ست سنوات، من عام ١٩٨٧م - ١٩٩٣م، فقد تهرب عن الإجابة، بحجة أنها تتعلق بمسألة الأمن. وقد عمل إلكر جنار في مناطق تركيا كافة مع المنصرين، وتعرف إلى المنظمات التنصيرية، ولا شك أن الإعلام سيتحدث عنه في الأيام القادمة أيضًا. إلا أن الكثير من الأسئلة عن حياته، وعن الأعمال التي قام بها ما زال خافيًا.

- فلنبدأ منكم، من هو إلكر جنار، وما هي أسرته، ومن اين قدمتم؟

أنا من مواليد طرسوس في ٢٠ يناير عام ١٩٧٠م، وأسرتي في الأصل من مدينة سيواس. وقد هاجرت إلى طرسوس عام ١٩٣٠م. وكان والدي خياطًا من الطبقة المهنية المتوسطة. ونحن أربعة إخوة.

◆ وكيف كانت الحياة الدينية لهذه الأسرة التي أخرجت راهبًا في ما بعد؟

– كان والدي يصلي من العيد إلى العيد.. لكن كان ينصحنا بتعلم أمور الدين. ومع أنه لم يعلمنا شيئًا في ذلك، إلا أنه كان لديَّ تحمس لتعلم المسائل الدينية. وفي الوقت الذي كنت فيه طالبًا في المرحلة



كنيسة في طرسوس

الثانوية كنت أبحث في مباحث دينية.

◆ كيف تعرفت إلى المنصرين، ومن هو أول منصر تعرفت إليه؟

- كنت في الصف الثالث الثانوي، وقد وجدت إعلانًا في إحدى الصحف عن التوزيع المجاني للإنجيل. فأرسلت خطابًا طلبت فيه نسخة منه. وقد وصلتني ومعها استبانة بعض الأسئلة. فأجبت عنها، وأرسلتها، ثم وصلتني استبانة أخرى فأجبت عنها، وأرسلتها، ثم أخرى وأخرى.

أكاديمية تيرانوس للإنجيل هي مدرسة (أكاديمية) معترف بها عالميًا، والتكاليف المالية للمدرسين والمدرسة من الخارج، والتعليم الموجود في المدرسة عالٍ ومرموق جدًا، ويطلق على المتخرج في هذه المدرسة "المنصر" أو "رجل الدين"



إلى أن قدم أحد المنصرين مع استبانة جديدة.

• ما هو المكان الذي كنت تراسله؟

- مركز إعلام الإنجيل. وهو في إستانبول. وهو المركز الذي يتم فيه تنظيم الفعاليات التنصيرية وتنسيقها، ويشرف عليه أحد الأجانب، ويتم تنظيم المنصرين، والإشراف عليهم، وكذلك تنظيم عملية توزيع الأناجيل من هذا المركز.

• هل كان هذا المركز يرسل منصرًا وإنجيلاً إلى كلِّ من يطلب منه؟ أو بعبارة أخرى لماذا أرسلوا إليك منصرًا مع كتب أخرى؟

- أنا تابعت الدورات، وأجبت عن الأسئلة أجوبة واضحة، فصوَّرت لهم وجهًا مختلفًا وطريفًا. وأجبت عن كل خطاب جاءني، ثم أرسلوا المنصّر بعد هذه المرحلة. وفترة المراسلة استمرت ثلاثة أشهر تقريبًا.

• من الذي قدم إليك؟

- هاينز ويس السويسري. وبناءً على الأجوبة التي أجبت بها عن الأسئلة فقد ذكر لي أنني على الطريق المستقيم، وكان يشجعني على المضي قدمًا في هذا المسلك؛ فبدأت أبحث وأتعلق بالنصرانية.

• ماذا كانت ردة فعل أسرتك؟

- كنت أفعل ذلك بشكل سري؛ لأن والدي إن سمع بذلك كان سيطردني من المنزل.

• ماذا عملتَ مع هاينز ويس؟

- كان ويس مهتمًا بي، وكنت أدرس النصرانية، وكان موسم الصيف لعام ١٩٨٧م. إلا أنني تركت الموضوع، وابتعدت عن المنصرين مدة من الزمن.

• كم كانت تلك المدة؟ وماذا عملت فيها؟

- عملت في هذا العمل (ولم يصرح به المتنصر) ست سنوات.

• ما نوع العمل الذي قمت به؟

- لا أريد أن نتحدث عن هذا الموضوع.

• هل المؤسسة التي كنت تعمل فيها دائرة حكومية رسمية؟

- نعم دائرة حكومية. إلا أنني لا أستطيع الإدلاء بأشياء أخرى عن هذه الدائرة.

• طيب، كيف بدأ العمل عام ١٩٩٣م؟

- قمت بالاتصال بهانز ويس من جديد، فعرَّفني على منصرين آخرين. وبدأت بالعمل في مركز تعليم الإنجيل عام ١٩٩٣م. وقد أخبرت عن نفسي بأني أصبحت نصرانيًا. وتم تعميدي بعد سنة.

• ألم يسألك أحد طوال ست سنوات، وماذا كنت تعمل فيها؟

- في الحقيقة لم يسألني عنها أحد. والشخص الواحد بالنسبة إلى هؤلاء النصارى كان مهمًا جدًا. وقد تطورت صداقتنا فجأة، كأنهم كانوا ينتظرونني، فحصلت على العمل فورًا، وبدأت أكسب أموالاً كثيرة.

• ماذا كان منصبك؟ ولماذا كانوا يدفعون لك المال؟

- كنت أعمل في مركز تعليم الإنجيل، وكنت أرد على الخطابات الواردة، وأقوم بزيارة بعض الناس، وكنت أحصل في الشهر على ٤٠٠ دولار، يضاف إلى ذلك أنهم كانوا يوفرون حاجاتي كلها. وكنت أنظر في أعمال الكنيسة.

• الكنيسة الموجودة في طرسوس، متى فتحتموها؟

- فتحنا أول منزل كنسي عام ١٩٩٤ - ١٩٩٥م. وكنت أقرأ الكتاب لمن يأتوننا. وكانت المواد أصلاً جاهزة. ومن

جمع إلكر جنار خواطره في كتاب باللغة التركية سماه "حلُّ اللغز". وهو لا يستطيع الإجابة عن بعض الأسئلة بشكل دقيق. ولما وجهنا إليه سؤالاً عن المكان الذي كان يقطنه خلال ست سنوات، من عام ١٩٨٧م - ١٩٩٣م. فقد تهرب عن الإجابة، بحجة أنها تتعلق بمسألة الأمن



خلال شهادة حصلت عليها من فيرجينيا أصبحت راهبًا، ثم ذهبت بعد ذلك إلى أكاديمية الإنجيل تيرانوس.

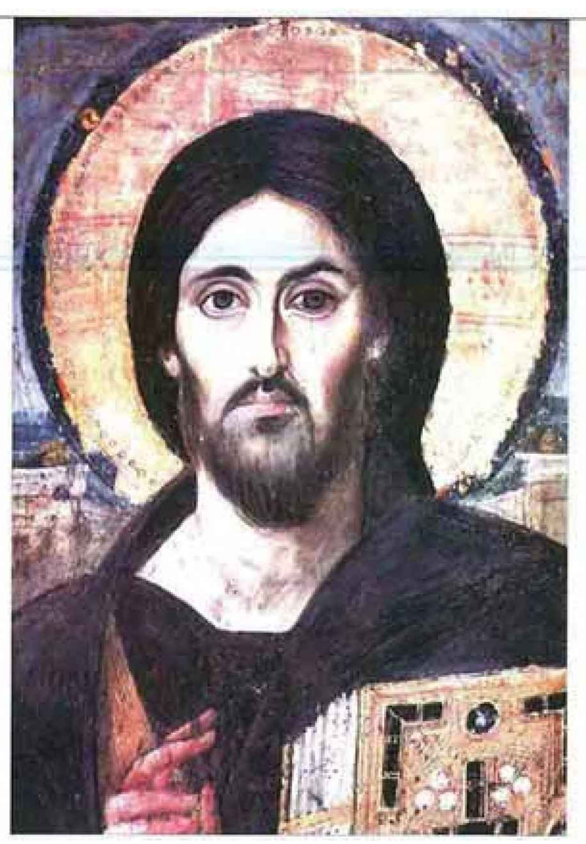
• ما هي أكاديمية تيرانوس للإنجيل؟ وما دورها في أعمال التنصير؟

- هذه الأكاديمية تابعة لبريطانيا. وقد أنشئت في مدينة سلجوق التابعة لولاية إزمير بمساعدة جمعية المنصرين الإنجليزية، وهي مدرسة (أكاديمية) معترف بها عالميًا، والتكاليف المالية للمدرسين والمدرسة من الخارج، والتعليم الموجود في المدرسة عال ومرموق جدًا. ويطلق على

مركز إعلام الإنجيل في إستانبول: هو المركز الذي يتم فيه تنظيم الفعاليات التنصيرية وتنسيقها، ويشرف عليه أحد الأجانب، ويتم تنظيم المنصرين، والإشراف عليهم، وكذلك تنظيم عملية توزيع الأناجيل من هذا المركز

مسجد في طرسوس كان كنيسة في السابق




ميزانيات ضخمة لمنظمات التنصير

المتخرج في هذه المدرسة «المنصر» أو «رجل الدين». ويبدأ عمله مساعدًا للراهب. وأنا تخرجت عام ٢٠٠٠م في هذه الأكاديمية. وأخذت تعليمي مع زوجتي من هذه المدرسة.

• فلنتحدث عن أسرتك. اسم زوجتك إسلامي، أما أولادك فأسماؤهم نصرانية. ألم تكن زوجتك تعلم بنصرانيتك لما تزوجتها؟

- لا، زوجتي لم تكن تعلم أنني كنت نصرانيًا، ولأنني كنت قد كسبت ثقتها فلم يصبح ذلك مشكلة. ثم أخبرتها بالأمر قبل الزواج.

• كنت راهبًا. وكنت حتى هذا اليوم تُعلم أطفالك النصرانية، والآن غيرت دينك. فماذا ستعلمهم؟

أخذ أولادي (ألفن ٥ سنوات، إليزابيث ٣ سنوات) حتى هذه السن التعليم النصراني، وكانا يذهبان معنا إلى الكنيسة، وتعلما الأدعية مثل النصارى، وسوف ننظر في أمرهما في ما بعد.

• إذا رجعنا إلى مدرسة تعليم الإنجيل للمرة الثانية. سبق أن ذكرت أنك تعرفت في هذه المدرسة مساعدك سنان يوروملاز؟

- يجب أن أوضح نقطة. سنان كان أحد عشرات الأشخاص من حولي، وهو لم يعمل كثيرًا في الكنيسة. ولم أكن أعطيه كثيرًا من الصلاحيات. إلا أنه بالنظر إلى استبساله في الخروج إلى الإعلام، فقد خرجنا معًا (أي من النصرانية). وهو ابن خالتي في الوقت نفسه.

• ما هي المنظمة النصرانية التي عملت فيها خلال خمس عشرة سنة؟ ومن يرأسها، ومن هم في المستويات الدنيا؟

- المشرفون على هذه المنظمة هم أجانب، والحقيقة أن الأشخاص الذين يتصدون للإعلام (أي بأسماء إسلامية تركية) هم الزعماء الروحانيون للعالم التركي، مثل تورغاي، وإحسان، وعيسى ليس لهم أي منصب في هذه المنظمة، وهؤلاء هم في الحقيقة دمى، يستخدمون من لدن الأجانب الذين يخفون شخصياتهم الحقيقية. وهم (أي الأشخاص الأتراك الموجودون في المواجهة) أناس طيبون، وليس لهم أي دور في الإشراف أو ترؤس المنظمة.

• يعني أن الأتراك النصارى مستخدمون كواجهة؟

- نعم تمامًا. فالأجنبي يأتي بالمال والتخطيط، ويجد المتعاون البلدي، فيقول له: هذا هو المال، افتح كنيسة في المكان الفلاني، اهتم بالشخص الفلاني في المكان الفلاني، وهكذا يقدم لهم التعليمات.

• من أين هذه الأموال، ومن يأتي بها، وكيف يؤتى بها؟

- يجب أن نعلم أن كل هذه الأموال خارج السجلات، ولا تأتي عن طريق البنوك، بل تورد إلى البلد نقدًا، ويدًا بيد.

• ما هو المبلغ الذي يدخل إلى البلد (لأعمال التنصير)؟

- مبالغ خيالية لا يمكنكم أن تخمّنوها.

◆ كم يعني؟

- ٧٣ مليار دولار. فمنظمات التنصير العالمية خصصت ميزانية ٧٣ مليار دولار لتركيا.

◆ هل قلت ٧٣ مليار دولار؟ هذا مبلغ كبير مثل ميزانية دولة. ففيم تصرف هذه الكمية الكبيرة؟ وكيف تصل إلى البلد؟

- هذا المبلغ الكبير من المال لا يأتي دفعة واحدة. بل يأتي قسمًا قسمًا. وليس هناك من داع لجلبه بالقوارب، وتركه في السواحل؛ وإنما يأتي هذا المال من خلال بعض المراكز الخارجة عن نطاق الرقابة. ومن خلالها يمكن التحويل على الفور.

◆ ومع كل ذلك فإن مبلغ ٧٣ مليار دولار مبلغ كبير، كان فيه مبالغة؟

- بحسب قيود مركز تعليم الإنجيل كان عدد المنصرين الذين عملوا في تركيا من عام ١٩٩٣ - ٢٠٠٤م (١٠٨٩) شخصًا. وراتب الشخص الواحد منهم يراوح بين ٨٠٠٠ و ٥٠٠٠ دولار حسب مستواه. يضاف إلى ذلك أنها تدفع لهم مصروفاتهم، ومصروفات الكنيسة، وطبع الأناجيل، وكلها يتم من خلال هذا المركز.

◆ طيب، لكن كل المنازل الكنسية التي رأيتها كانت بسيطة ومتواضعة جدًا، والمنصرون يعيشون عيشًا متواضعًا. فإذا كان هذا المبلغ الكبير يرسل إلى تركيا، ففيم يصرفونه؟

- هم يظهرون لكم هكذا فهم يصرفون أموالاً طائلة، لكن لا يمكنكم رؤيتها، وعلى سبيل المثال في اجتماع عقد في إستانبول في ٨ أكتوبر عام ٢٠٠٣م بدأت الأعمال التمهيدية لفتح قناة تنصيرية، أطلق عليها اسم «ترك ٧».

◆ ممن كنت تستلم المال؟

- كان شخص أمريكي يدعى توماس توفيلون هو الذي كان يدفع لنا المال؛ فهو المسؤول عن هذه المنطقة، وقد حُكم بتهريب الآثار التاريخية، وحكم عليه. وفي فترة المحاكمة هرب من تركيا.

◆ ما هي التعليمات التي كان يسديها إليكم، ويبدو أنهم لم يكونوا يعطونكم تلك الأموال لتأكلوها،

بحسب قيود مركز تعليم الإنجيل كان عدد المنصرين الذين عملوا في تركيا من عام ١٩٩٣م ـ ٢٠٠٤م (١٠٨٩) شخصًا. وراتب الشخص الواحد منهم يراوح بين ٨٠٠٠ و ٥٠٠٠ دولار حسب مستواه. يضاف إلى ذلك أنها تدفع لهم مصروفاتهم، ومصروفات الكنيسة، وطبع الأناجيل

BUSH
DÖRT DÖRTLÜK
BİR MİSYONER



استهداف مستمر للمسلمين في تركيا

وتصرفوها على أنفسكم؟

- كانوا يطلبون منا العمل على العلويين، والأكراد بشكل خاص، والحقيقة أن جميع الكنائس تركز دائمًا في تشويه صورة الدولة لدى العلويين والأكراد، وأنهما من المجتمعات المقهورة المستضعفة. والمنصرون لا يحبون الأتراك أبدًا، ولا يثقون بهم.

◆ فكيف إذًا يمنحون لشخص لا يثقون به رتبة الراهب، ثم يعطونه راتبًا على ذلك؟

- انا كنت بابًا لرزقهم، واقوم بخدمتهم، وتحقيق مآربهم، وحتى لو لم يحبوني إلا أنهم كانوا مضطرين إلى العمل معي.

◆ إذا نظرنا إلى الخريطة، لا نجد لكنائسهم أو لمنازل الكنيسة أي وجود في شرق الأناضول. وأنت قلت إنهم يحبون العلويين والأكراد. ويركزون في العمل فيهم. أليس هذا كلامًا متناقضًا؟.

- الأكراد والعلويون باتوا يعيشون في غرب الأناضول، فإن قام المنصرون بفعاليات التنصير في الشرق فإنهم يجلبون الانتباه، وهم يقومون بأدوار ناجحة.

◆ وأنت أيضًا قمت بدور ناجح طوال خمس عشرة سنة؟

- أنا كنت أيضًا مسرحيًا، وكنت مضطرًا إلى ذلك، كان لا بد لي من كسب المال.

◆ هل أصبحت راهبًا لجلب الأموال؟

- كسبنا أموالاً كثيرة، وكانت لديّ صلاحية صرف الأموال دون حد أو حساب.

◆ ماذا كنتم تعملون في الكنيسة؟ ومدينة طرسوس معروفة


إحدى الكنائس في طرسوس

بأنها محافظة ووطنية (أي قومية)؟ ألم تتعرضوا للانتقاد؟!

- صحيح طرسوس مدينة قومية، وكنا نتعرض للانتقاد، ولا سيما من رئيس البلدية، لكن نحن كنا قد حددنا الفقراء هدفًا للعمل، وكنا نتجول منزلاً منزلاً، ونقدم لهم المساعدات المالية والأغذية. ثم نوزع عليهم الأناجيل، والمواد المتعلقة بالنصرانية، وكانت أعمالنا تلقى التشجيع من خارج تركيا أيضًا. في الكرسي الذي جلست عليه كان أحد الجنرالات الذي عمل في العراق قد جلس عليه، وكان قد قدم مع المنصر الذي يدفع لي الراتب.

والقسم الذي كنت أتبعه كان قد ربّى عشرة أشخاص مثلي. إلا أنني كسرت الحلقة. والتسعة الباقون مازالوا على رأس العمل.

◆ أين هؤلاء التسعة؟

- مازالوا يعملون بفعالية تامة، وهم على رأس كنائسهم، ولا أقدم أسماءهم؛ لأن كل إنسان لابد له من أن يوفر لنفسه لقمة العيش، ولا بد من أن يؤمن بشيء.

◆ وإذا أتينا إلى أعداد المنصرين والأناجيل، فقد ذكرت أنه «تم توزيع ثمانية ملايين نسخة من الإنجيل مع مساعدك سنان، وأنه تم توزيع خمسمئة ألف نسخة في مدينة أورفا (الرها) وحدها». ومعروف أن عدد سكان مدينة أورفا ٣٨٠ ألف نسمة. وإذا أضيفت إليه القرى والضواحي التابعة لها فلا يصل إلى خمسمئة ألف نسمة. وحسب ما ذكرت يبدو أنكم قد وزعتم الإنجيل حتى على الطفل الصبي في المهد، فكيف حصل هذا؟

- عدد الأناجيل التي تم توزيعها في تركيا خلال عشر سنوات: ١٥ مليونًا و٦٠٠ ألف نسخة.

◆ كيف؟ نحن نحاول أن نفهم ٨ ملايين نسخة، وأنت قفزت إلى ١٥ مليونًا؟ فكيف تم توزيع كل هذه النسخ؟ وكيف طبعت؟ وكيف موّلت؟

- يتم طبع الإنجيل بشكل سري، وهناك مطبعة لديها إذن رسمي بطبع الإنجيل، فتقوم بطبع عدة آلاف من النسخ، أو مئة ألف نسخة، لذر الرماد في العيون. ثم يوزع بشكل سري أيضًا. وأنا عملت سنوات طويلة في قبو الكنيسة في نسخ المواد السرية.

◆ أنا في الحقيقة لا أستطيع أن أفهم: كيف تتم طباعة ١٥ مليونًا و ٦٠٠ ألف نسخة من الإنجيل بشكل سري؟ ومن الذي يستطيع طباعة هذه الكمية الكبيرة من

ضحيت بنفسي الآن للأعمال المناوئة للتنصير. وسوف أبرز للمجتمع إرهاب التنصير. حتى لا يتعرض بنو جلدتنا للتذويب الثقافي. لكن ليس في المجال السياسي بطبيعة الحال. وقد عرضت عليّ بعض الأحزاب السياسية الترشيح لنيابتها. لكنني لم أقبل بها

الأناجيل؟ وأين؟ وكيف يتم التمويل؟

- لم تطبع كلها دفعة واحدة، بل في فترة عشر سنوات. وأنا وحدي قد قمت بتوزيع خمسة آلاف إنجيل في مدينة طرسوس، والمنطقة المجاورة لها.

◆ لكن مع ذلك، لا أرى من المنطق في شيء مقولة توزيع خمسمئة ألف نسخة من الأناجيل في مدينة أورفا التي تتكون من ٢٨٠ ألف نسمة، وهي معروفة بأنها مدينة محافظة؟

- هذا الكلام قاله سنان. ولا أدري من أين اقتبسه.

◆ أين وزعتم تلك الأناجيل؟

- وزعناها في كل الأماكن، بل أرسلناها حتى إلى الجمهوريات الإسلامية، بل وزعنا أناجيل حتى باللغة الكردية.

◆ من أين أتت الأناجيل الكردية؟

- من ألمانيا، كنا نطلبها، وكان توماس يزودنا بها.

◆ يجب أن يكون المترجم ملمًا بالنصرانية واللغة الكردية؛ حتى يستطيع القيام بترجمتها، فمن هم هؤلاء المترجمون؟

- أنت إذا نويت العمل فسوف تجد، وهناك قوى كثيرة تلعب على الأكراد.

◆ من الأمور التي جرى الحديث عنها كثيرًا المنازل الكنسية، فكم عدد المنازل الكنسية في تركيا؟

- يتم التوجيه من مركز تعليم الإنجيل، وهناك ١٠٨٩ شخصًا تابعًا لهذا المركز. أما من يعمل بشكل مستقل من المنصرين فعددهم ١٨٨٣. وتوجد المنازل الكنسية في كل الأماكن؛ لكنها لا ترى.

◆ ما هو الهدف الأساسي للمنصرين؟

- هدفهم تنصير الأتراك، ويريدون تقسيم تركيا. ويعملون على إبعاد الإنسان التركي من دينه وأعرافه وتقاليده.

◆ سبق أن ذكرت أنك كنت تستلم مبلغ ألفي دولار لما كنت راهبًا (وذكر ذلك في كتابه بأنه خمسة آلاف دولار). وبعد انفصالك عنهم كيف تعيش؟

- سوف أنظر (إلى القيام بعمل ما). وأنا أصرف حتى الآن مما كسبته سابقًا. وقد ألفت كتابًا، وسوف أقوم بتأليف كتب جديدة.

◆ أريد أن أسألك عن الوضع المتعلق بجماعتكم، فقد بذلت الجهد لتحويل بعض الناس إلى النصرانية حتى اليوم. فماذا تقول لهم اليوم؟ (أي بعدما تركت النصرانية، وهم بقوا فيها).

- أنا لم أخرجهم من دينهم، بل عملت على الكسب (المادي) مع مرور الزمن، وتركتهم في حالهم. ومن يريد منهم يذهب إلى حاله. وأنا لا أقابل مع قسم كبير من الجماعة. وأحاول أن أشرح آرائي من خلال الإعلام، أو بتأليف الكتب، وهم أحرار في اختيار ما يحلو لهم.

◆ ماذا سيعمل إيلكر جتار بعد ذلك؟

- أنا كنت في بحر من السمن والعسل، وقد رفضته. ووضعت يدي تحت الحجر. وضحيت بنفسي الآن للأعمال المناوئة للتنصير، وسوف أبرز للمجتمع إرهاب التنصير، وسوف أعمل مقاومًا للتنصير، حتى لا يتعرض بنو جلدتنا للتذويب الثقافي. لكن ليس في المجال السياسي بطبيعة الحال. وقد عرضت عليّ بعض الأحزاب السياسية الترشيح لنيابتها، لكنني لم أقبل بها. والعالم النصراني لم يستطع التغلب من خلال الحروب الصليبية، ويعمل الآن للتغلب من خلال المنصرين، وسوف أصر على مقاومتهم.

الهوامش

مجلة أكسيون (التركية): ٢٥ أبريل ٢٠٠٥م

أجرى اللقاء آدم ياوزر أرسلان



ناطحات السحاب

جسور الأرض التي تعانق السماء

خالد خلف زيدان مهني

المنيا - مصر

منذ القديم والإنسان يحاول أن يبرز قوته وقدرته على تجسيد طموحه إلى واقع ملموس، يتجاوز به حضارات سابقيه، ويفاخر به حاضره ومستقبله؛ وذلك من خلال أبنيته الضخمة التي أخذ يرتقي بها عبر الفضاء، محاولاً أن يلامس السحاب، أو يعانق السماء، فأبدع في العصر الحديث أروع نماذج العمارة قيمة ونفعاً، ألا وهي ناطحات السحاب.

الولادة العسرة

منذ منتصف القرن التاسع عشر بدأت المباني المرتفعة تكثر في مدينة شيكاغو الأمريكية؛ وذلك هرباً من المياه التي كانت تحيل الشوارع إلى قنوات. ولكن كان من النادر مشاهدة مبنى يتجاوز ارتفاعه ستة طوابق؛ لأن ثمة عددًا من المشكلات والعقبات كانت تحول دون ذلك، منها أن مواد البناء التقليدية كالحجارة والطوب كانت ثقيلة جداً، وتنهار تحت ثقل نفسها، كلما تصاعد المبنى، بالإضافة إلى صعوبة ضخ المياه - بسبب ضعف الضغط المائي - إلى أكثر من خمسة عشر متراً. فضلاً عن ان عملية تسلق السلالم أمر مرهق، وغير مستحب للكثيرين

ولم تثن هذه العقبات عزيمة المهندس المعماري الأمريكي «وليم لوبارون جيني» فأطلق العنان لمخيلته، وفكّر في أن هيكلاً مصنوعاً من قضبان متينة سيكون قادراً على تحمل المبنى المرتفع، وكانت المادة المثالية لبناء الهيكل المعدني هي أعمدة الصلب المدلفن، التي كانت قد ظهرت حينها في الأسواق على يد الإنجليزي هنري بيسمر، وامتازت بخفة وزنها، وصلابتها في الوقت ذاته،



وبذلك أمكن لـ «جيني» أن يتغلب على مشكلة الأحمال الثقيلة للمبنى المرتفع، ثم كان عليه أن يفكر في حل لمشكلة إيصال المياه للارتفاعات العالية، وكان الحل عند فرنسيس بلتون الذي توصل إلى ابتكار مضخات المياه القوية الدفع عام ١٨٦٩م. ثم كانت المشكلة الأخيرة، وهي كيفية الصعود والهبوط، وكان الحل هذه المرة عند عامل أمريكي يعمل في مصنع للمسبوكات يدعى «ليشا جريفز أوتيس» اخترع عام ١٨٥٤م مصعداً آمناً. إذ ثبّت قضيباً معدنياً مسنناً على جانبي بئر المصعد حتى لا يهوي محطماً إلى الأرض ومعرضاً حياة من فيه للخطر والموت، إذا انقطع الحبل الذي يعلق به. وهكذا نجح «أوتيس» في القضاء على آخر مشكلات «جيني» لينطلق نحو تحقيق حلمه، ويهدي للبشرية أول ناطحة سحاب. فبعد أقل من ثلاث عشرة سنة من الحرائق التي اكتسحت شيكاغو، ودمرت أغلب منشآتها المعمارية والحضارية عام ١٨٧١م، بدأ «جيني» في استبدال هيكل مركزي من الصلب بالعوارض الخشبية التي شاع استخدامها في تلك الفترة، يرتكز عليه البناء، ويتحمل ضغط الطوابق التي تتوالى



«الإمباير ستيت» في نيويورك

في الارتفاع، كلما تقدم العمل، أما الجدر الخارجية فكانت مجرد واجهات لا يحمل عليها شيء، ولا تتعرض لأي إجهادات، كالتي تتحملها مثيلاتها في المباني المألوفة. وعندما أنجز «جيني» عمله بعد أربعة عشر شهراً من البناء، ارتفع مبنى شركة «هوم أنشورنس» عام ١٨٨٥م عشرة طوابق، ثم أضيف إليها طابقان، بحيث وصل الارتفاع الكلي للمبنى إلى ثلاثين متراً ونصف المتر.

ولم تكد تمر سبع سنوات على إنجاز «جيني» حتى شيّد «لويس سوليفان» مجموعة ناطحات السحاب الشهيرة المسماة باسمه في نيويورك، والتي كان في باكورتها مبنى البلدية عام ١٨٩٢م، ومبنى جارنتي عام ١٨٩٤م، الذي غطيت واجهته بقرميد التراكوتا، ثم مبنى سوليفان، الذي تجاوز ارتفاعه الخمسين متراً. وقد حذا حذوه المهندس «جورج فوللر» الذي شيّد مبنى «فلاتيرون»

بنيويورك عام ١٩٠٢م، متعدياً ارتفاع سلفه بعشرين متراً.
وبسرعة مذهلة أصبحت المباني الشاهقة شيئاً مألوفاً في نيويورك من خلال تلك الناطحات التي جاوزت ارتفاعاتها مئات الأمتار، كان أبرزها مبنى «ميتروبوليتان لايف» الذي أنشئ عام ١٩٠٩م، ويتكون من ستين طابقاً بارتفاع يقارب مئتي متر، ومبنى «وول وورث» الذي اكتمل بناؤه عام ١٩١٣م، وتألف من سبعة وخمسين طابقاً، ووصل ارتفاعه إلى ٢٢٨ متراً. ومبنى «كريسلر» الذي شيد عام ١٩٢٩م، ويضم سبعة وسبعين طابقاً، ويرتفع ٢٩٠متراً.

ولاشك أن فترة الرخاء الشامل الذي ساد المناطق الحضرية من الولايات المتحدة في أوائل القرن العشرين قد شجع على تشييد المزيد من تلك الناطحات. ولكن على الرغم مما وفرته هذه الأبنية الشاهقة من مساحات سكنية ومنشآت حضارية وترفيهية، إلا أنها تحولت إلى حلبة من الجدل والنقاش، وتباينت ردود الأفعال حول جدواها الاقتصادية والنفعية. فقد وصفها المعماري الأمريكي فرانك لويد رايت بأنها «تحدٍّ في وجه التوازن وتناسق الحجوم»، ووصفها المهندس فاوست كينجزلي بأنها «جوفاء صماء بلا روح»، كما وصفها المعماري الشهير لوكوربوزييه بأنها «كارثة، ولكنها كارثة محببة وجميلة» كما **أثنى عليها المهندس لينك هاندلين قائلاً: «ياله من إعجاز تقني أن نرى آلافًا من بني البشر يمارسون جميع أنشطتهم اليومية داخل تلك الأنابيب العملاقة». وقال عنها دوروهيه: إنها «الإبداع المتألق في وجه العاصفة».**

ويعدّ «دوروهيه» المولود في إكس لا شابيل عام ١٨٨٦م عميد ناطحات السحاب؛ ففي بداية الثلاثينات ظهر ظهوراً مثيراً على مسرح المعمار، عندما قدّم تصميماً فريداً لناطحة سحاب ضخمة شكلها الخارجي من الزجاج، وتنهض على هيكل من الفولاذ خلف ستار جداري، ومع أن ما وضعه «دوروهيه» من تصميم بقي


برج كريسلر في نيويورك

شيّد "لويس سوليفان" مجموعة ناطحات السحاب الشهيرة المسماة باسمه في نيويورك، التي كان في باكورتها مبنى البلدية عام ١٨٩٢م، ومبنى جارنتي عام ١٨٩٤م، الذي غطيت واجهته بقرميد التراكوتا، ثم مبنى سوليفان، الذي تجاوز ارتفاعه الخمسين متراً



من المباني المميزة في دبي

على الورق بضع سنوات، إلا أنه ظل المبدأ الأساسي لبناء ناطحات السحاب في القرن العشرين، خاصة بعد أن حقّق في شيكاغو عام ١٩٢٩م مشروع أحلامه بناطحة سحاب «برومونتري»، ثم أتبعه بدرة أعماله، وهي مبنى «سيغرام» عام ١٩٥٨م في نيويورك، حيث وضع كل لوح من الزجاج بدقة في مكانه من الهيكل ليعطي انعكاساً غير مكسور للمباني المجاورة. فكان إيذاناً بمولد طراز «فان دوروهيه» الذي استلهمت من وحي فكرته مجموعات ناطحات السحاب الهائلة التي نهضت في نيويورك خلال العشرين سنة التالية؛ فأضفت على المدنية شكلها الرائع، وأكسبت جزيرة مانهاتن فخامة وشهرة تكاد تكون خرافية. وحتى نهاية السبعينيات كانت

نيويورك تكتظ بأكثر من مئة ناطحة من ناطحاتها المئة والاثنتين والستين، التي تفخر بها اليوم، والتي نذكر منها: مبنى «روكفلر سنتر» الذي يرتفع سبعين طابقاً بارتفاع ٢٥٩ متراً، ومبنى «بان أمريكان» ذو الستين طابقاً والمئتي متر ارتفاعاً، ومبني «سيسكتي وول» الذي يضم سبعة وسبعين طابقاً، ويرتفع ٢٨٨ متراً، ومبنى «يونيون كارbايد» الذي يضم اثنين وخمسين طابقاً، ويرتفع ٢١١ متراً. وخلال تلك الفترة كانت شيكاغو هي الأخرى قد أنجزت الناطحة الرابعة والخمسين من ناطحاتها الخمس والسبعين التي نعرفها الآن، والتي نذكر منها مبنى «جون هانكوك» الذي أنشئ في عام ١٩٦٩م، ويرتفع ٣٤٣ متراً، ويبلغ عدد طوابقه مئة طابق، ومبنى «مركز أون أموكو» الذي أنشئ في عام ١٩٧٣م، ويرتفع ٣٤٦ متراً وهو ذو ثلاثة وثمانين طابقاً.

آسيا سيدة الأعالي

لا يمكن بحال التشكيك في مدى العلاقة الحميمة التي تربط بين ناطحات السحاب وبيئتها الأصلية، وما تمثله تلك الأبنية كابنة شرعية للحضارة الأمريكية. ولكن مع الانفتاح الحضاري، والصعود الاقتصادي والاجتماعي لعدد من الدول، تخلت المدن الأمريكية عن أبوتها، فشقت هذه الناطحات طريقها صوب منطقة شرق آسيا كضرورة حتمية تفرضها عدة أسباب منطقية هناك: أولها ندرة الأراضي الصالحة للبناء في الكثير من المدن الكبرى المأهولة بالسكان في هذه المنطقة، وهذا الأمر أجبر المجالس البلدية، وشركات البناء، والحكومات على تحقيق أقصى قدر ممكن من الفائدة من الأراضي المتوافرة، ومن ثم فهي تتجه نحو البناء إلى الأعلى بدلاً من الانتشار، ويكفي للتدليل على الغلاء الفاحش لأسعار الأراضي في تلك المدن أن نشير إلى أن سعر المتر المربع من الأرض في هونغ كونغ يزيد على سعر المتر المربع من أندر اللوحات الفنية في العالم.

والسبب الثاني الذي جعل منطقة شرق آسيا وجهة لناطحات السحاب هو رخص اليد العاملة هناك؛ مما يساهم - إلى حد كبير - في بناء مثل هذه الأبراج العملاقة بأقل قدر من التكاليف، فما يتطلب مئة دولار في أمريكا لا تزيد تكاليفه على بضعة دولارات في الصين وجيرانها.

والسبب الأخير نجده عند سكان تلك المنطقة أنفسهم؛ إذ يرون تلك الأبنية رمزاً للهيبة والوجاهة، ومعلماً أساسياً يشد الأنظار نحوهم؛ إذ يؤكد المهندس التايواني هدجون هوي «أن الاندفاع الجنوني نحو ما أسماه الهندسة الفراغية إنما يجسد في طموحاته جنون العظمة، أقله في تايوان التي تواجه خطر انضمامها إلى الصين، ومن هنا فإن برج تايبيه ١٠١ يشكل في بنائه عزة وطنية أكثر مما هو حاجة اقتصادية أو تجارية». ويضيف المهندس المعماري ويليام ليم من هونغ كونغ قائلاً: «إن القضية تتعلق بالذات، وبالمنزلة؛ فالعمارات العالية هي أهرامات عصرنا التي تدل على الرخاء والسلطان والقوة». لذلك فمنذ الثمانينات كرت مسبحة تشييد المباني العالية العاتية، التي تتحدي قوانين الجاذبية،

منذ أواخر التسعينيات أصبحت منطقة الشرق الأوسط محطاً لأنظار مصممي ناطحات السحاب. حيث تتجه المؤسسات العقارية إلى تكثيف أعمالها في إنشائها؛ وذلك لأسباب تتعلق بتفضيلات المستثمرين. ولحل المشكلة الملحة المتمثلة في نقص المكاتب المناسبة لقطاع الأعمال. وعدم تلبية المعروض من الوحدات السكنية للطلب

وتصيب الناظر إليها، ومنها بالرهاب. فظهر في البداية مبنى شين هينج في الصين عام ١٩٩٠م، ثم مبنى برج بنك الصين في هونغ كونغ في العام نفسه، وتبعه مبنى سنترال بلازا عام ١٩٩٢م في هونغ كونغ أيضاً، ثم شيد مبنى ساحة شون هينغ في مدينة شونزهن عام ١٩٩٦م، فمبنى سيتيك بلازا بمدينة غوانغزو عام ١٩٩٧م، ومبنى برج شيناو في شنغهاي عام ١٩٩٨م.

العرب في الصورة

منذ أواخر التسعينات أصبحت منطقة الشرق الأوسط محطاً لأنظار مصممي ناطحات السحاب، حيث تتجه المؤسسات العقارية إلى تكثيف أعمالها في إنشائها؛ وذلك

ظل مبنى الأمباير ستيت ـ الذي شيد في نيويورك عام ١٩٣١م . وكان يضم اثنين ومئة طابق. ويرتفع ٣٨١ متراً ـ محتفظاً بتفوقه كأعلى ناطحة سحاب في العالم أكثر من أربعين سنة حتى توارى جانباً. عندما أقيم برج مركز التجارة العالمي الأول في نيويورك عام ١٩٧٢م. وضم مئة وعشرة طوابق. وارتفع ٤١٧ متراً



ناطحات السحاب في شيكاغو


مركز تايبيه

لأسباب تتعلق بتفضيلات المستثمرين، ولحل المشكلة الملحة المتمثلة في نقص المكاتب المناسبة لقطاع الأعمال، وعدم تلبية المعروض من الوحدات السكنية للطلب. وقد شمخت بالفعل أربعة من تلك الأبنية في اثنتين من دول الخليج العربي خلال السنوات الثلاث الأولى من الألفية الثالثة. ففي عام ٢٠٠٠م افتتح في دبي برجا الإمارات. وقد وصل ارتفاع البرج الأول إلى ٣٥٥ متراً، وبلغ عدد طوابقه ٥٦طابقاً في حين ارتفع البرج الثاني ٣٠٥ أمتار، وبلغ عدد طوابقه ٥٤ طابقاً. كما افتتح في الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية في العام نفسه برج مركز الفيصلية الذي ارتفع إلى ٢٦٧ متراً، ووصل إلى ثلاثين طابقاً. وبعد عامين افتتح برج مركز المملكة الذي ارتفع إلى ٢٩٨ متراً، وبلغ ثلاثين طابقاً .

وقد ذكر أدريان سميث أحد المتخصصين في تشييد ناطحات السحاب؛ «أن منطقة الشرق الأوسط تعد موقعاً أساسياً للمزيد من تلك الناطحات؛ بسبب توفر الأراضي الملائمة لمثل هذا النوع من الإنشاءات، وللجيولوجية المستقرة في المنطقة، والدعم المالي القوي اللازم لمثل هذه المشروعات، وأضاف أن «كثيراً من الدول أبدت اهتماماً كبيراً بالمباني الشاهقة، إذ ترغب في إنشاء مبانيها كمعالم مميزة للمدن التي ترتفع في سمائها تمكنها من الإسهام في دفع عجلة النمو المعماري، والتنمية الاقتصادية في المستقبل».

هندسة البناء والصمود

يتطلب بناء ناطحات السحاب تخطيطاً دقيقاً فيقوم العمال أولاً بحفر الأرض عميقاً لوضع القاعدة الأساسية التي ينهض فوقها البناء، ويظلون يحفرون لما يوازي ارتفاع بضعة طوابق، حتى إذا بلغوا طبقة صخرية شيدوا القاعدة عليها. فإذا كانت الأرض هشة أو طينية شُيدت القاعدة من ركائز معدنية تمتد في حفر عميقة مملوءة بالفولاذ والأسمنت المسلح. وفي أثناء هذه العملية، تصل إلى الموقع تباعاً أجزاء جاهزة من هيكل المبنى تنتجها المصانع، مثل الدعامات والعوارض والأعمدة الفولاذية. وبعد الانتهاء من وضع الأساس يستخدم فريق العمل الرافعات العملاقة لرفع أجزاء الهيكل وتركيبها وتثبيتها ملحومة أو مبرشمة بالصواميل، ومع ارتفاع الهيكل طابقاً فوق آخر، يقوم عمال آخرون بتركيب الأرضيات والحوائط الخارجية، وينتهون من الطوابق الأولى، ثم ينتقلون إلى الطوابق العالية.

وقبل أن ترتدي ناطحة السحاب حلتها الدائمة،

تراها من الأسفل كخلية تعج بالنحل النشيط، ولو قدر لك الصعود نحوها لا تضحت الصورة، ولرأيتها من كثب، تلك الحشرات الصغيرة، التي شاهدتها من الأسفل، ليست سوى عمال بارعين يجازفون بحياتهم في سبيل حفنة دولارات. ففي ورشة الفضاء تنعدم لغة الكلام وتحل مكانها لغة الإشارات، كيف لا وصفير الرياح يصم الآذان، ويجمد أطراف الأصابع، وأدنى همسة من الممكن أن تخلّ بتوازن العامل، وتؤدي به إلى الهاوية. وعلى الرغم من أن كل شيء في هذا المكان يعمل بشكل مدروس ودقيق، إلا أن هناك أخطاء عفوية قد ترتكب فتحدث كارثة، فسائق الرافعة العملاقة عليه الانتباه جيداً خلال نقل الدعامات من مكان إلى آخر، وإلا انهارت الحمولة، وتسببت في سقوط أحد العمال المعلقين بين السماء والأرض. والحقيقة أن الكثير من الضحايا لقوا حتفهم في مثل هذه المواقف، ولنا أن نعلم أن مبنى «الإمباير ستيت» كان يعرف في وسط المعماريين باسم «المسلخ» إذ كان يهوي أسبوعياً ستة عمال، وإذا حسبنا مدة بنائه التي دامت اثنين وسبعين أسبوعاً بداية من أكتوبر عام ١٩٢٩م فيعني ذلك وجود ٤٣٢ جثة لا تزال مدفونة في أساسات أعظم ناطحة سحاب أمريكية نظراً إلى استحالة إخراجها أو سحبها في ذلك الوقت.

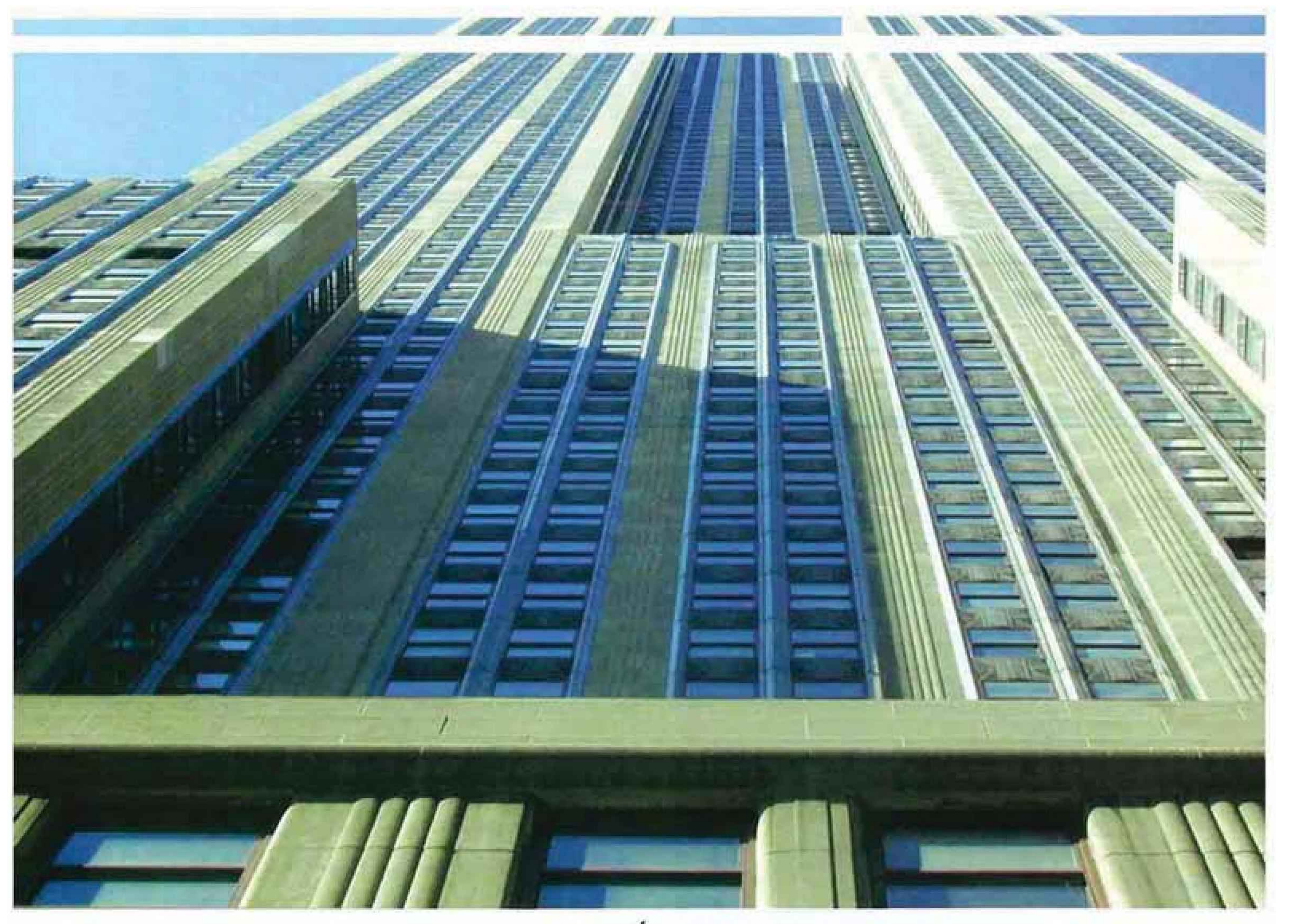
وفور إتمام البناء يشرع المهندسون في تجهيز المبنى من الداخل، وتقسيمه إلى مساحات للإيجار، ومناطق للخدمات، مثل السلالم والردهات وغرف الآلات، وأنظمة السباكة، والتدفئة والتبريد، والكهرباء والمصاعد، وغيرها. وإذا أتيح لأحدنا التجول داخل برج سيرز فسنجد أنه يحتوي على مئة وثلاثة مصاعد و٢٢٣٣ درجة سلم، ويوجد فيه عشرة آلاف غرفة، و١٦١٠٠ نافذة، كما أن هناك ست مكنات أوتوماتيكية مثبتة بسطح المبنى لتنظيف هذه النوافذ.

والحقيقة أن الناظر إلى هذه المدينة الصغيرة قبل أن تستقبل ساكنيها يجد أن تصميمها قد تضمن قدراً كبيراً من المرونة والصلابة في آن واحد. فهي تقاوم أسوأ الكوارث الطبيعية كالزوابع، وعصف الرياح، والزلازل المدمرة. وقد بلغ فخر وسعادة المهندس الياباني «مينوزياما زاكي» الذي أشرف على تصميم برجي التجارة وبنائهما أن قال فور الانتهاء من بنائهما: «إنهما قادران على تحمل

على الرغم مما وفرته هذه الأبنية الشاهقة من مساحات سكنية، ومنشآت حضارية وترفيهية، إلا أنها تحولت إلى حلبة من الجدال والنقاش، وتباينت ردود الأفعال حول جدواها الاقتصادية والنفعية

برج سيرز في شيكاغو





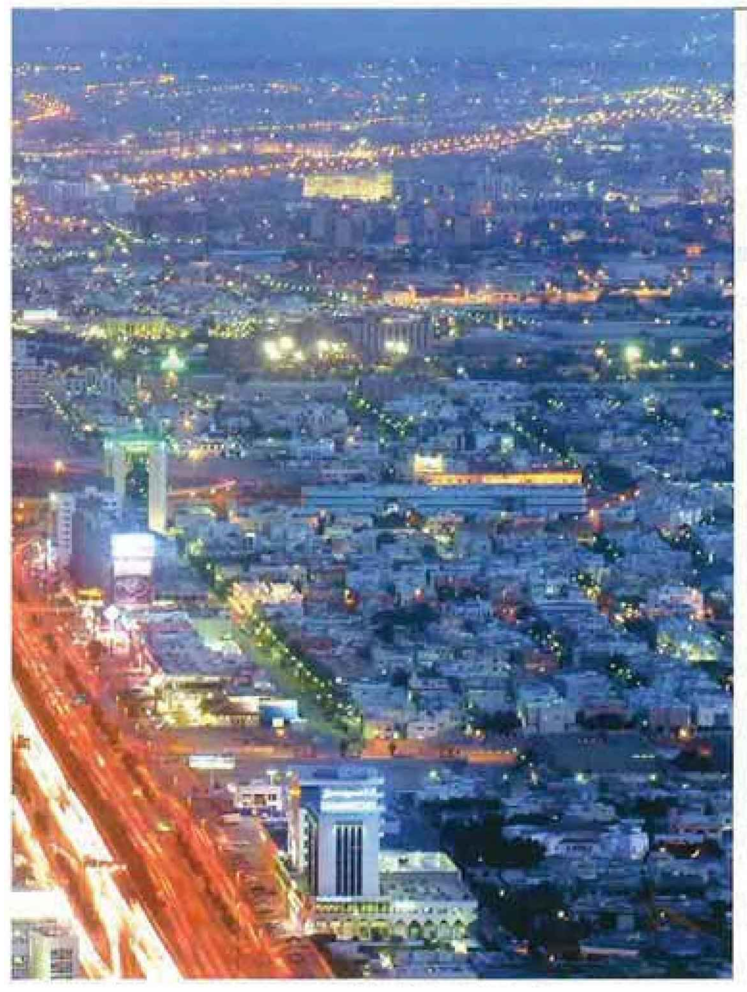
الإمباير ستيت ظل ٤٠ عاماً أعلى برج في العالم

اصطدام طائرة بوينج صغيرة بهما، وكان يقصد أن يحدث هذا مصادفة، ولم يخطر بباله أن يتحقق مثل هذا التنبؤ عمداً من جراء عمل تخريبي، ويعجز مبنياه عن الصمود، فيتحولان في ثوان معدودة إلى ركام وأطلال بعد عين، مثلما حدث في ١١ سبتمبر عام٢٠٠١م.

الفضاء ملك للعمالقة

ظل مبنى الأمباير ستيت - الذي شيد في نيويورك عام ١٩٣١م، وكان يضم اثنين ومئة طابق، ويرتفع ٣٨١ متراً - محتفظاً بتفوقه كأعلى ناطحة سحاب في العالم أكثر من أربعين سنة، حتى توارى جانباً عندما أقيم برج مركز التجارة العالمي الأول في نيويورك عام ١٩٧٢م، وضم مئة وعشرة طوابق، وارتفع ٤١٧ متراً، وتبعه بعد أقل من عام اكتمال بناء البرج الثاني بعدد طوابق شقيقه نفسها، غير أنه قل عنه بمترين في الارتفاع. ولكنهما لم يصمدا طويلاً أمام برج سيرز الذي افتتح في شيكاغو عام ١٩٧٤م، وارتفع ٤٤٢ متراً، على الرغم من أنه يقل عن سابقيه بطابقين.

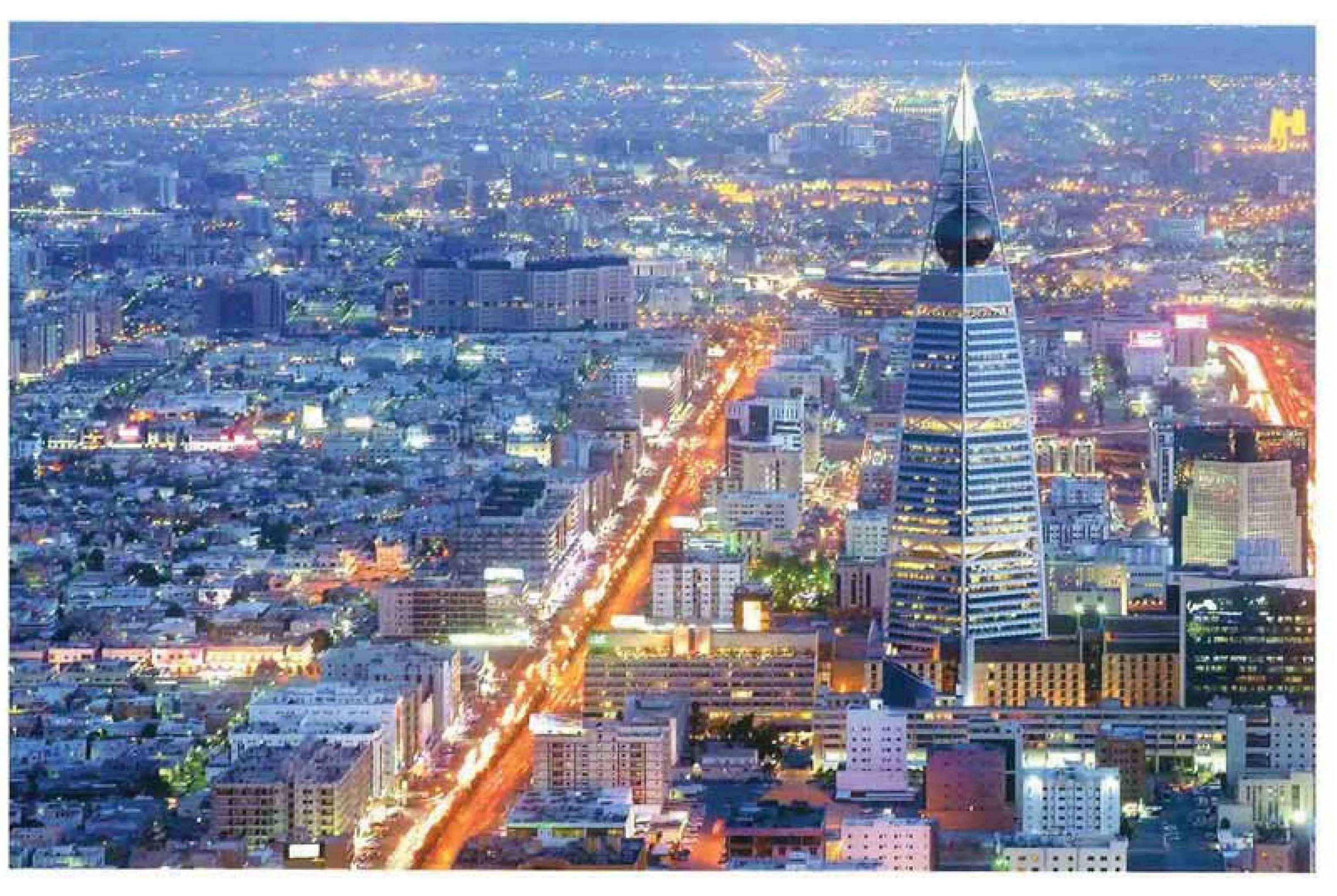
وقد استمر برج سيرز مزهواً بمكانته المرموقة قرابة ربع قرن من الزمان، حتى بزّه برجا بتروناس التوأمان في كوالالمبور، وتفوقا عليه بعشرة أمتار؛ وذلك في عام ١٩٩٨م، مع أنهما يقلان عنه بعشرين طابقاً. والطريف أن التصميم الأصلي لبرجي بتروناس كان سيجعلهما أقصر قليلاً من برج سيرز، لكن سيزار بيلي المهندس


برج الفيصلية في مدينة الرياض

الأمريكي المسؤول عن تنفيذ المشروع اقترح إضافة برجين صغيرين إلى قمة البناء على شكل مئذنتين صغيرتين تمشياً مع فن المعمار الإسلامي المحلي أولاً، ولتجاوز ارتفاع برج سيرز ثانياً. ومن البديهي أن يثير هذا غضب سيرز، التي احتجت، وأصرت على أن برجها هو الأعلى؛ لأن العلو يجب أن يقاس بين أرضية الطابق الأرضي وسقف أعلى طابق مأهول من البناية. لكن المجلس الأعلى لناطحات السحاب في الولايات المتحدة رفض الاحتجاج، وأشار إلى أن القواعد المعمول بها في قياس ارتفاع الناطحات تقضي بقياس الارتفاع من أرضية الطابق الأرضي حتى ذروة أي جزء دائم من البناية، مع أنه قد لا يكون مأهولاً. ولهذا يجب اخذ ارتفاع المآذن في الحسبان عند القياس، مع أنها لمجرد الزخرفة، وإضفاء الجمال على البناية. أما أعمدة هوائيات الإرسال التلفازي، وأبراج الاتصالات فهي غير محسوبة في القياس.

و في الوقت الذي انفردت فيه ماليزيا باللقب كان العمل يجري على قدم وساق لإتمام بناء برج تايبيه ١٠١ بتايوان، الذي افتتح عام ٢٠٠٤م، فوضع كل الناطحات الأخرى في الظل بارتفاعه الذي وصل إلى ٥٠٨ أمتار. كما افتتح في سول بكوريا الجنوبية عام ٢٠٠٥م مبنى يوسان الذي يعلو إلى ٤٦٤ متراً ليحتل المرتبة الثانية.

و الحقيقة أن سجل أعلى مبنى في العالم يتحطم بوتيرة متسارعة؛ إذ أصبح السباق الهندسي الحديث نحو السماء يشكل اليوم أقصى طموحات المهندسين وشركات البناء على السواء، وسوف تشهد السنوات القادمة منافسة حامية الوطيس في بناء مجموعة مبهرة من ناطحات السحاب ستبلغ ارتفاعاتها أرقاماً غير مسبوقة. وسوف تجسد بحق الطفرة الكبيرة التي شهدتها تكنولوجيا البناء مؤخراً، والنزعة العالمية للتوسع الرأسي؛ ففي الصين تنهمك حكومتها الوطنية في بناء المركز المالي العالمي في شنغهاي، التي تعد المركز الآسيوي للصناعة المصرفية الدولية، وسوف يعزز حجم البرج الضخم هندسته الجريئة التي تتضمن مفهومين من المفاهيم الصينية التقليدية، ويتمثلان في الأرض كمربع، والسماء كدائرة . حيث سينهض لارتفاع ٤٩٢ متراً على شكل قوسين عظيمين حتى السقف الذي يشبه حد السكين، وللتخفيف من ضغط الرياح التي يجلبها الإعصار الاستوائي، صمم استشاري المشروع «كون بيدرسون فوكس» فتحة في المبنى عرضها ١٦٤ قدماً



بالقرب من أعلى البرج. ولكن شكل الفتحة الدائري ذكّر بعض المسؤولين بعلم اليابان ذي الشمس المشرقة، مما حدا إلى تغيير شكل الفتحة عن طريق إضافة جسر عبر قاعدتها. ومن المنتظر الانتهاء من بناء طوابق البرج الخمسة والتسعين قبل أيام قليلة من استضافة الصين لأولمبياد عام ٢٠٠٨ م. أما البرج المنافس الذي سينتصب في ميدان الاتحاد بهونغ كونغ فقد قام بتصميمه المهندس المعماري «كيه بيه»، وهو يبدو منبسطاً عند القاعدة، ويتناقص قطاعه العرضي كلما ارتفع إلى أعلى، مما يجعله كنبتة عملاقة تبزغ من الأرض. وسيرتفع البرج ٤٨٠ متراً متضمناً مئة وثمانية طوابق، وسوف يتم تدشينه في عام ٢٠٠٧م.

وفي العام نفسه ستنضم موسكو إلى مصاف مدن ناطحات السحاب الشاهقة عندما يفتتح في قلبها مبنى «ميراكس» الذي يتكون من سبعة وثمانين طابقاً، ويرتفع ٤٣٠ متراً. وهو مؤلف من واجهات زجاجية ذات متانة عالية لحمايته من أي هجمات على غرار تلك التي ضربت برجي التجارة. ويقول سيرجي بولونسكي رئيس المجموعة





بتروناس في ماليزيا

المشرفة على المشروع: «بغض النظر عن عدد الطائرات التي قد تضرب البرج فإنه لن يسقط بل سيكون قادراً على مقاومة الحرائق الشديدة لمدة عشر ساعات».

وفي وسط مانهاتن سيقام على أنقاض مركز التجارة العالمي، برج الحرية الذي سيرتفع سبعين طابقاً بارتفاع ١٧٧٦ قدماً في إشارة ترمز إلى تاريخ استقلال الولايات المتحدة. وقد قام بتصميمه المهندسان المعماريان «ديفيد شيلدز»، و«دانيال ليبسكيد». ووضع حجر الأساس يوم الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠٤م، على أن يكتمل البناء في اليوم نفسه، والشهر نفسه عام ٢٠٠٩م. وسيتضمن المبنى نصباً تذكارياً لضحايا حادث برجي التجارة، كما سيتضمن متحفاً ومنشآت ثقافية، ومكاتب إدارية ومطاعم. وسوف يأوي سطح أعلى المبنى هوائيات الإذاعة والتلفاز، وكذلك طواحين الهواء القادرة على إمداد المبنى بنحو ٢٠٪ من الطاقة التي يحتاج إليها.

وعلى المنوال نفسه سيكتمل في نوفمبر عام ٢٠٠٨ م تشييد مبنى برج دبي بالإمارات العربية المتحدة، وسوف يصل ارتفاعه إلى أكثر من ٧٠٠ متر ليتقدم بذلك جميع الناطحات الأخرى في العالم. ويتكون البرج من مئة وستين طابقاً تشتمل على شقق فخمة، وفنادق ومكاتب، ومؤسسات ومراكز تجارية. وسوف يشيد على نمط المعمار الإسلامي، كما أن النمط الحلزوني للمبنى سيوفر له استقراراً في مواجهة رياح البحر القوية.

وهكذا تبرز هذه الناطحات العملاقة مدى قدرة الإنسان وعنفوانه لتجسيد طموحاته إلى واقع ملموس يشهد على ما بلغته حضارته الصناعية من ازدهار ورقي.

أعلى ناطحات السحاب في العالم

من أقدم ناطحات السحاب مبنى إمباير ستيت في نيويورك وأنشئ في عام ١٩٣١م، ويبلغ ارتفاعه ٣٨٩ متراً، وعدد طوابقه ١٠٢طابق، ومن أطول الناطحات مركز تايبيه المالي، ويبلغ ارتفاعه ٥٠٨ أمتار، وعدد طوابقه ١٠١ طابق، وعربيًا يعد برج الإمارات في دبي أعلى الناطحات، وارتفاعه ٣٥٥ مترًا، وعدد طوابقه ٥٦طابقًا، ومن أعلى الناطحات أيضًا قصر يوسان في سول بكوريا الجنوبية (٤٦٤م)، وبرجا بتروناس في كوالامبور الماليزية (٤٥٢م)، وبرج سيرز في شيكاغو (٤٤٢م)، وبرج شيناو بشنغهاي (٤٢١م)، والمركز المالي العالمي في هونغ كونغ (٤١٦م).

المراجع

The Architectural Profession in USA- Boorstin Rossiter- New yourk 1990.
-Construction Prospects- Theodore Sculley- New yourk 1987.
-Skyscrpers of New yourk- Benjamin Adams- New yourk- 1995.
-History Building in acentury- Henry Brndon- chicago 1983.
-New yourk is skyscrapers capital- Alfred lincoln- New yourk 1999.
-New yourk To day- Carl Hope- New yourk 2004.
-Great leap forward- Rim Koull has- New yourk 2001.
-Archalectecture and Building construction- Tawfik Abdel Gawad- cairo 1996.
ـ موجز تاريخ العمارة الحديثة، محمد أحمد جمال، القاهرة، د- ت.
ـ تاريخ التصميمات المعمارية، حسين عبد الله خلاف، القاهرة ١٩٨٧م.
ـ مواقع متفرقة على شبكة الإنترنت.



المقامات ومسرح خيال الظل

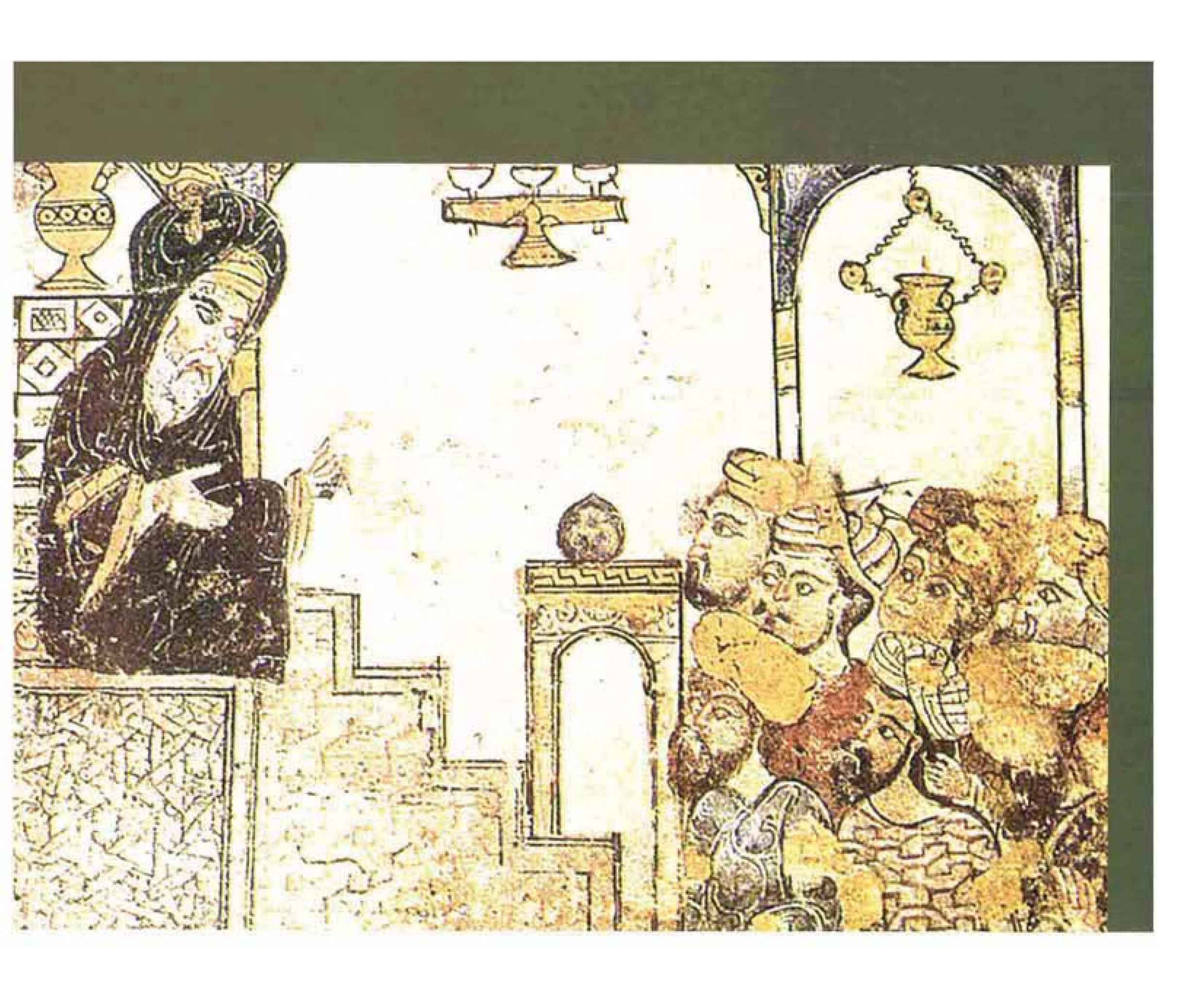
نور الدين عمرون

المسيلة ـ الجزائر

إن سكان الأراضي العربية عرفوا جيدًا الشعر والنثر وفنون الخطابة، وتلذذوا بها، ولكن سرعان ما دخل مكتباتهم ومساحتهم العامة وبيوتهم نوع آخر من الأدب، اسمه فن المقامات في عهد الخلافة العباسية.

وإنني على قناعة أن المسكوت عنه، والمهمش تاريخيًا من تاريخ الفنون والإبداعات الإنسانية هو الجزء الأكبر من هذا التاريخ، ولا يمكن أن يكون من دون فائدة للمختصين والبشرية جمعاء، لتصحيح المفاهيم وإدراك الواقع، كما هو، والحقيقة كما يجب أن تكون. ونقصد هنا، مسرح خيال الظل، وإبداعات بديع الزمان الهمذاني، وتلميذه الحريري لفن المقامات، التي بها سرد وصفي للمكان، وحوار درامي بأفعال تشخيصية حية متحركة، وأسلوب مسجوع بألفاظ أنيقة، والتي يضع فيها المؤلف نفسه جانبًا، لتعبر الشخصيات الرئيسة والثانوية عن نفسها بحرية حسب المعطيات النفسية والاجتماعية والاقتصادية، بحبكة أو عقدة تدفع إلى تطور الصراع، بمكان وزمان محددين، مع وجود الإيقاع البطيء والسريع، بهدف «التهذيب ونبذ التضليل والهوس» بالسلوك الحواري (الثقافة الحوارية).

أما ما قبل مقامات بديع الزمان الهمذاني فاعدّها نثرًا أو أحاديث أدبية، ويمكن القول: إنها قصص وروايات. ولا أريد أن أدخل في موضوع ليس من اختصاص بحثي، وإن



حاول بعض الدارسين حشوه وإدخاله في فن المقامات، ككتابات مقامات «عيون الأخبار» لابن قتيبة، وأحاديث الكدية لأبي عثمان الجاحظ، وغيرها؛ لأن وجود السجع في كتاباتهم لا يعني أنها من أصول فن المقامات، وهي تختلف في شكلها وجوهرها عن فن المقامات لبديع الزمان الهمذاني والحريري، وان لفظ المقامات او أحاديث المجالس ليس معناه فن المقامات، حتى وإن وجد عنصر من عناصر فن المقامات، وهذا يرجعنا إلى التعريف اللغوي للزمخشري: «المقام والمقامة كالمكان موضع القيام، فاتسع فيهما حتى استعمال المكان والمجلس ...»(١) ومن هنا لا يعني أن كل المجالس والأحاديث الأدبية، فن مقامة. ويكتب عبدالمالك مرتاض: «لفظ (مقامة) اشتق من قام، وهو اسم مكان القيام، ثم توسع فيه حتى أطلق على كل ما يقال في هذه المقامة - أي المجلس - من كلمة وخطبة - وكل حديث أدبي - (مقامة)، ثم تطور مدلول اللفظ حتى صار مصطلحًا .. لها أبطال معينون، وخصائص أدبية ثابتة، ومقومات فنية معروفة»(٢).

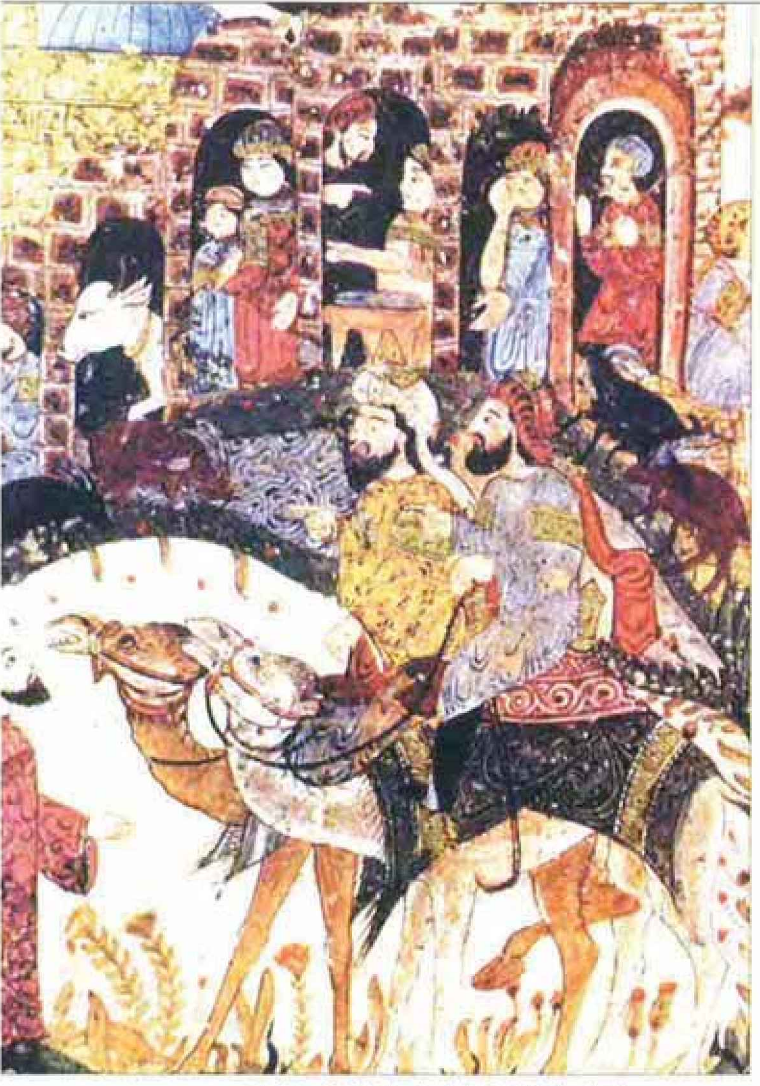
من هنا نخرج بمفهوم لا يعني أن كل مجلس أو



الاحتفال بقدوم عيد الفطر المبارك في مقامات الحريري

مقام أو حديث أدبي، يعدّ من فن المقامات إذا كانت بعيدة عن الحوار والفعل الدرامي والصراع بخط متواصل للأحداث محددة في المكان والزمان. ويكتب مارون عبود: «إن خطة المقامات هي من عمل البديع، فلا لابن فارس، ولا لابن دريد في صنعها، فالهمذاني هو الذي ألبسها هذا الطراز .. فعبثًا نحاول العثور على أثر لهذه الخطة عند غير البديع»(٣). ونجد

من خلال مسرح خيال الظل تجسدت المقامات لبديع الزمان الهمذاني والحريري . التي تمتلك مكونات الدراما في كثير منها، مثل مقامتي الأسدية والحلوانية وغيرهما. ونستطيع القول بمفهومنا الحالي للمسرح: إنها سرد وصفي للمكان، وحوار درامي


استلهم الفنانون مثل الواسطي المقامات في منمنمات

الحريري يؤكد أن إبداعاته استمرارية لنهج الهمذاني، ويعترف بأسبقيته لنشأة المقامات: «فإشارة من إشارته حكم، وطاعته غنم، إلى أن انشئ مقامات اتلو فيها تلو البديع، وإن لم يدرك الظالع شاو الضليع....»(١). بمعنى أدق أن ما قبل مقامات الهمذاني بها افعال سردية حكواتية، وخالية من الأفعال الدرامية. ويكتب خالدوف: «الفن الأصيل في مجال النثر الفني العربي هو المقامة، وهي عبارة عن قصة ذات مضمون درامي .... وكان الهمذاني (المتوفي عام ١٠٠٨م) مبدع فن المقامة، وقد اشتهر بفضل تأليفه ببديع الزمان.»(٥).

نتناول بعض المقامات التي بها مكونات الدراما، فالمقامة الحلوانية لبديع الزمان الهمذاني قائمة على فن النكتة، وبراعة الظرف والمعطيات:

«عيسى بن هشام قال: لما قفلت من الحج فيمن قفل، ونزلت مع من نزل، قلت لغلامي: أجد شعري طويلاً، وقد اتسخ بدني قليلاً، فاختر لنا حمامًا ندخله، وحجامًا نستعمله، وليكن الحمام واسع الرقعة، نظيف البقعة، طيب الهواء، معتدل الماء، وليكن الحجام خفيف اليد، حديد الموسى، نظيف الثياب، قليل الفضول، فخرج مليًا، وعاد بطيًا، وقال: قد اخترته كما رسمت، فأخذنا إلى الحمام السمت، وأتيناه فلم نر قوامه، لكني دخلته، ودخل على أثري رجل، وعمد إلى قطعة طين فلطخ بها جبيني، ووضعها على راسي، ثم خرج، ودخل الآخر، فجعل يدلكني دلكًا يكدّ العظام، ويغمزني غمزًا يهدّ الأوصال، ويصفر صفيرًا برش البزاق، ثم عمد إلى رأسي يغسله، وإلى الماء يرسله، وما لبث أن أدخل الأول فحيا أخدع الثاني بمضمونه قعقعت أنيابه، وقال: يالكع! مالك

نجد في المقامة الموصلية البناء الدرامي، الحوار الدرامي، الصراع الدرامي، الحبكة أو العقدة الدرامية، ونصف النوتة الموسيقية، المحددة بالفواصل بين الجمل الحوارية، وإن كثر الجدال من قبل حول النوعية الأدبية لفن المقامات قصة أو أحاديث أدبية أو رواية

مقامات الهمذاني والحريري بداية للدراما العربية

ولهـذا الرأس وهـو لي !؟ ثم عطف الثـاني على الأول بمجموعة هتكت حجابه. وقال: بل هذا الرأس حقي وملكي، وفي يدي. ثم تلاكما حتى عييا، وتحاكما لما بقيا. فاتيا صاحب الحمام. فقال الأول: أنا صاحب هذا الرأس: لأني لطخت جبينه، ووضعت عليه طينه.

وقال الثاني: بل أنا مالكه: لأني دلكت حامله، وغمزت مفاصله.

فقال الحمامي: ايتوني بصاحب الرأس اسأله «ألك هذا الرأس أم له؟

فأتياني وقالا: لنا عندك شهادة فتجشم، فقمت، واتيت، وشئت ام ابيت.

فقال الحمامي: يا رجل، لا تقل غير الصدق، ولا تشهد بغير الحق. وقل لي هذا الرأس لأيهما؟

فقلت: يا عفاك الله، هذا رأسي صحبني في الطريق، وطاف معي في البيت العتيق، وما شككت أنه لي.

فقال لي: اسكت يا فضولي.

ثم مال إلى احد الخصمين. فقال: يا هذا، إلى كم هذه المنافسة مع الناس، بهذا الرأس؟ تسل عن قليل خطره، إلى لعنة الله وحر سقره، وهب أن هذا الرأس ليس، وأنا لم نر هذا التيس!.

قال عيسى ابن هشام: فقمت من ذلك المكان خجلاً، ولبست الثياب وجلاً، وانسللت من الحمام عجلاً، وسببت الغلام بالعض والمص، ودققته دق الجص (٦).

نجد هنا أن بديع الزمان الهمذاني في المقامة الحلوانية استعمل الحوار الدرامي، وإن بدأه بالسرد الوصفي للمكان، كما يفعل المؤلفون الدراميون، سابقًا والآن في كتاباتهم، وحدد الزمان والمكان والصراع مع الإيقاع البطيء والسريع القائم بين شخصيات المقامة، وتركها تتحرك كل حسب المعطيات الموجودة النفسية والاجتماعية والاقتصادية التي يملكها كل دور بطبيعة الحال مع الهدف الأعلى للمؤلف، واستخدم الأفعال التحريكية أو المتحركة مثل: «دخلته، هتكت، لطخ، وضعها، خرج، يدلكني، يغمزني،

ومن التمثيليات التي اشتهرت تمثيليات ابن دانيال الموصلي قديمًا. فقد امتاز ابن دانيال بفن طريف، وهو التمثيليات المسرحية. ومما يؤسف له أن مؤرخي الأدب العربي لم يعنوا بتاريخ هذا الفن. مع أنه أصل من أصول الأدب

يغسله، يرسله، قمقمت، ايتون، أساله...».

مع وجود سبب لكل فعل، وهدف «الحركة والهدف»، ولا ينقص المقامة الحلوانية هنا عن الدراما اية عنصر من عناصر المسرحية المكتوبة، ما عدا إكثار الهمذاني من قال، وقال الأول. وأحيانًا يستعمل الاسم المعنوي للدور كالحمامي، وفي المسرحيات يذكر بالاسم صاحب الدور كشخصية معنوية او شخصية طبيعية. كما استخدم الهمذاني الملهاة في الحوار بمتعة فنية، «والبديع بوجه خاص وفق توفيقًا عاليًا في تنويع موضوعاته، وتجديد أفكاره، وتغيير مقاماته على نحو جيد، فقد كان كثير من مقاماته صالحًا للتمثيل ... »(٧). ونؤكد أن المقامة الحلوانية دراما حقيقية، وهذا ما نجده أيضًا في المقامة الموصلية للهمذاني:

«عيسى بن هشام قال: لما قفلنا من الموصل، وهممنا بالمنزل، وملكت علينا القافلة، وأخذ منا الرحل والراحلة، جرت بي الخشاشة إلى بعض قراها، ومعي الإسكندري أبو الفتح. فقلت: أين نحن من الحيلة؟ فقال: يكفي الله، ودفعنا إلى دار قد مات صاحبها، وقامت نواد بها، واحتفلت بقوم قد كوى الجزع قلوبهم، وشقت الفجيعة جيوبهم، ونساء قد نشرن شعورهن، يضربن صدورهن، وشددن عقودهن، يلطمن خدودهن، فقال الإسكندري: لنا في هذا

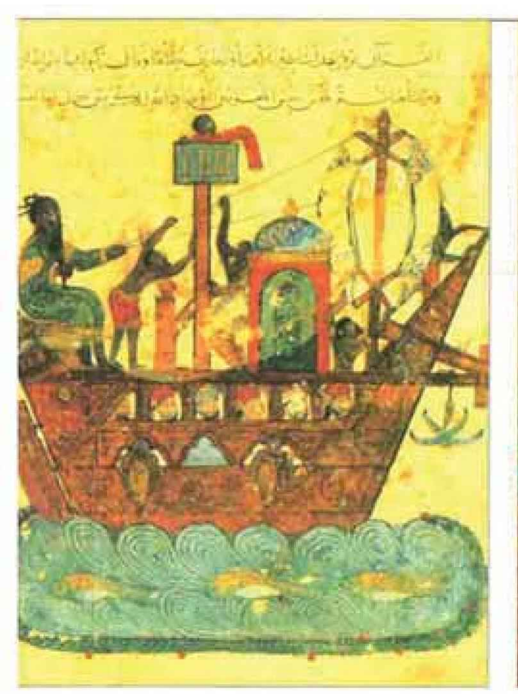
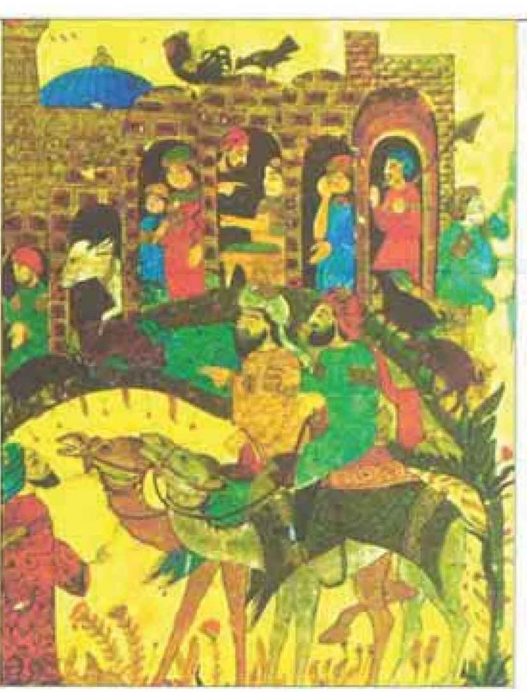
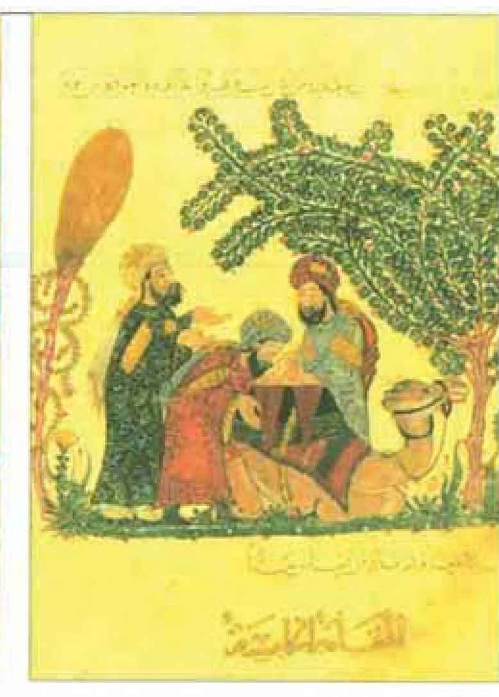


الواسطي مستلهماً المنمنمات

السواد نخلة، وفي هذا القطيع سخلة.

ودخل الدار لينظر إلى الميت وقد شدت عصابته لينقل، وسخن ماؤه ليغسل، وهُيِّئ تابوته ليحمل، وخيط أثوابه ليكفن، وحفرت حفرته ليدفن. فلما رآه الإسكندري أخذ حلقه، فجس عرقه. فقال: يا قوم، اتقوا الله، لا تدفنوه فهو حي، وإنما عرته بهتة، وعلته سكتة، وانا أسلمه مفتوح العينين، بعد يومين. فقالوا: من أين لك ذلك؟ فقال: إن الرجل إذا مات برد استه. وهذا الرجل قد لمسته فعلمت أنه حي، فجعلوا أيديهم في استه. فقالوا: الأمر على ما ذكر، فافعلوا كما أمر.

أمضى بعض المستشرقين الألمان، كالأستاذ جاكوب، سنين طويلة في دراسة تمثيليات ابن دانيال. وقد عثر له على تمثيليات ثلاث: الأولى اسمها (طيف الخيال)، والثانية رواية (عجيب وغريب)، والثالثة اسمها (المتيم)

رسومات تبرز شخصيات مقامات الحريري

وقام الاسكندري إلى الميت، فنزع ثيابه، ثم شد له العمائم، وعلق عليه تمائم، وألعقه الزيت، وأخلى له البيت، وقال: دعوه ولا تروعوه، وأن سمعتم له أنينا فلا تجيبوه.

وخرج من عنده وقد شاع الخبر وانتشر، بأن الميت قد نشر، وأخذتنا المبار، من كل دار، وانثالت علينا الهدايا من كل جار، حتى حلّ الأجل المضروب، وأستجز الوعد المكذوب.

فقال الإسكندري: هل سمعتم لهذا العليل ركزًا، أو رأيتم منه رمزًا؟ فقالوا: لا.

فلما ابتسم ثغر الصبح، وانتشر جناح الضوء، في أفق الجو، جاءه الرجال أفواجًا، والنساء أزواجًا، وقالوا: نحب أن تشفي العليل، وتدع القال والقيل.

فقال الإسكندري: قوموا بنا إليه. ثم حذر التمائم عن يده، وحل العمائم عن جسده.

وقال: أنيموه على وجهه، فأنيم. ثم قال: أقيموه على رجليه، فأقيم.

ثم قال: خلو عن يديه، فسقط رأسًا، وطن الإسكندري بفيه.

وقال: هو ميت كيف أحييه؟ فأخذه الخوف، وملكته الأكف، وصار إذا رفعت عنه يد وقعت عليه أخرى، ثم تشاغلوا بتجهيز الميت، فانسللنا هاربين...(٨).

فإننا نجد في المقامة الموصلية البناء الدرامي، والحوار الدرامي، والصراع الدرامي، والحبكة أو العقدة الدرامية، ونصف النوتة الموسيقية، المحددة بالفواصل بين الجمل الحوارية. وإن كثر الجدال من قبل حول النوعية الأدبية لفن المقامات قصة أو أحاديث أدبية أو رواية، فالتأكيد أنها دراما؛ وذلك حسب أدوارها، ويكتب محمد يوسف نجم: «والبديع يصطنع في مقاماته القصصية (الطريقة التمثيلية) التي يضع الكاتب نفسه جانبًا، ويترك للشخصية ذاتها، حرية التعبير عن عواطفها وأفكارها،

أشكال الفرجة الفنية والعروض تطورت إلى أن وصلت إلى إبداع المقامات لبديع الزمان الهمذاني بهدف التهذيب ونبذ التضليل والهوس بالأسلوب الحواري؛ وعُدّت مقامات بديع الزمان الهمذاني والحريري البداية الحقيقية للدراما العربية.

وأغراضها ومطامحها ...»(٩). وهنا اعتراف كامل من متخصص قصصي؛ بمعنى أنه لم يجد لها مكانًا في البناء القصصي. ويكتب فاروق عبدالقادر: «مقامات بديع الزمان الهمذاني، وتلميذه الحريري ... فيها مسرحيات جنينية أجهضها الواقع الذي يحرم التمثيل، فاكتفى أصحابها أن يجعلوها على الورق، تاركين للراوي أو للخيال أن يقوم بدور الممثل ...»(١٠). كما استلهم الواسطي من مقامات أبي القاسم بن علي الحريري (٤٤٦ ـ ٥١٦هـ الموافق ١٠٥٤. ١١٢٢م) ورسمها. وتكتب الدكتورة ناهدة عبدالفتاح النعيمي: «وقد رسم الواسطي كل المقامات ما عدا اثنتين منها ... ولا نعرف السبب في تركها هل أنها صورت، ثم فقدت من المخطوط أم انه أهمل تصويرها ...»(١١). وهذا ما يؤكده بابادو بولو في كتابه «الواسطي لم يتوقف في تجربته مع اختلافات المنحنى التصميمية، وهذا ما نلاحظه في مقامة وجلسة النحر وتحضير الأكل السريع في الصحراء ...»(١٢). ومن هنا نستنتج أن الرسامين والفنانين استلهموا من موضوعاتها؛ لأن فيها الفعل والحركة عند الراوي أبي زيد أيضًا كل حسب مفهومه لنص المقامة. (انظر أشكال رسومات المقامات في الأخير). ويكتب بعضهم انها أيضًا مثلت في مرحلة كتابتها، كما رويت إلاّ انه دليل ضعيف، ولا يمكننا تأكيده أو نفيه. ونجد الكسندر بابادوبولو يكتب ما يأتي: «إن مقامات الحريري خاصة، وإنها قد شكلت أكبر شهرة في الأدب العربي، ومن دون شك الأدب العالمي قبل اختراعات الطباعة، وقد نجد أكثر من سبعمئة نسخة قبل وفاة الكاتب عام ١١٢٢م، وانتشرت ونجحت في كل مناطق العالم العربي، ونجحت بقوة في إسبانيا، ورواها الشريشي عام ١٢٢٢م، وترجمها إلى الفارسية القاضي حميد الدين عام ١١٦٤م، وإلى العبرية مع بداية القرن الثالث عشر يهيدا حريزي .. الحريري المولود بالبصرة في عام ١٠٥٤م، والشاغل لمدير الأمن بالبصرة، العالم بالآفات والنقائص والنكت الواقعية، وضعها في قالب حركي ببطولة أبي زيد شخصية مقبولة نشيطة، وهو ماكر نصّاب بليغ وفصيح يشبه الكثير إناء مكا بان، فيغارو، تورتيف، فرو سار، يعرف كل الكواليس ...»(١٣). وهنا نجد بابادوبولو يشبه أبا زيد بطل مقامات الحريري بإبداعات المسرحيين من أمثال موليير، وكورني، وراسين، والأبطال الرئيسين لمسرحياتهم.

وفي الأخير يمكن القول: إن كثيرًا من مقامات بديع الزمان الهمذاني، والحريري دراما حقيقة،

إن مقامات الحريري خاصة قد شكلت أكبر شهرة في الأدب العربي، ومن دون شك الأدب العالمي قبل اختراع الطباعة، وقد نجد أكثر من سبعمئة نسخة قبل وفاة الكاتب عام ١١٢٢م، وانتشرت ونجحت في كل مناطق العالم العربي، ونجحت بقوة في إسبانيا

امرأة تعزف على العود من نسخة من مقامات الحريري في فيينا

والباقي فيها جزء بسيط سردي حكواتي بمضمون درامي، والجزء الأخير نعدّه دراما بمضمون حكواتي؛ لأن السرد يأخذ حيزه في بعض المقامات.

خيال الظل: فن مارسه سكان المناطق العربية، ودخل مساحتهم وقصورهم، وأصبح عادة وتقليداً لدى المثقفين والدهماء، وخاصة أيام الدولة العباسية، وفي

عهد الفاطميين، والمماليك، وقد التفت حوله الجماهير، في الساحات العامة، وجلس الملوك والأمراء يستمتعون به في قصورهم. ولا تهمنا المناقشات البيزنطية عن شكل أصول خيال الظل؛ لأن الاختلاف كثير حول من أبدعه، مع أن المعطيات الموجودة في تلك العهود تؤكد أن سبب نشأته البيئة والذهنية العربية الإسلامية. مايهمنا هنا هو أن سكان الكيانات الإسلامية مارسوه بطريقة التجسيد، واستمتعوا به، وأبدعوا في تقديمه للجمهور. ويكتب ريتشارد إيتانقوسن: «.... إن المقامات للكثير محاولات أدبية، بتعبير درامي. ومؤلفاتها الموجهة للعروض الشعبية، من مسرح خيال الظل، أو لماريونات القرن الثاني عشر، والمحتوية على استحسانات أبي زيد، محنه ومصائبه وتسكعه، التي بتأكيد حدسية ظنية خالصة ... وفي نهاية القرن الثالث عشر، ازدهرت الفنون الشعبية، وخاصة مسرح خيال الظل، هذا الأخير اهتم بموضوعات جيدا قريبة من المقامات ... هذه المعطيات على رأسها منمنمات المقامات للربع الثاني للقرن الثالث عشر تبين بوضوح شكلية مسرح خيال الظل: حركات ومجموعة أفراد ...»(١٤).

السلطان يجلس على عرشه



خيال الظل، فن مسرحي في الشكل والمضمون، والتمثيل فيه كان عن طريق أشخاص ممثلين وما تتطلبه المقامة العرضية من ضرورة الإكسسوار. وراء ستار أبيض شفاف مع استعمال ضوء الشمع، أيضًا وراء الستار. بمعنى مسرحي خيال الظل استخدم التجسيد والديكور والضوء والنص. وفي تحليل ريتشارد إيتانقوسن منمنة المقامة الثالثة والأربعين للحريري)، «... إن الديكور المعماري، ببياناته غير المفاجئة، أصلاً من المسرح الكلاسيكي أو مسرح خيال الظل، لا غير، تظهر قرية قديمة ملموسة بالواقعية الاجتماعية والاقتصادية...»(١٥). أما التمثيل باستعمال الجسم بمعنى تجسيد الشخصية المسرحية أو الإكسسوار التي يحركها الممثل، وتظهر للجمهور كخيال، يشبه في الشكل ما يعرف اليوم بمسرح القراقوز. لكن الاختلاف أن القراقوز استعمل الدمية فقط، وخيال الظل استخدم تجسيد الشخصية المسرحية، ومتطلبات الإكسسوار ما وراء الستار. «إن منمنمة أبي زيد في مقامة مناداة الحاكم الثماني والثلاثين بلينين غرا ... إن أبا زيد هنا أحد الممثلين الرئيسين، والعلاقة مع الأفراد المختلفين مرتخية، لكن المشهد يتحول إلى عرض مسرحي حقيقي»(١٦).

ولتأكيد ذلك نجد أن أحمد أمين يعرف التمثيل كما

يلي: «جاءت من الشام إلى الإسكندرية فرقة تمثيل عربية برئاسة الشيخ خليل القباني، ومثلت بعض تمثيليات، منها رواية «نكران الجميل»، و«هارون الرشيد». وكان هذا التمثيل بدائيًا ... ومن التمثيليات التي اشتهرت تمثيليات ابن دانيال الموصلي قديمًا. فقد امتاز ابن دانيال بفن طريف، وهو التمثيليات المسرحية. ومما يؤسف له أن مؤرخي الأدب العربي لم يعنوا بتاريخ هذا الفن، مع أنه أصل من أصول الأدب. وكانت تمثيليات ابن دانيال تمثل على خيال الظل، وكانت تسلية للطبقات السفلى، ولكن هذا لم يمنع من عرضها على الكبراء، تنتقل إليهم، ولا ينتقلون إليها. فحكوا أن صلاح الدين كان يرى هذه التمثيليات، ومعه وزيره القاضي الفاضل، وأن السلطان سليمان الأول كانت تمثل أمامه تمثيليات في خيال الظل. وشاع أن



امرأة تغزل (الحريري)



من خلال مسرح خيال الظل تجسدت المقامات للهمذاني والحريري

خيال الظل كان سائدًا منتشرًا في أيام المماليك، وروى الشيء الكثير عنه ابن إياس...» (١٧). وهنا يبين أحمد أمين أن محمد شمس الدين بن دانيال استعمل التشخيص للأدوار وراء الستار كل حسب دوره أمّا في تعريفه لفن القرقوز فيكتب، «عبارة عن شاشة كشاشة

إن كثيرًا من مقامات بديع الزمان الهمذاني. والحريري دراما حقيقة. والباقي فيها جزء بسيط سردي حكواتي بمضمون درامي. والجزء الأخير نعدّه دراما بمضمون حكواتي؛ لأن السرد يأخذ حيزه في بعض المقامات

السينما، وراءها لمبة تشعل بالجاز «الكيروسين» لتضيء الشاشة إضاءة معتدلة، ثم من وراء الشاشة أيضًا أشخاص على هيئة رجال أو نساء أو أطفال مصنوعة من الجلد أو الورق المقوى يتحكم فيها بواسطة الحبال التي تشد هذه التصاوير المدككة في قطعة من القماش رجل خلف الستار، وتكون في فمه زمارة ينطق بها أو يغني بها، ويتلاعب بصوتها. فأحيانا يظهر في صوت امرأة، وأحيانًا في صوت رجل، وأحيانا في صوت طفل وكلما أراد إظهار صورة شدها لتظهر أمام الجمهور ... وقد كانت لعبة القراقوز معروفة عند الأتراك منذ القرن الثاني عشر للميلاد، أخذوها من الفرس أو الصين عن طريق المغول ...» (١٨). وهنا يوضح أحمد أمين الاختلاف في المفهوم الشعبي بالمعنى اللغوي، وما عرفه

الشعب المصري من عادات وتقاليد عبر العصور. وأن المقامات جسدت بواسطة خيال الظل. ويؤكد عبدالقادر فاروق، «أن المقامات انتقلت من الراوي الفرد إلى ظل الشخصيات مجسدا على ستارة مضيئة. وترك مسرح خيال الظل أثره ... ثم فن «القراقوز» الذي قام بدوره حين انحسر خيال الظل ..» (١٩). ومن خلال مسرح خيال الظل تجسدت المقامات لبديع الزمان الهمذاني والحريري. التي تمتلك مكونات الدراما في كثير منها، مثل مقامتي الأسدية والحلوانية وغيرهما. ونستطيع القول بمفهومنا الحالي للمسرح: إنها سرد وصفي للمكان، وحوار درامي. وقد تطور كثيرًا خيال الظل في عهد الدولة الفاطمية، ودولة المماليك، وأصبح مشاعًا بين الناس. في الأماكن الجماعية، والقصور والديارات وأيام الاحتفالات الدينية، وشكل مسرح خيال الظل (بالتجسيد أو بدونه) كان موجودًا، وقد استدل به الصوفيون في تفسيرهم لوحدانية الله، وهذا ما نجده في شعر عمر بن الفارض المولود بتاريخ (٥٧٦هـ - ١١٨٠م والمتوفى سنة ٦٣٢هـ - ١٢٣٥م).

فطيف خيال الظل يهدي إليك في
كرى اللهو ما عنه الستائر شقت
ترى هذه الأشياء تجلى عليك من
وراء حجاب اللبس في كل خلعة (٢٠)

وخيال الظل اشتهر به مختصون، ونجد منهم «محمد بن دانيال بن يوسف الخزاعي والموصلي شمس الدين المولود بتاريخ (٦٤٧ - ٧١٠ هـ الموافق ١٢٥٠ - ١٣١٠) طبيب رمدي من الشعراء، أصله من الموصل ومولده بها، نشأ وتوفي في القاهرة ...» (٢١)؛ وهناك من يسميه جمال الدين بن دانيال، ويختلفون في تاريخ مولده، في السنة الهجرية؛ درس وتربى في الموصل بالعراق، وبعد دخول المغول الموصل، تركها وسافر إلى مصر، «حيث نجد في البابة الأولى من البابات الظلية الثلاث في رسالة بعثها إلى صديقه علي بن مولاهم يقول ابن دانيال: هيِّئ الشخوص، ورحل وحلّ ستارة المسرح بالشمع، ثم اعرض عملك على الجمهور، وقد أعددته نفسيًا لتقبل عملك، بثّ فيه روح الانتماء إلى العرض، واجعله يشعر بأنه في خلوة معك، فإذا ما فعلت هذا، فستجد نتيجة تسّر خاطرك حقًا، ستجد العرض الظلي وقد استوى أمامك بديع المثال يفوق بالحقيقة المنبعثة من واقع التجسيد ماكنت قد تخيلته له قبل التنفيذ (٢٢).

من خلال هذه الفقرة تتحدث عن التجسيد بمعنى الشخصية المسرحية بفهومنا الحالي، وأن لكل دور شخصًا يقوم بتمثيله على الركح أمام الجمهور، ويؤكد العلاقة الحميمية التي بها المتعة واللذة بين الممثل والمشاهدين، ويقول ابن دانيال:

إن قام فيه ناطق واحد
عن كل شخص ناظر واحتجب
ترجمته طيف الخيال الذي
حكى هلالا طالعًا بالحدب
مذاهب الفضل به حجة
فنطقوه سادتي بالذهب (٢٣).

خيال الظل. فن مسرحي في الشكل والمضمون. والتمثيل فيه كان عن طريق أشخاص ممثلين وما تتطلبه المقامة العرضية من ضرورة الإكسسوار، وراء ستار أبيض شفاف مع استعمال الضوء الشمع. أيضًا وراء الستار، بمعنى مسرحي خيال الظل استخدم التجسيد والديكور والضوء والنص

وهنا يوضح محمد شمس الدين بن دانيال أن عمله الفني خيال الظل أو ما يسميه المبدع طيف الخيال أن لكل دور شخصية مسرحية تظهر أمام الجمهور من وراء الستار، وتجسد دورًا من أدوار المقامة، ونجد في البابات الثلاث طيف الخيال، عجيبًا وغريبًا، المتيم والضائع اليتيم، قد استنبطت من المقامات لبديع الزمان الهمذاني والحريري، وما فيها من مكونات الدراما، أضاف إليها إبداعاته الفنية حسب ما تطلبه الواقع الاجتماعي المعيشي اليومي لعصره ومشكلاتها وتطلعاتها التي عايشها المبدع، مثلت بواسطة خيال الظل او طيف الخيال. الذي يعترف ابن دانيال أنه غريب عن الناس في ذلك الوقت في قصيدته:

إلهيَ أنت السميع القريب.

وشاني وفني غريب غريب (٣٤)

من هذه القصيدة يبين أن فن خيال الظل بطريقته التجسيدية، غريب عن مجتمعات ذلك العهد وانه فن جديد عليهم، ويؤكد أنه مبدع فنه في قصيدته، وشاني وفني: وايضًا لا يخاف زوال فنه بقوله:

ومظهري بحجابي

ثبت في مدى الأحقاب

فكيف أخشى ذهابي (٣٥)

وهنا يؤكد محمد شمس الدين بن دانيال في فنه خيال الظل أن الجماهير احتضنته واسعدها، ومتشوقة لرؤيته وحتى الحيوانات تريد تقليده ما بالك بالبشر بقوله:

يخامرني فامسي في اختلال

وآونة ابشلق كالخيال

إذا عاينت أحوى ذا جمال

مع الفقراء أرقص في حبال

واجبى بالمشاعل والمخال

على قرد تعلم من فعالي (٣٦)

وقد امضى بعض المستشرقين الألمان كالأستاذ جاكوب سنين طويلة في دراسة تمثيليات ابن دانيال. وقد عثر له على تمثيليات ثلاث: الأولى اسمها (طيف الخيال)، وهي تصور الحالة السياسية والثقافية بمصر على عهد السلطان بيبرس. والثانية رواية (عجيب وغريب)، وهي تمثل سوقًا كبيرة يدخل الممثلون فيها واحدًا بعد واحد، يعرضون فيها بضائعهم. والثالثة اسمها (المتيم)، وهي تصور عشق المتيم هذا لليتيم. وفيها تحريش الديوك بعضها على بعض للقتال، ونطاح الكباش والثيران... (٣٧).

خيال الظل: فن مارسه سكان المناطق العربية، ودخل مساحتهم وقصورهم، وأصبح عادة وتقليدًا لدى المثقفين والدهماء، وخاصة أيام الدولة العباسية، وفي عهد الفاطميين، والمماليك، وقد التفت حوله الجماهير في المساحات العامة، وجلس الملوك والأمراء يستمتعون به في قصورهم

ميزات المقامات ومسرح خيال الظل

إن العالم العربي عرف عدة أنواع من مظاهر الفرجة الفنية، من طقوس دينية، وبعض المحافل الثقافية، كسوق عكاظ (الشاعر الممثل). وتطورت أنواع الفرجة إلى رواة المقامات وتجسيدات خيال الظل. إلا أن عرف المسرح بالمفهوم الأوربي. وهذا الأخير ما رسوه متأخرًا في القرن التاسع عشر.

وقد واجهت مقامات بديع الزمان الهمذاني



والحريري عند بداية تشكيلها صعوبات جمة ورآها بعضهم من الفكر الأجنبي آنذاك، وخاصة من التأوليين الرافضين للفكر الحواري والمبررين لحكم الفرد. فالمقامات، مسرحيات جنينية، اكتفى أصحابها بأن يكتبوها على الورق، تاركين للرسامين استلهامها في منمنمات كالواسطي، وللراوي أو الخيال أن يقوم بدور الممثل، ثم كان من نصيب محمد شمس الدين بن

إن لفظ المقامات أو أحاديث المجالس ليس معناه فن المقامات، حتى وإن وجد عنصر من عناصر فن المقامات. وهذا يرجعنا إلى التعريف اللغوي للزمخشري: "المقام والمقامة كالمكان موضع القيام، فاتسع فيهما حتى استعمال المكان والجلس



دانيال أن جسدها في مسرح طيف الخيال، واستطاع أن ينقل المقامة على الركح من الراوي الفرد إلى ظل الشخصيات مجسدًا على الخشبة بستارة مضاءة من الخلف بالشمع أو بالكيروسان. وللمشاهد أن يتخيل، ويدرك، ويتحسس طيف الخيال.

ويمكننا القول: إن أشكال الفرجة الفنية والعروض تطورت إلى أن وصلت إلى إبداع المقامات لبديع الزمان الهمذاني بهدف التهذيب ونبذ التضليل والهوس بالأسلوب الحواري؛ وعُدّت مقامات بديع الزمان الهمذاني والحريري، البداية الحقيقية للدراما العربية، وخاصة في كثير من المقامات، كالموصلية والأسدية والحلوانية وغيرها، وبعضها الآخر دراما بمضمون حكواتي. وجسدها محمد شمس الدين في مسرح خيال الظل. وهذا النوع من أنواع الفرجة الفنية هو أحسن ما كان يعرض على الجماهير، وأنا أعدّه بداية المسرح العربي؛ لأنه لا يختلف كثيرًا عن المسرح الحالي، ولأن التمثيل يتم عن طريق التجسيد والشخصيات المسرحية تظهر ما وراء الستار، مع وجود المتعة، الحوار، والصراع، والإيقاع، والزمان والمكان، والموسيقا، والأزياء، والجمهور، يعني أنه مسرح ممثلوه متحجبون، وموضوعاته مأخوذة من المقامات لبديع الزمان الهمذاني والحريري، ومن التراث الشعبي والواقع الاجتماعي المعيش في عهد ابن دانيال، عروضه امتزجت فيها الواقعية بالخيال، وعبر عنها بالأسلوب الجاد والمضحك، بتعبير ومهارة فنيين عن هموم الشعب وحاجاته. وهذا ابن دانيال يقول عن ممارسته لفن خيال الظل:

خيالنا هذا لأهل الرتب
والفضل والبذل لأهل الأدب
حوى فنون الجد والهزل في
أحسن سمط وأتى بالعجب (٢٨)

الهوامش

١. الزمخشري، مقدمة مقامات الزمخشري، مقدمة، ص ٧، المكتبة الأزهرية، الطبعة الثانية، مصر.
٢. الدكتور عبدالمالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، ص ١٢، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، عام ١٩٨٠م، الجزائر.
٣. مارون عبود، بديع الزمان الهمذاني، ص ٣٤، دار المعارف، عام ١٩٦٣م، مصر.
٤. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، الجزء الرابع، ص ٦٤، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
٥. خالدوف، دراسات في تاريخ الثقافة العربية (القرون ٥ ـ ١٥)، ص ٢٥٠، ترجمة الدكتور أيمن أبو شعر، دار التقدم ١٩٧٩م، الاتحاد السوفياتي سابقًا.
٦. بديع الزمان الهمذاني، المقامة الحلوانية، مقامات بديع الزمان الهمذاني.
٧. الدكتور عبدالمالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، ص ٥٠١.
٨. بديع الزمان الهمذاني المقامة الموصلية.
٩. يوسف نجم، فن القصة، ص ٩٨، دار الثقافة، عام ١٩٦٣م، بيروت، لبنان.
١٠. فاروق عبدالقادر، تقديم المسرح في الوطن العربي، ص ١٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، عام ١٩٩٩م بيروت، لبنان.
١١. داود سلمان الشويلي، مجلة التراث الشعبي، العدد الثاني ١٩٨٠م، ص ١٧٤، بغداد، العراق.

12- A. Papadopoulo .L'lart Musulman. p:97.
- L'islam et L'art Musulman. Edition D'art Lucien Mazenod- Paris 1976

١٣. المرجع السابق نفسه، ص ٩٢، ٩٤.

14- Richard. Ettinghausen. La peintur arabe, p: 82,83.
dition D' art Al-+- La Peinture Arabe. Traduit Par Yves Riviere. 1977. e dert Skira. S. A Ge.

١٥. المرجع السابق نفسه، ص ١١٦.
١٦. المرجع السابق نفسه، ص ١٠٥.
١٧. أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، ص ١٢٦، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، عام ١٩٥٣م، القاهرة، مصر.
١٨. المرجع السابق نفسه، ص ٢٢٠.
١٩. فاروق عبدالقادر، تقديم المسرح في العالم العربي للدكتور علي الراعي، ص ١٢.
٢٠. عمر بن الفارض، تقديم الدكتور عاطف جودة نصر، ص ٥٨، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع عام ١٩٨٢م، بيروت، لبنان.
٢١. خيرالدين الزركلي، الأعلام ، قاموس وتراجم الجزء السادس، ص ١٢٠، الطبعة السابعة، دار العلم للملايين، عام ١٩٨٦م، بيروت، لبنان.
٢٢. الدكتور علي الراعي، المسرح في الوطن العربي، ص ٤٤.
٢٣. ابن دانيال، قصائد الموسوعة الشعرية، الإشراف محمد أحمد السويدي.
٢٤. المرجع السابق.
٢٥. المرجع السابق.
٢٦. المرجع السابق.
٢٧. أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، ص ١٢٦، ١٢٧.
٢٨. ابن دانيال، قصائد الموسوعة الشعرية، الإشراف محمد السويدي.



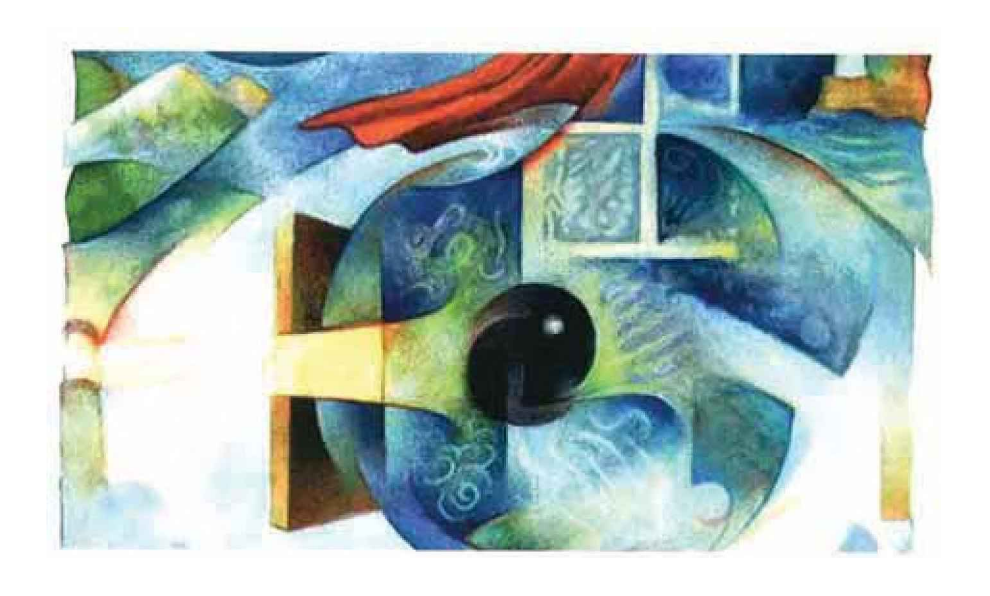
دوران

مصطفى رجب

سوهاج – مصر

رشفةً في إثر رشفةْ
ليس يدري ما استخفَّهْ
زائغ الفكرة والعـ
ـنين، لا يبصر حتفَهْ
لا يبالي بالليالي
إن ظلام الخوف لفَّهْ
أو أتاه الصبح لا يخـ
ـشى من الإشراق سيفهْ
كم قضى الليل انتظارًا
رجفة تبعث رجفةْ
والحبيبُ الغائب الفتـ
ـانُ لا يرسل طيفهْ
وهو ثاوٍ في مهاوٍ
بينه والسُّهد ألفةْ
رشفة في إثر رشفَةْ
كأسه تسبق كفَّهْ

أيها التائه في دنـ
يا الهوى يجهل ضعفَهْ
فيم أنفقت الليالي؟
قف فقد تجديك وِقْفَةْ
عمرك الخصب تقضَّى
نصفه فاستبق نصفَهْ
قلت للناس اتبعوني
أهدكم من غير كلفَةْ
إنما الأخلاق في الدنـ
يا لمن يبحر دفةْ
بعت للناس كلامًا
لا يسير الناس خلفَهْ
فاسترح يا أيها المخـ
بول، ليس الوعظ حرفَةْ
أنت مثل الناس قلبٌ
صيغ من حُبٍ ولهفَةْ



انت مثل الناس جسمٌ
صيغ من طينٍ ونُطفَةْ
فاسترح في ظل رشفة
من دعاويك المسفّةْ
رشفة في إثر رشفة
هي للمجنون وصفَةْ
عاد طينا مثل كل النـ
ناس، واستنكر عنفَةْ
قايض النبل بكأسٍ
واشترى شُكّرًا بعفّةْ
باع للشيطان قلبًا
لم يعد يألف زيفَةْ
واشترى نفسًا طروبًا
تشتهي طبّلاً وزفّةْ
عاد للمحبوب صبّاً
مثلما كان.. واتفَةْ!



شوقي محمود أبو ناجي
أسيوط ـ مصر

أ أُفضي بما بي أم كعهدي أؤجّل؟
وأخشى انفجار الخبءِ جمرًا يولولُ

أ أنطق والآذان لهْــفَى لكلمـــةٍ
تشي بالذي يضنى وفي القلب مرجل

إذا ضقت ذرعا بالذي في جوانحي
فمَن ذا الذي بعدي له يتحـمل

سهرت على متن الخيـالات هائمًا
سحابة عمري بالتهاويم أحفل

إلى أن رأيت الحلم نورًا وصحـوة
يقدم لي كـأسًا فـأحسو وأثمل

وأُشربته وحدي وقد كنت راضيًا
وقـد كنت أدري أنه يتـغلغل

◆◆◆◆

وتسري بأوصال الخمائل رعشة
ويشدو على أغصانها الخضر بلبل

وأشعر أني قاب قوسين من رؤىً
تجسمها الأسحار والليل مسبل

وأسعى إلى اللقيا وبالقلب رجفة
تقـيّـد من خطوي لها فـأوْجل

وأصغي إلى صوت الوجيب مرددًا
بصدري من دقاته ما يجلجل

يصـوِّر وهمي أن للناس قـدرةً
على كشف ما أخشاه والصدر مقفل!

وأسمع شيئًا من شفاهٍ تهامستْ
لماذا يلفّ الصمت هذا ويذهل؟

ألم يك بين الناس يضفي بشاشةً
فـتزدهر الدنيـا وتزهو وتجـمُل

عـرفناه والآلام ترمى بصابها
عليه فلا يأسى ولا يتململُ

فأيُّ شقاءٍ قد أطاح ببسمةٍ
توارتْ وكانت دائمًا تتهلل

لقد كان ممراحًا ضحوكًا ولو دجا
على الناس همٌّ يجرف الناس مثقل

◆◆◆◆

وأُطرق.. لا أدري أخارت عزيمتي
فأنفث ما بي للذي بات يسألُ؟

وكيف وقد عاهدت نفسي.. وحبُّها
يجلّ ويسمو فوق من يتطفل؟

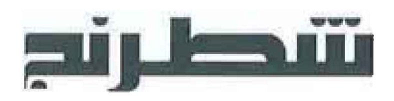
وإن كنت مثل الناس بي مثل ما بهمْ
وفوق الذي قالوا به وتمثلوا

ولكنني وحدي تجلدتُ دونهم
وخبّأته عمن يلوم ويعذل

◆◆◆◆

سألتك بالحب الذي لم أبح به
كأنّي بباب الحصن وحدي موكّل

أتخفينه مثلي؟ أجابت بلحظها
نعم.. وفشا في الكون سرٌّ مفصلُ

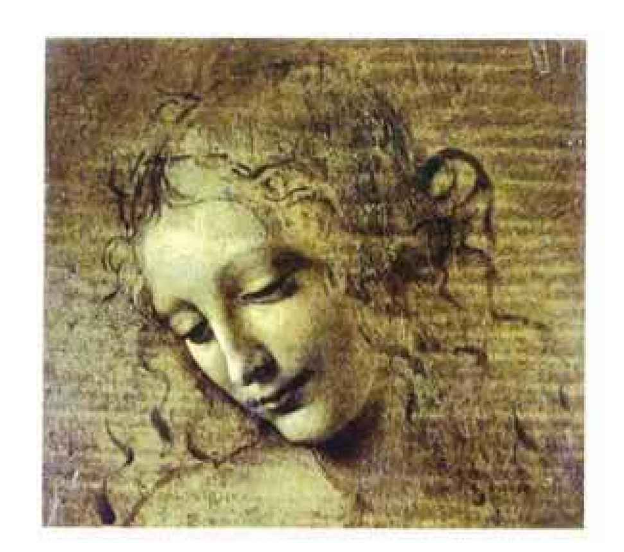


شطرنج

عبدالله سعد اللحيدان

الرياض - السعودية

بين قاعاتٍ
بلا سقفٍ،
وبَهو بعد بهو،
يعبرُ الخاناتِ،
لا يحفلُ بالبَيْدقِ،
ماذا خبَّأ اللاعبُ،
أو
من يرسم الأبيضَ
والأسودَ
للشطرنجِ،
لا يسألُ
من حرَّكَ في البدءِ
انتهى،
كيف انتهى الخطُ
إلى النَّسْخِ المُعقّدْ.
هكذا
يخلبُ
لُبَّ الرُّقعةِ البكْرِ
ويجتازُ
خطوطَ الطول والعرضِ
اختراقًا،
دون تخطيطٍ
ولا رسمٍ مُحدّدْ
دون أنثى
لا تشدُّ القوسَ
يا لَلقلبِ
ما أقساهُ!
يا لَلخوفِ
من سهمٍ مُسدّدْ،
من كنانةِ
قلب «الزمانِ»
المُجرّدْ.





القندلفت (١)

ترجمة: وفيق كريشات

اللاذقية - سورية

عصر ذلك اليوم، شهدت كنيسة القديس بطرس في ساحة نِفِل تعميدًا لأحد الأطفال، وألبرت إدوَرد فورمَن لمّا يخلع بردة القندلفت. كان عنده بردة جديدة ثناياها واسعة، توحي قساوتها بأنها مصنوعة من البرونز الذي لا يحول، وليس من الألْبَكة، وهو يدخرها لشعائر الدفن والزفاف (فكنيسة القديس بطرس في ساحة نفل مكان يفضل أعيان البلد إقامة هذه الشعائر فيه)، أما اليوم فإنه يرتدي الثانية جودةً. كان لبسها يسبغ عليها الرضا؛ إنها شعار رفيع لمنصبه، وعندما يكون بدونها (حينما ينزعها وقت رواحه إلى البيت) ينتابه إحساس ملبك بأن في لبسه شيئًا من النقص. ولطالما تكبد المشقة لأجل بردته؛ إنه يسويها بنفسه، ويكويها بنفسه. وفي السنين الست عشرة التي قضاها ألبرت إدوَرد وهو قندلفت هذه الكنيسة، اجتمع لديه الكثير من البرد؛ لم تطوع له نفسه رمي البرد بعد بلائها، وها هي ذي تستقر جميعًا في أدنى أدراج خزانة الثياب في غرفة نومه وقد غلفت بالورق البني.

انهمك القندلفت بهدوء في تغطية جرن المعمودية الرخامي بغطائه الخشبي المدهون، وفي نقل الكرسي الذي أتى به لأجل عجوز واهنة، ثم أخذ ينتظر ان يترك القس غرفة الحاجات كي يلجها ويصلح من لبسه وينصرف إلى داره. لكنه لم يلبث أن رآه يخطو مجتازًا الهيكل، ثم يركع قدام المذبح العالي، ويأتي في الرواق وهو لا يزال لابسًا ثياب الكهانة.

«لماذا يتلهى؟» قال القندلفت في نفسه: «أما يعلم أني أرغب في تناول الشاي الذي اعتدته؟»

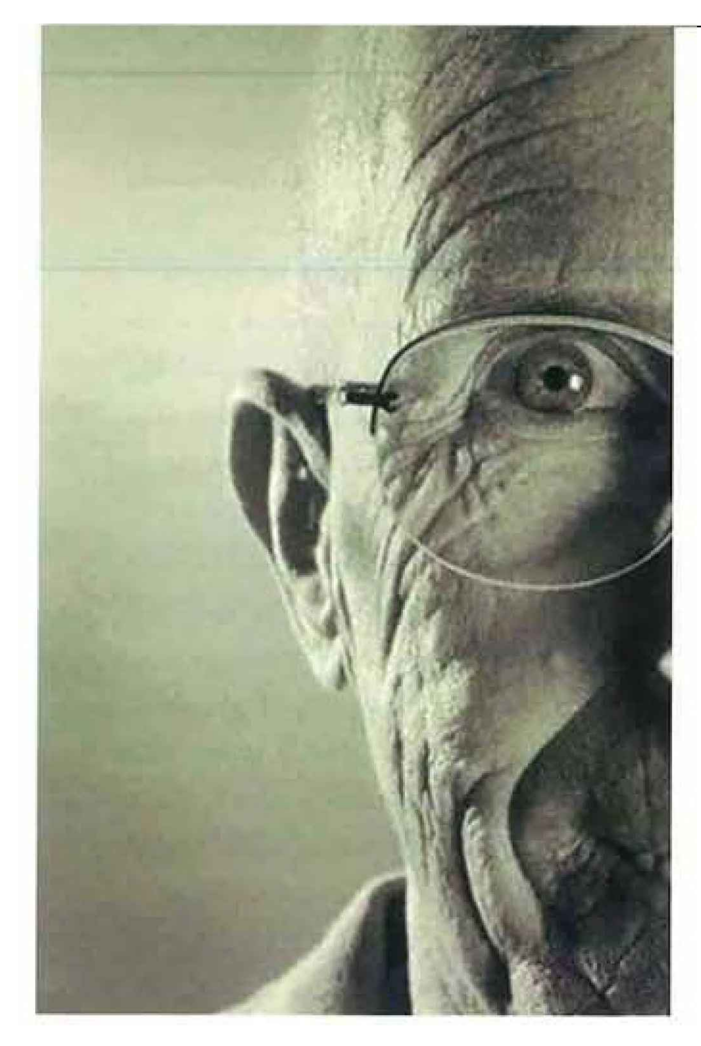
إن القس حديث العهد بمنصبه، وهو رجل نشيط مورد الوجه في أول العقد الخامس من عمره، ولمّا ينقض أسف ألبرت على سلفه، رجل الدين ابن المدرسة القديمة الذي طالما ألقى بتمهل عظة القداس بصوته العذب، وجلس على موائد رعايا أبرشيته الأرستقراطيين. كان يحب أن تجري أمور الكنيسة على سجيتها، ولم يكن يتكلف النظام؛ إنه بخلاف هذا الرجل الجديد الذي يجب أن يدس أنفه في كل الأمور. لكن ألبرت إدوَرد كان رجلاً صبورًا. إن كنيسة القديس بطرس في محلة راقية ورعاياها من خيرة الناس. أما القس الجديد فمن أبناء إيست إند، ولا يرتجى منه أن يتوافق من فوره مع المسلك المتحفظ لرعاياه من علية القوم.

«فيمَ العجلة؟» قال ألبرت إدورد: «ليأخذ من الزمان حاجته، ستعلم».

وتقدم القس في الهيكل بما يمكنه من مناداة القندلفت من غير الإجهار بصوته بما لا يليق ببيت العبادة، ثم وقف.

«فورمن، هلا دخلت غرفة الحاجات دقيقة؟ عندي ما أقوله لك».

«حبًا وكرامة يا سيدي».



وانتظره القس حتى أتاه، ومضيا معًا إلى حيث قال:

إنه لتعميد رائع يا سيدي. يا للعجب، لم تكد تتناول الوليد حتى كف عن البكاء».

«قد علمت أن هذا دأبهم دائمًا، «قاله القس مبتسمًا ابتسامة صغيرة»، لي باع طويل في هذا».

كانت مقدرته على إسكات الطفل المتذمر بالإمساك به تثير فيه شعورًا لطيفًا بالفخر، ولم يكن بالغافل عن إعجاب الأم والحاضنات وسرورهن وهن يتفرجن عليه وهو يضع الوليد في ثنية ذراعه المغطاة. لقد علم القندلفت أن الإطراء يسره.

سبق القس ألبرت إدوّرد في ولوج الغرفة. وانتاب ألبرت إدوّرد شيء من الدهشة عندما رأى القيمَين فيها إذ لم يرهما يدخلان. وأومأ إليهما إيماءة تلطف.

«طاب نهارك يا سيدي. طاب نهارك يا سيدي، قال لهما أحدهما بعد الآخر».

كان القيمان شيخين كبيرين، وقد قاما على الكنيسة مدة تقرب طولاً المدة التي قام فيها ألبرت إدوّرد بخدمته. وها هما الآن يجلسان إلى طاولة الطعام التي جلبها القس السابق من إيطاليا منذ سنين. أما القس فيجلس على أحد الكرسيين بينهما. جلس ألبرت إدوّرد قبالتهما والطاولة بينه وبينهما، وقد أشعره الأمر بالحيرة، وبشيء من عدم الارتياح. إنه ما زال ذاكرًا المشكلة التي أثارها عازف الأرغن وما قد كلفوه حتى أبقوا الأمور في حيز الكتمان. إن كنيسة من مثل كنيسة القديس بطرس في ساحة نفل لا تطيق الفضائح. ظهرت على الوجه الأحمر للقس نظرة رقة وحزم، أما وجها الآخرين فظهر عليهما القلق.

«لقد كان يلح عليهما» وقال القندلفت في نفسه: «لقد حملهما على أمر ما، أمر لا يحبانه البتة. إنه لكذلك! احفظوها عليّ».

لم تظهر أفكار ألبرت إدوّرد على قسماته الواضحة المميزة، ووقف وقفة الوقور غير المتذلل. إن ألبرت إدوّرد - قبل أن ينال الوظيفة الدينية - قد عمل خادمًا، في المنازل الفخمة جدًا دون غيرها، وما من شائبة تشوب سلوكه. كانت فاتحة عمله، وهو صبي، الخدمة لآل بعض التجار الأثرياء، وارتقى درج الخدمة من الرابعة إلى الأولى؛ وعمل سنةً كبيرًا أوحد للخدم في دار أرملة أحد الأعيان، ثم رئيسًا لخادمين في منزل أحد السفراء المتقاعدين. إنه رجل طويل جدي وقور يوحي مظهره بأنه دوق، أو لنقل: ممثل من ممثلي المدرسة القديمة الذين اختصوا بدور الدوق. وهو رجل

يحسن القول والعمل وذو ثبات وثقة بالنفس. وفي الجملة، لم يكن لقائل فيه مغمز.

«فورمن، إننا قائلون لك ما لا يسرك، إنك ها هنا منذ سنين طويلة، وأحسب سيادته والرئيس العام يوافقانني على القول بأنك قمت بواجبات منصبك قيامًا يرضي كل من يهمه الأمر».

قال القس هذا وأومأ القيمان موافقَين.

«ولقد انكشف لي في ذلك اليوم حقيقة مستغربة، وشعرت بأن من واجبي الإفضاء بها إلى القيمين. لقد اكتشفت، ويا لهول ما اكتشفت، أنك لست بقارئ ولا بكاتب».

لم يشِ وجه القندلفت بما ينبئ بالخجل.

«قد علم القس السابق بذلك يا سيدي»، رد فورمن قائلاً، وقال: إن هذا الأمر لا يغير حقيقة الحال تغييرًا ذا شأن. ولطالما قال: إن في الدنيا من العلم الغزير ما ينبو عن ذوقه».

«هذا أعجب شيء سمعته»، صاح الرئيس العام. «أتعني أنك قندلفت هذه الكنيسة منذ ستة عشر عامًا، ولم تتعلم القراءة ولا الكتابة؟»

«سيدي، لقد انخرطت في سلك الخدمة منذ كنت في الثانية عشرة. وفي أول مكان عملت فيه حاول الطاهي أن يعلمني؛ لكنني افتقرت إلى الموهبة على ما يظهر، ثم شغلتني شؤون الحياة وما تركت لي فرصة. لم أجدني محتاجًا إلى ذلك قط. وإنني كثيرًا ما أتفكر في ما يضيعه الشباب من وقت على الدرس في حين قدرتهم على القيام بأعمال نافعة».

«طيب، ألا ترغب أن تعرف الأخبار؟ قال القيم الثاني: «ألا تريد أن تكتب رسالة أبدًا؟».

«لا ياسيدي. فالظاهر أنني فالح بدون ذلك. وفي السنين الأخيرة صاروا يضعون هذه الصور في الجرائد، وبذلك أعلم ما يحدث، وإذا رغبت أن أكتب رسالة كتبتها لي زوجتي. لست ممن يركنون إلى التخمين كما قد يظهر عليّ».

نظر القيمان إلى القس نظرة خاطفة قلقة ثم أطرقا ينظران إلى الطاولة.

«طيب، يافورمن، لقد قلبت الأمر مع هذين الفاضلين، وهما يوافقانني على أن هذه الحال لا تطاق. لا يجوز أن يكون في كنيسة مثل كنيسة القديس بطرس في ساحة نفل قندلفت لا يكتب ولا يقرأ».

احمرَّ وجه ألبرت إدورد النحيل الشاحب وزحزح قدميه ولكنه لم يحرّ جوابًا.

«تفهمني، يا فورمن، إنني لا أوجه اللوم إليك، إنك تقوم بعملك خير قيام. وإنني أقدّر أعلى تقدير شخصك وإمكاناتك جميعًا، لكن لا يسعنا أن نخاطر بإمكان وقوع حادث من الحوادث لجهلك المأسوف عليه.

إن هذا الأمر يقوم على العقل مثل قيامه على المبدأ».

وقال الرئيس العام سائلاً ألبرت فورمن: «ألا تستطيع أن تتعلم يافورمن».

«لا ياسيدي، اخشى أنني لا أستطيع - في هذه السن. وقد ترى أني لست شابًا كما كنت، وإذا لم أستطع ان أدخِل الأحرف في راسي وأنا ولد فلا أحسبني قادرًا اليوم».

«إننا لا نرغب أن نقسو عليك، «قال القس»: «لكني والقيمَين قد حزمنا أمرنا، وإننا ممهلوك ثلاثة أشهر وإذا تتمكن في آخر هذه المهلة من تعلم الكتابة والقراءة فسيكون عليك ترك الكنيسة، وهو مما يؤسفنا».

ما احبّ ألبرت إدوَرد القسّ الجديد قط. وقال من اول الأمر: إن تولية القيمين إياه أمر كنيسة بطرس كان خطأً؛ لأنه ليس من الرجال الذي يُرغب فيهم لأجل قصّاد الكنيسة ذوي الذوق الرفيع.

قوّم من جلسته قليلاً. إنه يعرف قدره ولن يدع احدًا يجعل منه مشكلة.

«آسف جدًا يا سيدي؛ اخشى أن لا فائدة من المهلة. لقد كبرت كلبك على تعلم حيل جديدة. لقد عشت هذا العمر كله وأنا غير عالم بالقراءة والكتابة، ولا راغب في الثناء على نفسي. الثناء على النفس ليس بمحمدة. ولا أنا مكترث للقول: إني قمت بواجبي في الحياة التي اختارها لي القدر الرحيم، وحتى لو أمكنني التعلم اليوم فلا أحسبني راغبًا في ذلك».

«في هذه الحال، أخشى أنه من الواجب عليك ترك الكنيسة يافورمن».

ما إن أغلق ألبرت إدوَرد، بأدبه المعهود، أبواب الكنيسة بعد خروج القس والقيمين، حتى تسامى في جوّ الوقار الهادئ الذي احتمل فيه اللطمة التي لُطِمها، وارتعشت شفتاه. ورجع متمهلاً إلى غرفة الحاجات وعلق بردته على علاقتها، وتنهد لذكرى شعائر الدفن العظيمة، ومراسم الزفاف الرائعة التي مرت عليه. رتب الحاجات كلها، وارتدى معطفه، ثم اجتاز الهيكل وقبعته بيده. أقفل باب الكنيسة خلفه. وتمشى فعبر الساحة؛ لكنه لم يسر في الشارع الذي يأخذه إلى منزله حيث ينتظره كوب من الشاي الثقيل، بل انعطف في غمرة أفكاره الحزينة انعطافًا مخالفًا لوجهته.

تمشى في الشارع وئيدًا وقد انقبض صدره. ما كان يدري ما يفعل بنفسه. لم يكن من المقبول أن ينخرط في سلك الخدمة المنزلية مرة أخرى؛ لا يسعه أن يحط من قدره بالتوظف بعد أن ظل سيد نفسه هذه السنين كلها. ليقل القس والقيمان ما يريدان؛ هو الذي كان يدير أمور كنيسة القديس بطرس في ساحة نفل. لقد ادخر مبلغًا كبيرًا من المال، لكنه لا يكفيه أمور معيشته إن لم يعمل؛ والظاهر أن تكاليف الحياة تزيد عامًا بعد عام. لم يخطر بباله قط أن اسئلة كهذه سوف تقلقه في يوم من الأيام. إن مَثَّل قندلفت كنيسة القديس بطرس كمَثَل بابا روما يموت وهو في منصبه. ولطالما تفكر في الذكر الجميل الذي سيتلوه القس في العظة التي سيلقيها في صلاة المساء لأول احد يعقب وفاته، مثنيًا على الخدمة الخالصة الطويلة وعلى شخص القندلفت الراحل ألبرت إدورد فورمَن الذي كان أسوة لمن يتأسى.

وتنهد تنهيدة عميقة. ما كان ألبرت إدوَرد ممن يشربون الدخان ولا الخمر، ولكنه لم يكن ملتزمًا ذلك التزامًا مطلقًا؛ إنه يحبذ تناول كأس بيرة مع عشائه



وسيكارة إذا كان تعبًا. وقد شعر الآن أن سيكارة ستأتيه بالراحة، وإذ أنه لا يحمل منها شيئًا نظر حوله باحثًا عن دكان ليشتري منه علبة «غولد فليكس» إلا أنه لم يرَ دكانًا فتقدم قليلاً. كان الشارع طويلاً فيه من الدكاكين التي تبيع كل شيء - إلا السكائر.

«ما أعجب هذا»، قال ألبرت إدوَرد.

وتمشى في الشارع كله مرة أخرى لأجل أن يستيقن من الأمر. لا، لم يكن في الأمر شك. وقف وراح يذرع الشارع بنظره متفكرًا، ثم قال:

«لا ريب في أن غيري قد تمشى في هذا الشارع ورغب في سيكارة. وليس من البعيد أن ينجح المرء إذا فتح دكانًا صغيرًا هنا. دكان دخان وسكاكر، طبعًا».

ثم تحرك حركة مباغتة عفوية وقال:

«يا للفكرة. ما أغرب ما يخطر ببالك الأمر وأنت غير متوقع إياه».

وانعطف ومشى إلى منزله واحتسى كأس الشاي.

«ألبرت، إنك صامت هذا العصر»، أنشأت زوجته تقول معلقة:

فقال: «إنني أفكر».

قلّب وجوه الأمر كلها، ثم مضى في غده إلى الشارع فوجد - لحسن الحظ - دكانًا يريد صاحبه أن يؤجره، وهو دكان صغير يناسبه أشد المناسبة. وفي أربع وعشرين ساعة اخذ ألبرت إدوَرد فورمن الدكان، وشرع يعمل بيّاعًا للدخان والجرائد بعد ذلك اليوم بشهر حينما ترك كنيسة القديس بطرس في ساحة نفل تركًا لا رجوع بعده. لقد عدّت زوجته فعلته هذه انحطاطًا مهولاً في قدره بعد كونه قندلفت كنيسة القديس بطرس؛ إلا أنه رد قائلاً أن على الإنسان ان يتغير مع الأيام، فالكنيسة لم تبق مثلما عهدها، ومنذ الآن سيعطي ما لقيصر لقيصر. وافلح ألبرت إدوَرد

في عمله خير فلاح، ولم تمض عليه سنة حتى ارتأى أن يأخذ دكانًا آخر، ويجعل فيه من يديره له. بحث عن شارع طويل آخر ليس فيه بياع دخان، وحينما وجد الشارع، ووجد فيه دكانًا يؤجره صاحبه، واستأجره وملأه بضاعة. ونجح عمله هذا أيضًا. ثم عنّ له أنه إذا أمكنه أن يدير دكانين فإنه يمكنه أن يدير ستة! وشرع يجوب أرجاء لندن، وكلما وجد شارعًا ليس فيه بياع دخان ووجد فيه دكانًا يؤجره صاحبه استأجره. وفي عشر سنين صار له عشرة دكاكين وقال له الكريم خذ. وصار يطوف على دكاكينه كل اثنين يجمع غلة الأسبوع ويحملها إلى المصرف.

وفي صباح يوم من الأيام وحينما كان يدفع حزمة من الأوراق النقدية وحقيبة ملأى بالنقود الفضية، أخبره المحاسب برغبة المدير في رؤيته. وقاده بعضهم إلى المكتب حيث صافحه المدير وبادره قائلاً:

«سيدي فورمن، سأحدثك بشيء عن أموالك التي تودعها لدينا. أتعلم مقدارها على وجه التحديد؟»

«سيدي، إنني أعلمه على وجه التقريب، وإن كنت لا أعلم كم جنيهًا هو».

«إن مقدارها ثلاثون ألف جنيه أو تزيد قليلاً، سوى ما دفعته هذا الصباح. وهذا المبلغ الكبير لا يودع وديعة وإنني لأحسب أن من الخير استثماره».

«لا أحب أن أجازف يا سيدي. المصرف أكثر أمانًا، هذا الذي أعرفه».

«لا مسوغ لقلقك أبدًا. سنقدم لك قائمة بسندات مذهبة الحواف. وهذه السندات ستدر لك نسبة من الفائدة أكبر مما يسمنا أن نعطيكه».

ارتسمت على وجه السيد فورمن المميز القسمات نظرة قلقة، وقال:

«لا حاجة لي بالأسهم وأحبذ أن أترك المال في أيديكم».

تبسم المدير.

«سنقوم بالأمر كله. وما عليك في المرة القادمة سوى إمضاء الحوالات».

«سأفعل ذلك على ما يجب»، قال البرت بارتياب: «لكن كيف أعرف ما أمضيه؟».

«احسبك تقرأ، قالها المدير بشيء من الامتعاض».

ابتسم السيد فورمن ابتسامة مسالمة.

«الأمر هكذا. إنني لا أقرأ. أعرف أن الأمر يبدو مضحكًا، إلا أنه كما أقول! أنا لا أقرأ ولا أكتب سوى اسمي وما تعلمته إلا عندما صرت أعمل في البيع والشراء».

وأخذت الدهشة من المدير كل مأخذ حتى إنه وثب من كرسيه.

«هذا أعجب شيء سمعته».

«إنه لكما ترى، وكما قد تعلم يا سيدي. لم تمكني الفرصة إلى أن كان الأوان قد فات، وعندما أمكنت لم أرغب فيها. أصبح دائي مزمنًا».

حدق المدير إليه كما لو أنه وحش من وحوش ما قبل التاريخ.

«أتريد أن تقول: إنك عملت هذا العمل الكبير، وجمعت ثلاثين ألف جنيه وأنت لا تقرأ ولا تكتب؟ ربّاه، ما كان حالك اليوم يا رجل لو أنك تقرأ وتكتب؟»

«سأخبرك يا سيدي»، قال السيد فورمن وابتسامة صغيرة تعلو وجهه الارستقراطي الجامد. «كنت سأبقى قندلفت كنيسة القديس بطرس في ساحة نفل».

الهوامش:

١. القندلفت: شخص يُستأجر ليدير ما في داخل الكنيسة، وليقوم بأعمال صغيرة من مثل دلالة المتعبدين على مواضع جلوسهم.



موسى بن عبدالله بن موسى البوكري
جدة - السعودية

منذ سنتين وهي فترة زواجي لم يحلّ الضيف الجميل (الطفل) في داري..

عندما ارادت أمي تزويجي قلتُ لها: اريدها امرأة حقيقية، انثى بمعنى الكلمة، لا أريدها امرأة كرجل! تقارعني.. تنازعني.. راسًا براس..

خطبتُ.. عقدتُ.. تزوجتُ.. ومضت سنتان.. ولم أنجب طفلاً..

في البداية كانت أمي تسألني: «إن كنتَ مقصرًا في الحقوق الزوجية؟» أعلمتها: «انني اتقن الحقوق الزوجية.. وزوجتي لا تقصّر..» ولاذتْ أمي بالصمت لأشهر عديدة.. كنتُ اعلم حسب معرفتي بسيدتي الوالدة ما الذي يدور بخلدها، لكنني لم أكن أستعجل العاصفة.. التي ربّما تجعل الأرض بلقعًا.. ليست كما تتوهم الوالدة أنها تأتي بمطر غزير..

منذ سنة تقريبًا ذهبتُ إلى الطبيب ليعلن لي أنني سليمٌ معافى! وعلمتْ الوالدة بذلك؛ فطالبتني أن أجبر زوجتي على الفحص.. وكنتُ أتريّث وأطلب من عزيزتي الوالدة أن تتريث.. فتصبر على مضض ولعلّ وعسى..

ومنذ شهر تقريبًا طلبتْ مني أن اتزوّج.. بل أعلمتني أمام والدي أنها تبحث لي بشكلٍ جدّيٍ عن زوجة أخرى..

لم اجبْ؛ كنتُ كالمشدوه في انتظار الآتي.. لعل الآتي احلى!!

◆◆◆

في هذا المساء شيءٌ ما يتغير، وحدْسي لا يخيب غالبًا..

قرعتُ الجرس مرارًا وتكرارًا.. دون إجابة.. اخيرًا اخرجتُ المفتاح.. ودخلتُ البيت مسلمًا على من فيه.. لكني لم أسمع إجابةً البتة.. فجأة ودون مقدمات رأيتها بين الصالة وغرفة النوم مسندةً راسها إلى الجدار وهي بعباءتها غير أنها كاشفة عن وجهها.. يبدو ان حدسي الآن لا يخيب..!

- ما بك؟ ما الذي حدث يا حبيبتي؟!

نطقتُ بالكلمة الأخيرة تحت إلحاح طبيعي بتهدئة روعها..

- لماذا تأخرتَ؟!

لأول مرةٍ أشعر انها كانتْ تستعجل لقائي.. نزل السؤال بردًا على صدري.. كدتُ أعلن الفرح في لحظةٍ كانت على ما يبدو في قمة الخوف..

- لم اتأخر.. جئتُ في موعدي..

اقتربتُ منها، وضعتُ يدي على كتفها لأحثها على الذهاب معي إلى الغرفة.. غرفة النوم او غرفة الاعتراف.. لكنها لم تجبْ.. يبدو أنها لم تعد قادرةً على المشي.. كانت الدهشة تملأ تفكيري.. يبدو أن شيئًا ما حدث، وأدّى إلى هزةٍ عنيفةٍ في مشاعرها.. أسندتها إليّ بدل الجدار وتذكرتُ المثل: «ظل رجل ولا ظل حائط».. لم تتحرك حتى استدار ساعدي بخصرها فتحركتْ كامرأةٍ تتعلم المشي من قوة النسيان في أرذل العمر!!

ودخلنا الغرفة، غرفة النوم.. وجلسنا قريبين.. لم تتكلم.. كانت او اشعرُ أنها في حالة يُرثى لها من الذعر الشديد.. اقترب وجهي من وجهها فاغضتْ إلى الأسفل..

- ما الذي حدث يا زوجتي الغالية.. هل ثُمّ ما يريب؟ تحدثي..!

كنت خارجة إلى السوق.. تبعني أحد الشباب من محلٍ إلى

آخر.. حتى خرجت من السوق.. كان ما زال يتبعني.. كنتُ أشعر انه ذئبٌ بشريٌ وليس بآدمي.. أرجوك..

رفعتْ بصرها إليّ بحزن جميل.. وأكملت:

- أرجوك.. لا تدعني وحيدةً.. إنني خائفة..

وألقتْ برأسها على نحري.. لم تكن تبكي، لكن كنت أشعرُ أنها تبحثُ عن الأمان.. لا أكذبُ في تلك اللحظات فقط انتابني شعورٌ: بأنني فارس الفرسان وحامي الحمى، متقلدًا سيفًا وعلى رأسي المغفر ونظرتي تنتمي إلى نظرات النمر؛ سرتْ في جسمي مشاعر الاعتزاز والثقة.. والفرح أيضًا.. لكن ما زلتُ أريد أن أتيقن..

- هل تبعك إلى المنزل؟!

- نعم.. وقرع الباب أيضًا.. لم أفتح له.. قلتُ: إن كان زوجي فلديه مفتاح.. هل صادفتَ أحدًا؟!

- ربّما.. نحن في عمارةٍ سكنية وربّما أخطأ أحدهم بدقه على باب شقتنا وهو يريد منزلاً آخر.. على كل حال.. هدّئي من روعك! وقمتُ..

تشبثتْ أصابعها بثوبي.. ورفعت نظرها نحوي.. كانت جميلةً جميلة جدًا، حقًا ما أجمل المرأة في قمة ضعفها!! لا أكذب: كدتُ أموت رقةً وحنانًا.. وكدتُ التحم بجسدها وأعطيها قلبي ليقرّ خوفها، ويسكن روعها..

- إلى أين يا عزيزي؟! أنت لن تخرج الليلة وتدعني وحيدةً..

رن جرس الهاتف.. كنت أظن أنها ستقفز لتجيب كعادتها.. فطالما اتصلت بها أمها وأخواتها.. وقلما اتصل بي أهلي وعشيرتي.. كانتْ معظم المكالمات لها.. وها هي ذي الآن لا تستطيع أن تجيب.. تناولتُ سماعة الهاتف، كان على الجانب الآخر أمي تريد أن تسألني رأيي في «فلانة» لتكون زوجة أخرى لي.. لكني طلبتُ من سيدتي الوالدة أن تنسى الموضوع، فأقفلت السماعة في وجهي.. ترى لو علمتْ زوجتي بهذا أكانت تشكر لي؟!.. لم أشأ أن أعلمها.. فربما كانت النتائج عكس المأمول.. ارخيتُ السماعة و أكملت قيامي..

- سأذهب إلى المطبخ لأعدّ لك عصيرًا من البرتقال، ربّما ساعدك على الهدوء..

لا تزال أظفارها مثبتة بثوبي القطني الفاخر لدرجة أنها ربما سببتْ له تهتكًا غير محمود..

فككتُ أصابعها برفق وحنان.. وأخذتُ أخطو خارجًا..

- لا تطلْ.. عدْ إليّ سريعًا.. أرجوك يا حبيبي!!

كاد يتملكني الغرور وترتسم الضحكة على شفتي رضًا بما اسمع، لكني واريتُ وجهي سريعًا وأنا أخرج..

وبينما كنتُ في المطبخ سمعتها تناديني بلهفة وتطالبني بالعودة..

تريّثت قليلاً.. ثم عدتُ وفي يدي عصير البرتقال.. دخلتُ الغرفة وجلستُ بجانبها.. وضعتُ العصير جانبًا.

- عزيزتي ما الذي حدث..؟!

- سمعتُ دقًا خفيفًا على النافذة..

قمتُ، فتحت النافذة.. لم أجد شيئًا..

- لا شيء.. ربما كانت قطة متسلقة على الشجرة القريبة من النافذة ثم قفزتْ إلى النافذة.. ربما كان طائرًا صغيرًا.. أو حشرة.. أو..

صمتُ قليلاً أتأمل ملامح الضعف والشوق إلى الاحتماء..

- اهدئي.. أنا معك.. لا تخشي شيئًا طالما كنتُ معك!

- يجب أن تبقى معي يا عزيزي..

وامسكتُ بيديها وبكلتا يدي وسرى الدفء في جسدينا..

◆◆◆

مرّ أسبوع عشتُ في هناء منقطع النظير خلاله.. هناء الشوق واللهفة والكلمات الحانية.. هناء الدلال والخوف الأنثوي الذي أخرج كوامن رقتها وعذوبتها وجمالها الحقيقي الأخاذ..

بعد شهرين.. أخبرتني الطبيبة: أنها حامل.. فرحتُ فرحًا شديدًا،

لكني لم أتفاجأ بل أخبرتُ الطبيبة: أنها حامل بجنين ذكر.. فعجبتْ..

مضت فترة الحمل.. ووضعتْ زوجتي طفلها البكر.. كان ذكرًا.. وبكلّ ثقة أسميته: «حبيب».





معركة نقدية حول شعراء عسير (خطاطة أولى)

عبدالرحمن بن حسن المحسني

عسير - السعودية

موجز القراءة الناقدة:

هذه المقاربة سوف تتحرك في ثلاثة مسارات:

١. المسار الأول: عسير النص الغائب

ثنائية الحضور والغياب تشكل أول مستند يطرقه الأستاذ السمطي، وتكاد تكون جدلية مفروغًا من أمرها، وتحريكه لها يعيد جذوة موجودة غير أنه نفخ فيها من روح التساؤل، فإذا هي حية مثيرة....

٢. المسار الثاني: عسير والتموضّع اللغوي العربي المشترك

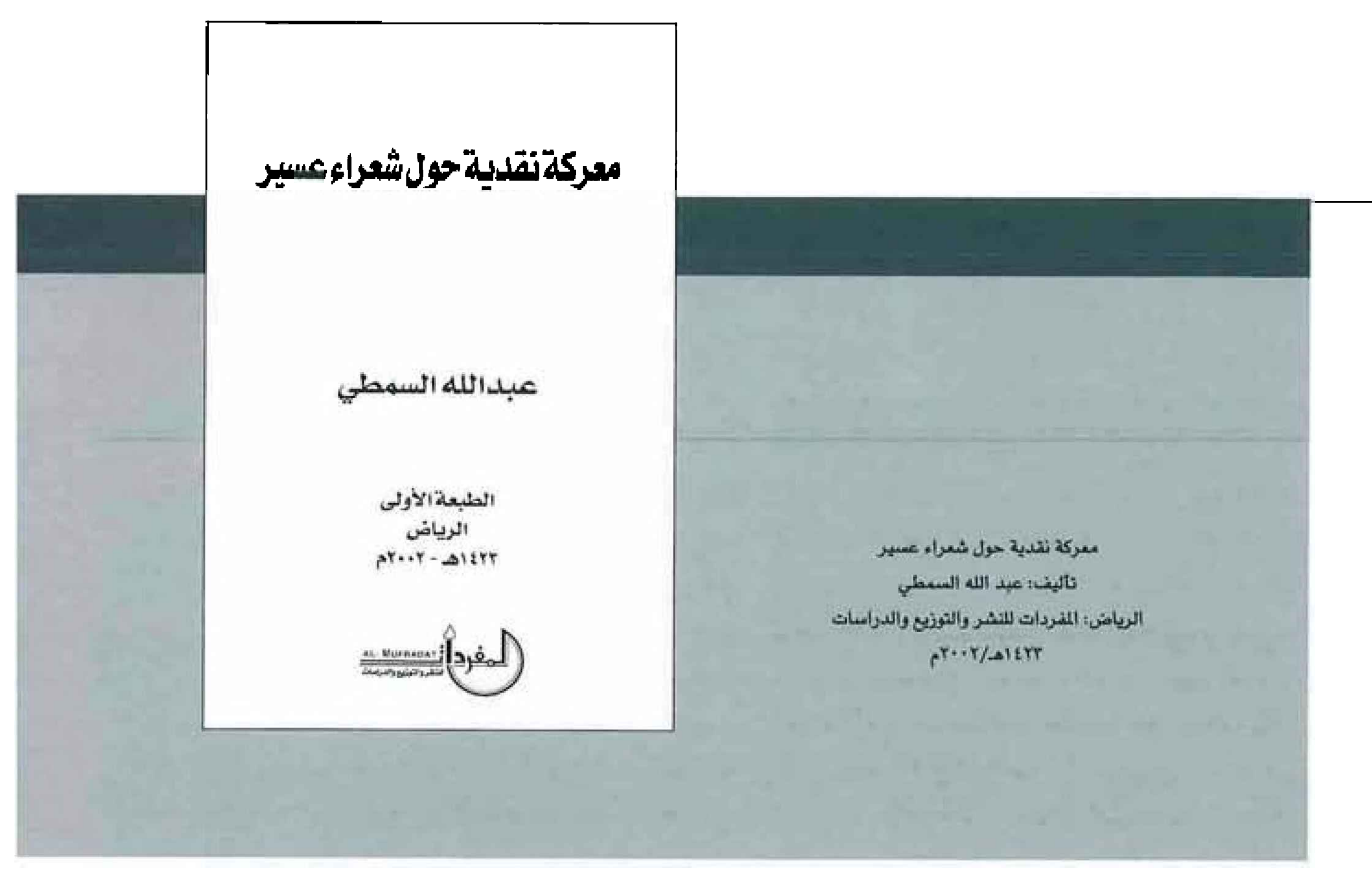
هل تعلمون شاعرًا له لسان عربي مبين تخلت مفردات لغته عن الخصب الذي يوحيه المطر، وعن فروسية الروح الشاعرة التي تحركها سنابك الخيل، وعن الضعف الإنساني الذي يلوذ بصمت الظلام.. إن قراءة عجلى لديوان الشعر المحدث تجعلنا أمام حقيقة تنفي المغالطة، وتجعل الروح الشاعرة الصادقة تستدعي معجمها بعيدًا عن معطيات التموضّع البيئي المقيت؟!..

٣. المسار الثالث: عسير فاعلية النص المبدع:

التعميم بانتفاء الإبداع يحتاج إلى قراءة أخرى لأبعاد الشاهد، ولن تبعد الدراسة عن النصوص التي أوردها السمطي لبعض شعراء عسير، والتي تصنع التساؤل الفني على محك الحقيقة شبه الغائبة. وفي هذا المسار تنطق بعض شواهد السمطي بما يقوض أركان الفكرة التي أثارها ضد شعراء عسير.

تقديم

ويسمةٍ وكفاءْ
من وهجِ الرميمْ
والسندسِ المنثورِ
يعتلقُ النسيمْ



ومدارةٍ من نور مجلسنا
تطلُّ على
سحابٍ من سقَمْ...
والنارُ تشعلُ كلَّ أطراف السؤال
وأرى على صهواتِها السمطيّ
يشعل موقدًا للنور
يبعث في حماستنا القلق
والقوم تلتحف السحابَ
وتمطرُ الكونَ الأليم
قداسةً من صمتنا
ونعيش ننتظر الخَصِبْ
وعيوننا تصلى مفازات التعبْ

◆◆◆

يا أيها السمطيُّ
سوطك بسمةٌ غرّاءُ
من وهج اللهَبْ

◆◆◆

تحية أولى إلى مكمن الفعل الذي حرك السؤال، الذي أعاد النقاد إلى انفسهم ليجدوا انهم أمام تمامٍ من الحقيقة، وانهم أمام أسئلة شائكة تحتاج إلى وقفة ناقدة أكثر صدقًا من ذي قبل، هكذا أراد السمطي أن يكون فعلاً وفاعلاً في أن مما يحرم في كل لغة إلا في لغة الصدق إن وجد.. وله ما أراد وليس له غيرُ ذلك؛ لأن الحكم النقدي الصادق والصارم لا يمكن ان يكون إلا باستقراء معجز للمنتج، ولكنه حسبه أنّ له اجتمعنا في هذا المساء.

بدأت القصة الأولى لهذا اللقاء بمقالات نشرت أولاها في صحيفة الوطن بتاريخ ١٧ أغسطس عام

٢٠٠١م وتعاورتها الأقلام في حينها، وقدمت مداخلة أو استغرابًا في الصحيفة ذاتها بتاريخ ٢٠٠١/٩/١٦م، وكنت أعتقد أن الرجل بصدد مشروع يفجرُ فيه الصمت النقديَّ المطبق، الذي يغلف التجربة الشعرية في عسير حتى رأيت كتابه فوجدت عمله قد انقطع بما نشر، أو هكذا تراءى لي، وإن كنت في مقالتي قد أبديت استغرابًا من لغة التعميم التي تصلح للعمل الصحفي المثير، ولكنها ليست لغة نقدية مرضية، بل هي عودة مسفةً بالنقد من عليائه، وتطوره عبر ما يزيدُ على خمسة عشر قرنًا، هي التي تفصلنا عن نقد النابغة وربيعة بن حذار الأسدي في العصر الجاهلي، وأقرر بداية أن السمطي يصدق هدفه في كل مساقاته ما عدا النقد؛ فعمله نتعامل معه في هذا المساء بوصفه رأيًا صحفيًا مثيرًا، لا عملاً نقديًا له كينونة، وطرح فكري مقنن. وعلى الناقد السمطي أن يعيد النظر في عنوان الكتاب الذي يأتي فضفاضًا مقارنة بالطرح، والعنوان إذن لم يثبت شرعيته، وهذا مفتاح أولي للفهم.

عسير النص الغائب

لا أرانا نتفق مع السمطي في شيء اتفاقنا معه على غياب النص العسيري عن ساحة التفاعل الأدبي والنقدي، وهذا الغياب يثير تساؤلات يجدر بنا أن نحاول إيضاحها، ومعرفة أسبابها ومسبباتها. وبادئ ذي بدء أشير إلى أن حضور شاعر عسير في المنتديات الإعلامية يكاد يكون خاصًا بالصحف المحلية، أخص بالذكر صحيفتي المدينة المنورة وملحقها الأدبي، وصحيفة الوطن بعد صدورها، وبعض المجلات كالمجلة العربية، وإن طال النشر الصحفي صحفًا أخرى فيكون بصورة متفرقة وخجولة، لا تجعلُ الحضور ظاهرة مثيرةً، خصوصًا أن الذي تولى كبرَ الحركة الحديثة في الشعر العربي إبان ظهورها هما صحيفتا الرياض وعكاظ، وغياب الشاعر العسيري عنهما يعد ابتعادًا عن موضوع الحدث.

أما الحضور الإعلامي المنبري فقلما نجد لشاعر عسيري حضورًا في غير ناديه وبيئته، وهو حضور فاعل وإيجابي داخل أروقة النادي وخارجه؛ مما ينظم من أماسيّ يشرف عليها النادي. والحركة الشعرية النشيطة، وبصورة أوضح، حركة الحداثة العربية التي استقبلتها معظم مناطق البلاد، والتي سُلط عليها الإعلامُ فترة ما من تاريخ هذه البلاد، كانت لها حظوتها في المنطقة الغربية، وفي الوسطى والشمالية، ونذكر أسماءً مثل: (محمد العلي، وعبدالله الصيخان، وآل الدميني...) ممن استقبلوا البث الشعري الحديث، وكانوا فاعلين على مستوى البلاد، وعلى مستوى العالم العربي، وبعيدًا عن اتخاذ موقف الآن يحاكم عملهم إلا أن ما يهمنا أن شعراء عسير لم يكن منهم واحد تفاعل مع الحدث، وكان علمًا منافحًا ومواجهًا ومبشرًا بهذا الاتجاه الجديد، كما كانت الأسماء النماذج التي أوردتها، على الرغم من أن كثيرًا من شعراء عسير قد أمنوا على الحركة وكتبوا على تجربتها، ولكن بعد أن هدأت ثائرتها،

أوردت في رسالتي الماجستير رأيًا حول شعر الطبيعة لم يرض الكثير، ولكنني ما زلت على قناعة أن شعر الرومانسية والانغماس في الطبيعة والهروب من الواقع إلى أحضانها قد صدر إلينا من ضمن ما صدر من غزو فكري، وتبناه كثير من شعراء الرومانسية العرب

وابتعدت عن الفعل الإعلامي المثير. اما أسباب تواري شاعر عسير عن المغامرة في حركة المد الإبداعي الحديث فادعه سؤالاً مفتوحًا يتولى المتلقي الكريم طرح إجاباته، وهي مهمة: لأن معرفة الداء اول أسباب الحضور: فهل السبب يعود إلى طبيعة عسير التي كان اتصالها الثقافي متأخرًا بعض الشيء عن بقية بيئات البلاد؛ مما سبب لها عقدة مستمرة، على إمكانياتها ومقدراتها الفنية الحديثة، فاصبحت تعيش ظل الظاهرة، لا الظاهرة نفسها، أو أن السبب يعود إلى بعض الأسماء النقدية من أبناء هذه البيئة ممن كانوا سدًا منيعًا وسورًا واقيًا وسوطًا صارمًا أمام كل من تسول له نفسه تبني الرؤية



عبد الله الغذامي





صلاح عبد الصبور

لن تبعد الدراسة عن النصوص التي أوردها السمطي لبعض شعراء عسير والتي تضع التساؤل الفني على محك الحقيقة شبه الغائبة وفي هذا المسار تنطق بعض شواهد السمطي بما يقوض أركان الفكرة التي أثارها ضد شعراء عسير

والدعوة إليها إبان ظهورها، ولكنا نتذكر ما جوبه به دعاة الحداثة من أمثال السريحي، والغذامي، والسعدني، ما جوبه به هؤلاء من رعاة الأمن الثقافي في هذه البيئة على مسرح كلية الطب وغيره، وأنا أسأل الأستاذ الحميد عن سبب مقاطعة النادي لهذا المد الحديث في هذه البيئة خصوصًا على الرغم من قدومها من بيئة كالحجاز مهد الدين؟! أو لعل السبب

يعود إلى الطبيعة القبلية التي فرضت تكنولوجية ذهنية جعلت سياجًا فكريًا معينًا حول أذهان المبدعين من أبناء هذه البيئة؛ أو لأن الشاعر ذا العاطفة الرقيقة قد آثر أن ينزوي إلى قناعاته دون أن يصادم بالنشر أو النقد هذا التيار الأمني. قد يكون الجواب واحدًا منها، وقد تكون جميعها، وقد يكون ثمة سبب لم أذكره، ولكن الذي نستطيع قوله أن شاعر عسير، ومن ثم نقاد النص الجديد في عسير قد ابتعدوا عن المواجهة والتفاعل مع التجربة الجديدة، وهذا أقصاهم عن الإعلام، وجعلهم في النسيان إلى حين، لا لخلو الوفاض من الشعر وخوائه، كما أورد أخونا السمطي، ولكن لابتعادهم عن موطن الحركة الإعلامية المرتبطة بالإبداع والإعلام، أو الإعلام والإبداع.

فالنسيان الذي أشار إليه السمطي مصدر له ما يسوّغه، وإن كان تسويغاً غير مقنع أدبيًا الآن وإن أقنع فكريًا في حينه، وهو لا يتصل بصميم التجربة الشعرية جودة أو إخفاقًا التي أقصيت عن وهج النقد عمدًا، كما لا يتصل بالطبيعة الجغرافية. فالحديث عن أثرها المتسرب في عمق التجربة العسيرية، كما أشار السمطي، لا يتصل بحقيقة التكوين الشعري الذي يتولد من عمق التجربة، لا من عمق الطبيعة. بل لأنها وتبعًا لما قيل قد ابتعدت عن الضوء، وتغيبت أو غيبت قسرًا بفعل الأسباب السالفة، منفردة أو مجتمعة. شيء إذن يعدّ خارجًا عن إطار التجربة في ذاتها، وسأوضح تاليًا أن المنطقة الشعرية الجغرافية (الخيل والليل والأمطار)، التي وقف عليها شاعر عسير، واتخذها السمطي ملمحًا نقديًا منطقة شعرية عربية عامة لا تخص الشاعر العسيري وحده، كما سأوضح أن النص العسيري غيبٌ عن النقد؛ لا لخمول النص المبدع، بل للأسباب الأخرى التي أخبت وهج النص المبدع، أما التجربة الشعرية فليس بيد الأخ السمطي أن يصادرها بجرة قلم، فهذا يحتاج إلى قراءة كاملة أو شبه كاملة لكامل المنتج، ولا أعتقد إلا أن السمطي كان مثيرًا في طرحه غير جاد في تقويم بيئة كاملة من خلال نصوص محدودة لشعراء محدودين!!



محمد العلي

أي شاعر ينبض قلبه بالشعر تتخلى مفرداته عن الخصب، وعن الفروسية، وعن الضعف الذي يلتف بصمت الظلام، ويبقى من حق القارئ المتذوق على شاعر عسير وغيره أن يحرك في مساقاتها اللغوية، وأن يطور من دلالية اللغة الطبيعية لتبدو أكثر فاعلية

عسير والتموضع اللغوي العربي المشترك

(١)

اعجب لأخي السمطي حين يقول: (إن هذه السجايا التي تهبها منطقة عسير لشاعرها . الطبيعة شموخ الجبال . المناظر الفاتنة الخلابة . هيأت له أن يكون شاعرًا بالفطرة... بيد أن هذه التهيئة فرضت على الكثير، ولكنني ما زلت على قناعة أن شعر الرومانسية والانغماس في الطبيعة والهروب من الواقع إلى أحضانها قد صدر إلينا من ضمن ما صدر من غزو فكري، وتبناه كثير من شعراء الرومانسية العرب، وهو نوع حديث من الذلة الشعرية ثبت إخفاقه وعدم نجاحه عند رواده في الغرب من أمثال وردزويرث، وشيلي... وقد صدر إلينا



عبد الله الصيخان

علي عمر عسيري

الشاعر العسيري أن يكون شاعرًا رومانتيكيًا من الطراز الأول) ص١٢، وكأنه لا يمت إلى الشعر بصلة، ولا يعلم خبايا التجربة، ولا يعلم كيف تتولد، وتنتج بعيدًا عن مكونات الخصب التي ألمح إليها، وهل في عصرنا وما نعيشه ما يجعلُ الشاعر يتموضع حوله طالبًا أنساقًا وموحيات جمالية خيالية لا تتسق مع الواقع. لقد أوردت في رسالتي الماجستير رأيًا حول شعر الطبيعة لم يرض في فترة حاسمة من تاريخ الأمة بغية أن يلوذ صناع الذوق والكلمة الشجاعة بالطبيعة مبتعدين عن صميم القضية التي تحتاج إلى حرب السنان والبيان.

(٢)

قدمت بهذا وانا أرى الأخ السمطي يريد أن يزجّ بتجربة شعراء عسير داخل هذا المضيق الأدبي المستهلك، معتمدًا في قراراته النقدية الصارمة

والجريئة على نماذج محدودة دون ان يتكلف الغوص في أعماق التجربة، التي أعتقد ان أغلبها مبثوث في غضون الصحف والمجلات مما يشكل عبئًا على كل من يريد بحث الظاهرة الشعرية في عسير، ولكنه إبداع موجود هو يتشكل في اتجاهات مضمونية وفنية تتسق مع روح التجربة العربية عمومًا بأبعادها المختلفة. ولعلي أعرض نماذج محدودة من التجربة العسيرية لاحقًا لإثبات أن الشعر موجود، وفي اتجاهات أدبية متعددة، ولئن غيبت عنه أن له أسبابه التي ذكر بعضها التي لا تتصل بالإبداع.

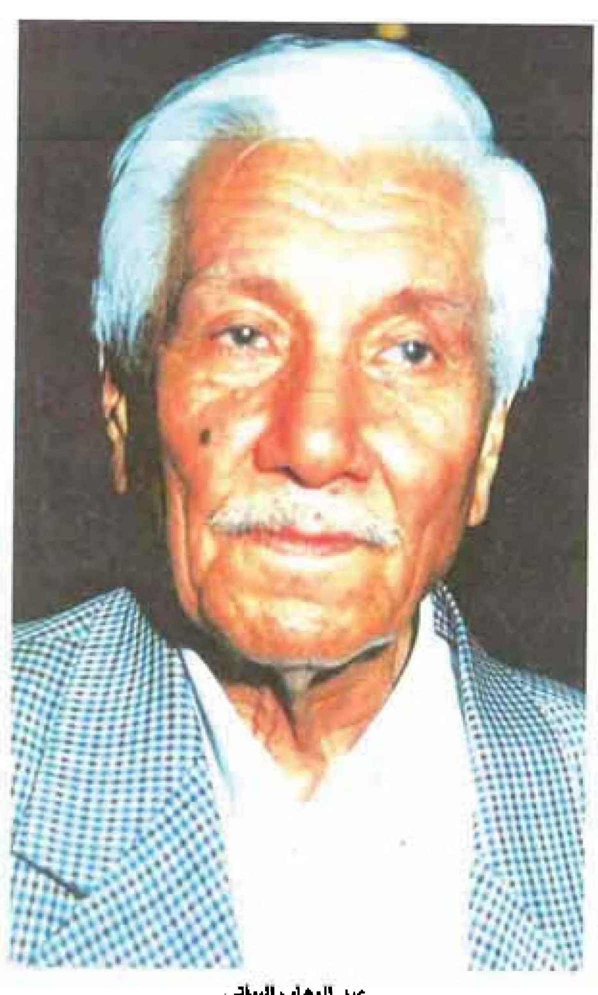
(٣)

ولأبرئ عسير من تهمة التموضع البيئي اذكر هنا أن ما أورده السمطي، وظنه خصوصية بيئية يعد ملمحًا فنيًا عامًا في التجربة العربية عمومًا، وفي تجربة الشاعر المحدث أو الحداثي/ الذي لا ارى إلا أن السمطي يذكر شاعر عسير وفي ذهنه أعلام الشعر العربي المعاصر الذين أخذوا حظهم من الزخم الإعلامي من أمثال (البياتي وادونيس وغيرهما.... وقبل ان اشير إلى حضور البيئة الجغرافية الطبيعية في شعرهم اذكر أن البيئة الوجدانية الصادقة هي التي توجه التجربة الشعرية، وأن الطبيعة ومفرداتها لا ترد عند الشاعر الحقّ إلا وهي محاطةً ومدمجة في إطار التجربة لا نشازًا وتكلفًا.

ونجد الطبيعة حاضرة في دواوين الشعراء العرب، ونذكر بعضهم في ما يأتي ، وقد وضعنا اسم الشاعر، ثم الديوان، ثم موحيات الطبيعة في شعره، على النحو الآتي:

- إبراهيم ناجي (وراء الغمام) المطر والخصب
- أحمد سليمان الأحمد بستان الحب الطبيعة والخصب
- أدونيس (التحولات والهجرة في أقاليم الليل والنهار) الليل وملهمات الظلام
- بدر شاكر السياب أنشودة المطر المطر والخصب
- صلاح عبدالصبور أحلام الفارس القديم الخيل وملهمات الفروسية
- صلاح عبدالصبور شجر الليل الليل وملهمات الظلام
- محمد أبو سنة أجراس المساء الليل وملهمات الظلام
- محمد عفيفي مطر رسوم على قشرة الليل الليل وملهمات الظلام
- محمود حسن إسماعيل نهر الحقيقة ملهمات الخصب
- نازك الملائكة شجرة القمر ملهمات الليل


الفيتوري


عبد الوهاب البياتي

أحمد عنتر - على جواد النفط.. يغزل القصور

معين بسيسو - جامنا يركب صهوات القصائد...

أمل دنقل - جوادك الأشهب... شاهرا حسامك الطويل

محمد ابو سنة - ادخل وحدي نصف القمر المظلم

أمل دنقل - أعود مخموراً إلى بيتي في الليل الأخير

نزار قباني - تعودت أرخيه كل مساء

البياتي - ما أوحش الليل إذا ما انطفأ المصباح

ممدوح عدوان - كانت شواطئها تتأبطني في ليالي الضجر

الفيتوري - كان قلب الحديقة يركض مختبئاً في الظلام

بلند الحيدري - رجلان تجوسان الليل بلا صمت

يتضح من هذه النظرة العجلى أن هذه المفردات الطبيعية حاضرة لم تمت في ديوان الشعر الحديث، وانى لها أن تموت؟! فأي شاعر ينبض قلبه بالشعر تتخلى مفرداته عن الخصب وعن الفروسية، وعن الضعف الذي يلتف بصمت الظلام، ويبقى من حق القارئ المتذوق على شاعر عسير وغيره أن يحرك في مساقاتها اللغوية، وأن يطور من دلالية اللغة الطبيعية لتبدو أكثر فاعلية وتأثيراً. وفي اعتقادي انه لا يعد مأخذاً على الشاعر أن يحوي معجمه الشعري الفاظاً كالخيل والليل والمطر إذا استطاع الشاعر أن يطور في بنياتها وحمولاتها الدلالية. فالتجربة الحية تستدعي معجمها. وأما مدى توفيق شاعر عسير في توظيف هذه المفردات اللغوية فهذا يخضع لقراءة موسعة لديوان شعر عسير، ولمعجمه اللغوي. ولا أعتقد أن المقالات التي طرحها السمطي تفي بهذا باعترافه هو ص١٠٢. إنها مفردات حاضرة في ديوان الشعر العربي عموماً، وحضورها في ديوان الشعر العسيري ليس بدعاً. كما أنه ليس اتجاهاً ونسقاً منفرداً في الشعر العسيري، ولكنه واحد من أنساق مضمونية عدة تعد قيد الاهتمام، وهي

ومن القصائد والشواهد عن الطبيعة في الشعر العربي:

- نازك الملائكة (قصيدة النهر العاشق) انه يعدو ويعدو... ماؤه البني يجتاح ولا يلويه سدُّ
- حامد طاهر (قصيدة: الزيارة) .. خيالي.. يتعلق بالسحب
- سميح القاسم - أمطر على الأتباع ياقوتاً.. والخصب في كفيك
- أمل دنقل - ولا احتمالي في سحائب الدخان
- أحمد عنتر - وظل سنابك خيلهم المرجاة





مسؤولية نقاد المنطقة، وأصحاب الرأي النقدي فيها.

عسير فاعلية النص المبدع

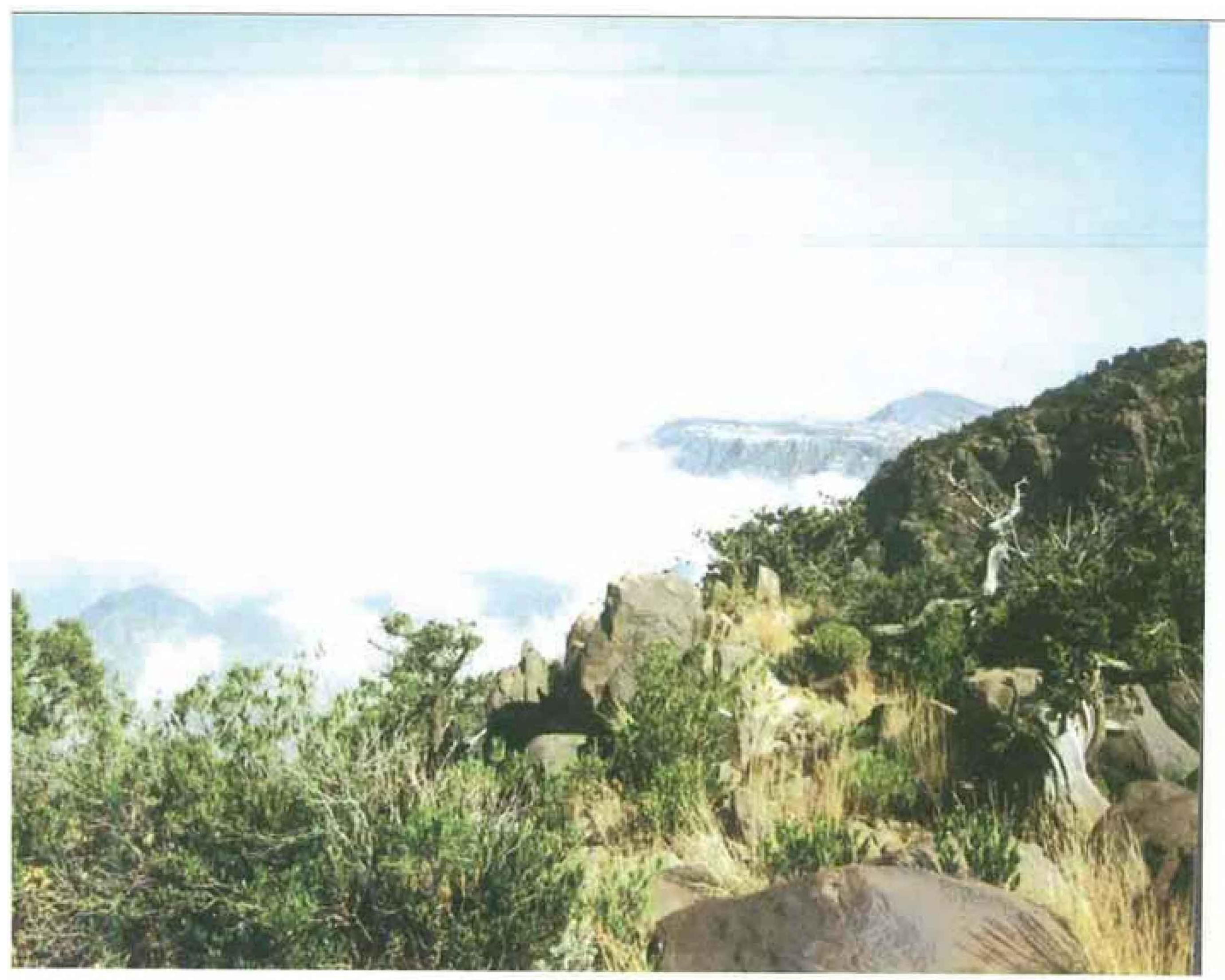
أعرض في إيجاز مخل بعض القسمات الفنية التي تجاوزها الأخ السمطي دون أن يوليها، وما فيها من قيم مبدعة، اهتمامًا، وسأتجاوز النقد، وإيضاح مظاهر الجمال في التصوير؛ لأن الوقت لا يسعف؛ ولأنه حسب المتلقي الكريم أن يستوضح مظهر الجمال المهمل في مقارنة بالصورة النموذج العربي التي عرضت لها سابقًا:

إبراهيم زولي . عدت مهرة الروح فوق الفواصل

الشاعر	النص
أحمد عسيري	(ظمأ الصحراء) . وأنا إنسان.. مسروق وجهي.. في قلبي
أحمد عسيري	(ظمأ الصحراء) . انتصبي فوق جدار الليل... شراعًا سنبلة أغنية من ماء .... والمطرُ الناعمُ هل مات
أحمد عسيري	(ظمأ الصحراء) . عن فرحة الدروب بالخطا.. وضحكة الغروب للشجر .... وركضت الخيول في المطر.
محمد زايد	إنما الليل سيدنا وأبونا .. ودمي الذاهل المستثار
علي آل عمر عسيري	أحسن الله عزاءك كان شرخًا في جدار الصمت

زلزالاً أزاله الصمت .. ليتني كنت لعينيكِ من الرملِ وقاءً.. ولجفنيك غطاءً

لا أرانا نتفق مع السمطي في شيء اتفاقنا معه على غياب النص العسيري عن ساحة التفاعل الأدبي والنقدي. وهذا الغياب يثير تساؤلات يجدر بنا أن نحاول إيضاحها. ومعرفة أسبابها ومسبباتها



التموضع البيئي تهمة تواجه شعراء عسير

لأبرز عسير من تهمة التموضع البيئي أذكر هنا أن ما أورده السمطي، وظنه خصوصية بيئية يعدّ ملمحًا فنيًا عامًا في التجربة العربية عمومًا، وفي تجربة الشاعر المحدث أو الحداثي/ الذي لا أرى إلا أن السمطي يذكر شاعر عسير وفي ذهنه أعلام الشعر العربي المعاصر

هذه نماذج مما تجاوزته الحقيقةُ للأستاذ السمطي، على الرغم من طرافة الصور وجدتها.. لو كان في الأمر متسعٌ لأوردت صورًا كثيرة من ديوان شعر عسير الكبير، ولكن حسبنا أننا قد أشرعنا الأبواب لضرورة إعادة قراءة ديوان شعر عسير قراءة ناقدة كاشفةً إبداعاته، ولعلنا أن نلتقي مرة في دراسة جادة عن الشعر والشعراء في عسير، وما ذلك على نقادِ عسير ومثقفيه بعزيز، والله من وراء القصد، وإليه يرجع الأمر كله.



الدكتور أنطونينو بوليتيري

وسائل الاعلام الغربية تفضل التنميط على الموضوعية

أجراه: حسين حسن حسين

قسم التحرير

لا يزال الوجود العربي الإسلامي في صقلية ينال اهتمام الباحثين والدارسين، لما له من تأثيرات في مجريات العلاقات الإسلامية والأوروبية. ويؤكد علماء مثل ميكيلي أماري أن المسلمين قدموا صورة زاهية للتسامح في تعاملهم مع غير المسلمين. وهناك آخرون يؤكدون هذا الرأي للعالم الصقلي أماري. ولكن آراء هؤلاء تذهب أدراج الرياح في ظل أحكام مسبقة وصورة نمطية يشيعها آخرون عن المسلمين.

وقد كان وجود الدكتور أنطونينو بوليتيري في الرياض لإلقاء محاضرة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية عن الوجود الإسلامي وتأثيراته فرصة لتوضيح بعض الحقائق عن العلاقات الأوربية الإسلامية في الماضي، وفي الواقع المعيش.

◆ **كيف بدأت علاقتكم بالدراسات العربية الإسلامية؟**

اهتمامي الأساسي بالتاريخ الإسلامي وتاريخ البلدان العربية في العصر الحديث، وخاصة في بلاد الشام (سورية، ولبنان، وفلسطين)، وعلاقتي بالدراسات العربية الإسلامية قديمة، وبدأت منذ سنوات، عندما كنت طالبًا بجامعة باليرمو، حيث تعلمت اللغة العربية، وبدأت في الدراسات الإسلامية، واختصصت في مدرسة روما في الدين الإسلامي، والفقه والثقافة الإسلامية بشكل عام.

سافرت إلى مصر أول مرة، ومكثت فيها عدة أشهر للتعمق في اللغة العربية، ثم إلى سورية، ومكثت فيها عامين أدرس في جامعة دمشق اللغة



العربية، والتاريخ العربي الحديث.

◆ لماذا اخترت التخصص في هذا المجال؟

كنت أدرس في الجامعة الفلسفة، وكان اهتمامي بالفلسفة الهندية، وقرأت المؤلفات الفلسفية باللغة الهندية القديمة، وبدأت الاهتمام بدراسة الفلسفة الإسلامية، وخاصة التصوف، فقرأت نصوصًا لابن عربي، وبعض قصائد جلال الدين الرومي، وغيرهما. فبدأ اهتمامي بالدراسات الإسلامية يتزايد، حتى غلب اهتمامي بالفلسفة الهندية؛ ولهذا السبب بدا لي أن العلاقة بين الفكر الإسلامي والفكر الأوربي أكثر من تلك التي بين الفكرين الهندي والأوربي؛ لأن تاريخ العالم الإسلامي أكثر ارتباطًا بتاريخ أوربا. على الأخص في صقلية التي نجد فيها آثارًا إسلامية، وتأثيرات في العادات والتقاليد الشعبية، وفي مختلف جوانب الثقافة. واهتممت بالتعمق في الدراسات الإسلامية، وبدأ ذلك في مصر، ثم في سورية، وكان ذلك في سبعينيات القرن الماضي. وكان سفري الأول


العمارة الصقلية تقف شاهدة على التأثير العربي

إلى مصر عام ١٩٧١م، ثم سافرت إليها مرة أخرى في عام ١٩٧٤م، وقد درست في المدرسة السعيدية الواقعة بقرب جامعة القاهرة، وكان لي أصدقاء كثر، وخصوصًا من السويس، الذين كانوا يقيمون في القاهرة في تلك الفترة بسبب حرب أكتوبر.

وفي جامعة دمشق درست اللغة وتاريخ العرب الحديث، وتعرفت فيها إلى أساتذة أجلاء ومن بينهم الدكتورة خيرية قاسمية، ود. عبدالكريم الرافق المتخصص في الدراسات العثمانية في بلاد الشام.

◆ لماذا كان اهتمامك ببلاد الشام؟

تعدّ بلاد الشام مهمة جدًا بالنسبة إلى العالم الإسلامي، لكونها ممرًا للثقافات والمعارف من البحر المتوسط إلى المشرق، ومن الجنوب إلى الشمال، وبالعكس. فمثلاً، كانت دمشق محورًا للتبادل الثقافي فقد كان فيها العلماء من المغرب والمشرق، وكانت عاصمة الدولة الأموية، ولها عمقها الثقافي في العصور المختلفة.

وللأستاذ محمد كرد علي كتاب قيم وعنوانه «خطط الشام»، وهو يوضح الانفتاح الذي تتسم به بلاد الشام، وكيف أنها استوعبت كل المذاهب الإسلامية، إلى جانب الأديان المختلفة.

وكان المسلمون والمسيحيون يحتفلون بقوافل الحجيج المتجهة إلى مكة في منطقة الميدان في


تفاصيل العمارة التقليدية تبدو في هذا المبنى الأثري

دمشق، مما يدل على سماحة هذا المجتمع.

◆ لماذا لم تهتم بقاهرة جوهر الصقلي؟

توجد مصادر كتبت عن جوهر الصقلي تنفي صلته بصقلية، مثل المقريزي الذي يقول: إنه جوهر الصقلبي وليس الصقلي، وإنه حدث تحريف للاسم.

◆ ما تأثير الوجود الإسلامي في صقلية في العلاقات الأوربية الإسلامية؟

الوجود العربي الإسلامي في صقلية في العصور الوسطى كان وجودًا إيجابيًا لتاريخ صقلية أولاً، وللعلاقات ما بين العالم الإسلامي وأوربا ثانيًا.

عندما أصبحت صقلية جزءًا من دار الإسلام صارت أحد المفاتيح المهمة في حوض البحر المتوسط، وهمزة وصل للأفكار والمعارف والمفاهيم من العالم الإسلامي إلى أوربا عن طريق إيطاليا، كما كانت الأندلس عن طريق إسبانيا، إذ كان مع الجيش الإسلامي علماء وفقهاء وشعراء، ومن بينهم الإمام المعذري الذي ولد في مازاره، وتوفي في مونيستير، ومن الشعراء عبدالجبار بن حمديس الصقلي الذي كتب ديوانًا مشهورًا، وهو أكبر شاعر صقلي إلى اليوم.

وولد في صقلية في سنة ٤٤٧هـ (عام ١٠٥٣م)، ورحل إلى الأندلس في سنة ٤٧١هـ، فمدح المعتمد

بن عياد فأجزل له العطاء، وانتقل إلى إفريقية في سنة ٥١٦هـ، وتوفي بجزيرة ميورقة في سنة ٥٢٧هـ، وحقق ديوانه الدكتور إحسان عباس.

وقد أدى المنصر الإسلامي دورًا مهمًا في تكوين الثقافة الصقلية، وفي انتقال المعرفة من إيطاليا إلى أوربا بشكل عام.

ويمكن أن نذكر المدرسة الطبية في ساليرنو في جنوب إيطاليا، التي كانت تستقبل المعارف الطبية من صقلية، ثم عملت على إيصالها إلى أوربا، إذ كان المسلمون يهتمون بالمستشفيات (البيمارستانات)، ولديهم أطباء على مستوى عالٍ لهم شهرتهم، وقد ترجموا كتب الطب من اليونانية إلى العربية، وانتقل الطب إلى أوربا من خلال ترجمة الأعمال العربية إلى اللغة اللاتينية.

◆ كيف كانت طبيعة العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في مجتمع صقلية؟

المصادر المسيحية كتبت أكثر عن العلاقات الاجتماعية، في حين تهتم المصادر الإسلامية بالأحداث التاريخية، وتلك المصادر المسيحية توضح أن هناك تسامحًا كان في مجتمع صقلية ممثلاً في كالابريا في جنوب إيطاليا التي كانت تحت الحكم البيزنطي، وكان الناس يدفعون الجزية للولاة الفاطميين في صقلية، كأهل ذمة، فلم تكن هناك علاقة حرب بين مسلمي صقلية ومسيحيي كالابريا.

وفي مدينة ريجيو كان السكان المسيحيون يدفعون الجزية، وكان هناك مسجد للمسلمين المقيمين فيها، وكانت العلاقة بين المسيحيين والمسلمين قائمة على التسامح، والتبادل المعرفي، والاقتصادي، وامتدت هذه العلاقات إلى نابولي.

ولم يخل الأمر من بعض المشكلات، فقد كان هناك حرب بين الولاة وبعض السكان المسيحيين في صقلية الشرقية لدعوتهم إلى الجيش البيزنطي طلبًا للتحرر من الحكم الإسلامي، ولكن المشكلات السياسية لم تلق بظلالها على العلاقات الثقافية والإنسانية.

وهناك عادة الكتابة على السيارات، مثل عبارة «ديو اجراند» أي «الله أكبر».

◆ هل كان الوجود الإسلامي سببًا في تعرف الأوربيين إلى الإسلام؟

عندما أصبحت صقلية جزءًا من دار الإسلام، بدأ الاهتمام يتزايد في جنوب إيطاليا بمعرفة الإسلام والمسلمين، وكانت المصادر المسيحية لا تعرف الكثير عن المسلمين، بل إنهم كانوا يطلقون علي المسلمين (الأفارقة)، وكان ظنهم أن كل المسلمين يرجعون إلى إفريقية، ولا يعرفون شيئًا عن العباسيين والأغالبة والفاطميين، وغيرهم، وعلى العكس، كان المسلمون يعرفون كثيرًا عن أوربا، مثل: ابن حوقل، والمقدسي، والعروي، والبكري، والإدريسي الذي كان يملك معلومات جيدة عن العالم في العصورالوسطى، لذا كان الوجود الإسلامي في صقلية إيجابيًا لمعرفة أوربا للمسلمين، والتبادل المعرفي، فكانت هناك وفود متبادلة، حتى وجدت إمارة إسلامية في باري استمرت نحو ٣٠ عامًا، وكان

الترجمة من العربية إلى الإيطالية يغلب عليها الطابع الأدبي، والناشرون يفضلون أعمال المستشرقين على أعمال العرب. وهذه رؤية قاصرة

تركت دراسة الفلسفة الهندية: لأنني أرى أن العلاقة الأوربية الإسلامية أكثر عمقًا وارتباطًا. وتسامح المسلمين أبرزته المصادر المسيحية وتأثير الوجود الإسلامي ممتد في اللغة والأدب والعادات والتقاليد والنشاط الاقتصادي

لها تأثير في انتشار المعرفة، كما وجد مسجد ومدرسة في كالابريا التي كانت مركزًا ثقافيًا لانتشار الثقافة الإسلامية.

والتأثيرات الإسلامية في العمارة نجدها حتى في وسط إيطاليا، إذ أخذت مناطق واسعة من إيطاليا عناصر العمارة الإسلامية، كما نجدها في بوليا وبيزا حتى إن كاتدرائية بيزا فيها بعض العناصر الإسلامية.

وكان الحكام الأوربيون في العصور الوسطى يستقون المعارف من العالم الإسلامي، ويستعينون بالمهندسين والعمال المسلمين.

وتتمازج العناصر اليونانية والإسلامية، فنجد هناك نخيلاً وتمورًا وأسودًا في العمارة الصقلية.

◆ ما التأثير العربي في التقاليد الصقلية؟

يوجد تأثير عربي واضح في التقاليد في صقلية، وأهمها أن العائلة بها كالعائلة العربية كبيرة وممتدة، وهي تختلف في ذلك عن أوربا..

ويجتمع أفراد العائلة في المناسبات الاجتماعية والأعياد، كما أن مهور الزواج في صقلية مرتفعة جدًا، ولهذا نرى تأخر سن الزواج بشكل واضح.

وكان تشكيل المنزل في الماضي كما في العالم العربي، حيث توجد مداخل للرجال، وأخرى للنساء.

◆ ما تأثير الوجود الإسلامي في الأدب واللغة؟

هذا التأثير واضح، فنجد أن صقلية كانت لها لغتها المختلفة في العصور الوسطى، وقد أصبحت الآن إحدى اللهجات الإيطالية، وفي هذه اللغة نجد تأثيرات إسلامية واضحة، وبخاصة في مجال الزراعة والاقتصاد.

وقد أدخل المسلمون منتجات جديدة، كالفستق، وقصب السكر، بل هناك منطقة اسمها فستقيريا؛ مما يعني أن إنتاج الفستق فيها كان رئيسًا.

والتأثير الإسلامي يبدو واضحًا في التجارة، فنجد من يبيعون العطور، يطلق عليهم (لاكتاريون) في اللهجة الصقلية، وهناك منطقة اسمها لاكتاريني مشهورة ببيع العطور.

ومن أسماء الأماكن المتعلقة بالأنشطة الاقتصادية في العهد الإسلامي، هناك منزل؛ أي: المحطة في الطريق التجاري، تعرف في اللهجة الصقلية (مينتزو)، والرحال يعرف (راجال)، والقلعة هي قلطة في اللغة الصقلية. فقلطة نسيتو تعني قلعة النساء، وبعض أسماء الأماكن متعلقة بأسماء عربية فهناك قرية صغيرة باسم (بوشيمي) ترجع إلى أسرة أبو شامة، وقرية (بوكيري) ترجع إلى أسرة (أبو بكر)، ومن الأسماء المتعلقة بالوظائف، مثلاً (المرابطون)، في اللغة الصقلية نجدها (مرابتو).

والتأثيرالعربي في الثقافة الصقلية كان من اتجاهين: أحدهما مباشر، وهناك تأثير غير مباشر، جاء من خلال إسبانيا، إذ وصل الإسبانيون إلى صقلية، وهم يحملون كثيرًا من التأثير العربي.

◆ لماذا زيادة الكلمات العربية فيما يخص الزراعة؟

لأن الزراعة ترتبط مباشرة بحياة الناس، وقد توزع



الدكتور أنطونينو يلقي محاضرته بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

المسلمون الأراضي الزراعية بعد الفتح الإسلامي، وأدخلوا منتجات جديدة لم تكن معروفة من قبل في صقلية، كما أنشؤوا مصانع تتصل بهذه المنتجات.

وأثرت الكلمات العربية اللغة الصقلية من خلال المفردات المتعلقة بالزراعة والصناعة والنشاط الاقتصادي عمومًا. وقد زاد التبادل التجاري بين صقلية والبلدان الإسلامية، مثلاً: كان تبادل الحرير والقصب مع بلاد الشام، كما نشأ طراز معماري عربي إسلامي.

وبالمثل كان للغة الصقلية تأثير في اللغة العربية، خاصة أن هناك هجرة واسعة كانت من صقلية القريبة إلى تونس وشمال إفريقية.

ونجد اليوم كلمات إيطالية في اللغة العربية مثل البوستة، واوبرا، وأفوكاتو، وغيرها. وتوجد كلمات لاتينية قديمة في اللغة العربية، مثل: الصراط

وأصلها الكلمة اللاتينية السراطا، وهذا دليل على أن التاريخ الإنساني هو تاريخ تواصل.

◆ ما أبرز الدراسات التي تناولت أبعاد التأثير الإسلامي في صقلية؟

كان لميكيلي أماري فضل الريادة بصورة كبيرة في مجال الدراسات الإسلامية في صقلية، مثل: كتابه «تاريخ مسلمي صقلية» الذي ترجم إلى اللغة العربية، وله مؤلف بعنوان «المكتبة العربية الصقلية»، وهو في أجزاء مختلفة، إذ جمع جميع المصادر العربية الموجودة عن مسلمي صقلية، وبعضها مصادر قديمة، ولكن لم تكن معروفة، كالقاضي النعمان، والمصادر الفاطمية التي كانت في حيدر آباد.

وهناك «الكتابات العربية»، وهي عبارة عن الكتابات العربية الموجودة في صقلية.

وهذا شجع على العمق في دراسة الوجود الإسلامي في صقلية، وتحليل دور العنصر الإسلامي في تكوين الثقافة الصقلية، وكتابه «تاريخ مسلمي صقلية» استغرق منه ١٩ عامًا، إذ وضعه بين عامي ١٨٤٥م و١٨٧٤م، وقد استعرض فيه ظروف الحياة في صقلية قبل الفتح الإسلامي، ثم تناول جوانب الحياة في ظل الحكم الإسلامي، من خلال مخطوطات عربية محفوظة في باريس، وأكسفورد، ولندن، وليدن، وغيرها، وشمل كتاب أماري كل أثر له علاقة من قريب أو بعيد بصقلية.

ومثل هذا العمل شجع كثيرين من بعده لتتبع تأثيرات الوجود الإسلامي في صقلية سواء أكانوا عربًا أم مستعربين.

وأذكر هنا أعمال أومبرتو ريتساتو، وقد ولد في القاهرة، وكتب مقالات كثيرة، وكتبًا ممتازة عن الوجود الإسلامي في صقلية بشكل متخصص.

◆ ما دور المختصين أمثالكم في كشف حقيقة الإسلام والمسلمين لأبناء جلدتكم في الغرب؟

يقوم العلماء والمفكرون المتخصصون بدور كبير في تقديم الصورة الحقيقية للحضارة الإسلامية، والواقع العربي الإسلامي، ولكن وسائل الإعلام لا تهتم بالتعمق، وهي تميل إلى التنميط، وتستسهل الترويج للصور النمطية، مثل: المسلمين أصوليين، وإرهابيين، وغير ذلك.

ويجد المختصون صعوبة في نقل الصورة الحقيقية عبر وسائل الإعلام، ولكن هناك مطبوعات جادة، وقد طلب مني إعداد كتاب عن دمشق، فوضعت كتابًا بعنوان «دمشق الفيحاء»، ومثل هذا الكتاب لا يهتم به غير المختصين.

◆ ما رأيك في الرسومات المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم؟

هناك أمر مهم في علاقات الشعوب، والثقافات، وهو أن يراعي كل منا شعور الآخر، وأن نعرف ما ثقافته، وكيف يفكر.

ولا يمكن أن يقسّم المجتمع الإنساني إلى مجتمع ليبرالي، وآخر مؤسس على العنف؛ لأن العنف نفسه

نيل الأديب نجيب محفوظ جائزة نوبل كان سببًا في الاهتمام بترجمة أعماله وترجمة أعمال أدباء آخرين، ولكن هناك قصورًا واضحًا في ترجمة الكتب التاريخية والثقافية. بل إن الترجمة التي تتم إلى الإيطالية من العربية تكون لكتب المستشرقين



أنواع، فهناك الحروب والمظاهرات، ويوجد أيضًا عنف بالكلام والكتابة والرسوم.

◆ كيف تنظرون إلى حركة الترجمة من الإيطالية إلى العربية وبالعكس؟

توجد حركة ترجمة واسعة في الفترة الأخيرة، ولكن يغلب عليها الطابع الأدبي، وأذكر أن نيل الأديب نجيب محفوظ جائزة نوبل كان سببًا في الاهتمام بترجمة أعماله وترجمة أعمال أدباء آخرين، ولكن هناك قصورًا واضحًا في ترجمة الكتب التاريخية والثقافية، بل إن الترجمة التي تتم إلى الإيطالية من العربية تكون لكتب المستشرقين، ولا بفضل الناشرون ترجمة كتب لمؤلفين عرب، وهنا تكون الرؤية قاصرة، لأن الإنسان يعبر عن بيئته أفضل من غيره.

◆ ما رؤيتكم لمستقبل العلاقات الثقافية بين إيطاليا والسعودية؟

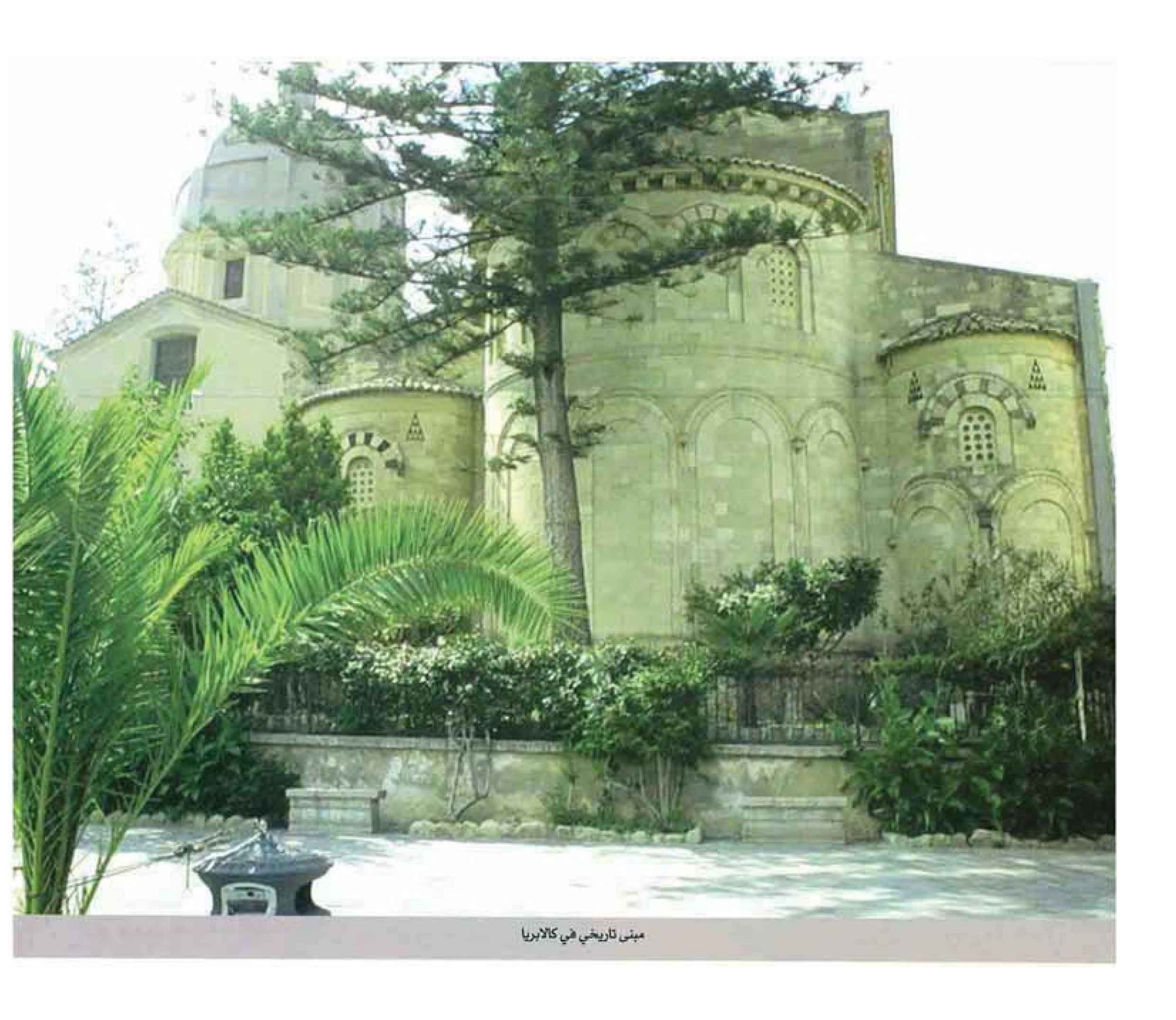
منذ خمس أو ست سنوات، يوجد ازدهار في العلاقات الثقافية بين المملكة العربية السعودية وإيطاليا، وهذا امتداد لعلاقات جيدة امتدت من الثلاثينيات حتى الخمسينيات، ولكن في السنوات الأخيرة لمست تطورًا في الأنشطة الثقافية المشتركة، وأذكر أن وفدًا سعوديًا زار باليرمو في مناسبة مرور مئة عام على تأسيسها، وتعرفت إلى كثيرين من المثقفين السعوديين، مثل: الدكتور عبدالله صالح العثيمين، وكان نتاج هذا اللقاء أن ترجمت كتابه القيم «تاريخ المملكة العربية السعودية»، وهو أول كتاب عن تاريخ المملكة يترجم إلى الإيطالية، وأتأسف أن يكون بلد مهم مثل السعودية لا يكون معروفًا لنا بالقدر الكافي.

وفي العام الماضي، قام وفد من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل بزيارة باليرمو، وعدد من المؤسسات الثقافية، مثل جامعة باليرمو والمتاحف، وهذه الأيام حضرت إلى المملكة في إطار التبادل الثقافي، وطلبت مني مؤسسات كثيرة التعاون معها، وقد تلقيت طلبات من وزارة التعليم العالي لإرسال طلاب إلى جامعة باليرمو في كليات الطب والهندسة والحقوق، وأتمنى أن تجد قبولاً من إدارة الجامعة، وأتمنى أن يتزايد التبادل الثقافي من أجل مزيد من التفاهم الحضاري بين البلدين من خلال الدراسات المتعمقة، ولا شك أن الشباب أهم عنصر لتحقيق هذا التفاهم والتقارب، وأعتقد أننا سننجح في بلوغ هذا الهدف على الرغم من التعقيدات التي نراها على الساحة الدولية.

كلمة أخيرة:

أتمنى أن تزداد علاقتنا بالمملكة العربية السعودية عمقًا، وأن تتعمق علاقات جامعة باليرمو بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وأن يزداد التبادل الثقافي من أجل معرفة أكثر للحضارة الإسلامية.

ترجمت كتاب "تاريخ المملكة العربية السعودية"، وهو أول كتاب يترجم إلى الإيطالية يتناول التاريخ السعودي. وأتأسف ألا يكون هناك اهتمام ببلد مهم مثل السعودية. يوجد ازدهار في العلاقات السعودية الإيطالية الحاضرة. وهذا امتداد لعلاقات جيدة في الماضي



مبنى تاريخي في كالابريا

الضيف في سطور

الأستاذ الدكتور أنطونينو بليتيري من مواليد إيطاليا عام ١٩٤٩م

الدرجات العلمية:

- درس في كلية الآداب بجامعة باليرمو، وتعلم اللغة العربية والتاريخ العربي بها.
- تخصص في الدراسات الإسلامية في جامعة روما.

الخبرات العملية:

- أستاذ في تاريخ البلدان الإسلامية في جامعة باليرمو.
- عضو منظمة الدارسين المستعربين والمستشرقين الأوروبية
- عضو المجمع الثقافي العربي في بيروت.

له عدد من البحوث في الموضوعات الآتية:

- تاريخ العالم الإسلامي الحديث والحركة الإصلاحية.
- الإسلام والحركة الإصلاحية في سورية.
- دمشق الفيحاء، الفاطميون وصقلية في القرن العاشر.
- ترجم إلى الإيطالية كتاب «تاريخ المملكة العربية السعودية» لمؤلفه الدكتور عبدالله صالح العثيمين.


تعلن دار الفيصل الثقافية عن رغبتها في التعاقد مع شركة تسويق وإعلان ذات
خبرة واسعة في مجالها لتتولى الجوانب التسويقية والإعلانية في مجلة
الفيصل الثقافية، والفيصل العلمية، والفيصل الأدبية وتسويق إصدارات
دار الفيصل الثقافية
تقدم الطلبات إلى دار الفيصل الثقافية على العنوان الآتي:
ص.ب ٣ الرياض ١١٤١١
فاكس: ٤٦٤٧٨٥١
للاستفسار: ٤٦٥٣٠٢٧



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٥٧) ربيع الأول ١٤٢٧هـ/ أبريل ٢٠٠٦م

الفائز الأول: سماح عبدالباري عبده . دقهلية . مصر.

الفائز الثاني: معاذ محمد القريضي . تعز . اليمن.

الفائز الثالث: إسماعيل بن عبدالرحمن السماعيل . الدمام . السعودية

الفائز الرابع: علي جمعة الخويلد . حلب . سورية.

الفائز الخامس: عبدالغني محمود عبدالهادي . عمان . الأردن.

الفائز السادس: إيمان زهير الربيعي . دبي . الإمارات.

الفائز السابع: نجوى عبدالسلام السوسي . المهدية . تونس.

الفائز الثامن: خليل نقاش . قرارم . الجزائر.

حل مسابقة العدد (٣٥٧)

١- صقر قريش هو: الأمير عبدالرحمن بن معاوية بن هشام المرواني.

٢- سنان هو: المعماري الذي صمم مجمع السليمانية بتركيا.

٣- المجوس هم: أتباع دين زردشت.

أسئلة مسابقة العدد (٣٦٠)

أجب عن الأسئلة الآتية:

(١) من هو مؤلف المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية؟

(٢) ما هو النوروز؟

(٣) ما هي أكابيلا؟

الاسم: المدينة: ص.ب: هاتف:

العنوان: الدولة: الرمز البريدي: ناسوخ:

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة: مجموعة من اعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣). الرياض ١١٤١١ — المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي

لوحة للفنان ميليت شيفر

- وضع حجر الأساس لجامعة الملك فيصل
- أكاديمية المأمون في خوارزم، والتراث الإسلامي في أوزبكستان
- واقع تدريس اللغة العربية بالمهجر في ندوة
- كليلة ودمنة باليونانية

●● خاتمة المطاف: تأثيرات التقنية في الشباب السعودي



سمو ولي العهد يضع حجر الأساس لجامعة الملك فيصل ويتبرع بـ٢٠ مليون ريال لكلياتها

وضع صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز - ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام - حجر الأساس لجامعة الفيصل خلال حفل أقامته مؤسسة الملك فيصل الخيرية بمقر المشروع بحي المعذر بالرياض مساء الثلاثاء ٣ جمادى الأولى الماضي (٣٠ مايو ٢٠٠٦م).

وقدم سمو ولي العهد تبرعًا سخيًا لمشروع جامعة الفيصل بالرياض بلغ ٢٠ مليون ريال بواقع ٥ ملايين ريال لكل كلية من كليات الجامعة.

وكان في استقبال سموه في مقر الحفل يرافقه صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز، أمير منطقة الرياض، وصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، أمير منطقة عسير، المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، رئيس مجلس أمناء الجامعة، وأعضاء مجلس الأمناء صاحب السمو الملكي الأمير سعد الفيصل، وصاحب السمو الملكي الأمير بندر الفيصل، وصاحب السمو الملكي الأمير محمد العبدالله الفيصل، وصاحب السمو الأمير بندر بن سعود بن خالد نائب المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، وعدد من المسؤولين.

وقدم الأمير خالد الفيصل في كلمته خلال الحفل الخطابي عميق شكره وتقديره لخادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - على إقراره قيام جامعة الفيصل، ودعمه لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، كما قدم سموه شكره لسمو ولي العهد، مؤكدًا أنه لم يكن لمؤسسة الملك فيصل أن تفعل ما فعلت، وتنجز ما أنجزت، لولا الدعم المادي والمعنوي، والمواقف الكريمة لصاحب الأيادي البيضاء سمو ولي العهد، كما قدم



الأمير سلطان بن عبدالعزيز

الأمير خالد الفيصل شكره للأمير سلمان على وقوفه مع المؤسسة، ومع كل مشروعاتها منذ أن قامت المؤسسة في الرياض مشيرًا سموه إلى التسهيلات التي حظيت بها المؤسسة لإقامة الجامعة في مكانها بالمعذر، وأعرب أيضًا عن شكره للمؤسسين والمتبرعين الذين ساهموا في الدراسات والتحضير، وبرمجة مشروعات الجامعة، كما قدم شكره لوزارة التعليم العالي لموقفها المشرف مع المؤسسة بمنحها الضوء الأخضر لإنشاء جامعة غير تقليدية ومتميزة، موضحًا أنها بدأت بفكرة جديدة هي المشاركة بين القطاع الأهلي والتعليم منذ بداية الفكرة مروراً بالدراسات، ثم التحضير، ثم الإشراف على المشروع، واستخدام هذا الصرح؛ لمصلحة التنمية الاقتصادية للبلاد، حيث سيتسنى للكثيرين استخدام معامل الجامعة وأبحاثها وتطبيقاتها.

وأشار الأمير خالد الفيصل في كلمته إلى أن الهدف والقصد هو التغيير في النمط والسلوك والأسلوب، وبيّن أن الجامعة لن تعتمد على التعليم، بل ستعتمد على التعلم،

وقال: سوف نبتعد عن التعليم بمفهوم التلقين، وسنركز في التعلم بطريقة البحث والتطبيق.

وأعلن الأمير خالد الفيصل خلال الحفل عن تسمية المنح التي تقوم بها مؤسسة الملك فيصل الخيرية والبعثات، وعددها «٤٠» منحة مستمرة «منح الأمير سلطان للدراسات الجامعية بجامعة الفيصل».

وفي نهاية كلمته استرجع الأمير خالد الفيصل أمام سمو ولي العهد والحضور ذكرياته في موقع الحفل قائلاً: كنت أشهد نظرات الراحل الملك فيصل، وهو يراك سيدي تدخل عليه في هذا القصر، وكنت أنظر، وأشاهد الراحة في العين، والابتسامة، والسعادة، وهو يحضنك بعينه ويقلبه ويفكره..

وأردف الأمير خالد الفيصل بقوله: لقد كنت يا سيدي حبيب الفيصل، ولا تزال.

ومضى سموه قائلاً: لقد كان جواب ذلك الراحل العظيم على آخر سؤال قدم له عشية رحيله.. كان ذلك السؤال الموجه للملك فيصل: «كيف تتصور المملكة بعد سنة ٢٠٠٠م؟»، فقال رحمه الله: «أتمنى أن تكون المملكة بعد سنة ٢٠٠٠م مصدر إشعاع للإنسانية».

وختم الأمير خالد الفيصل كلمته قائلاً: إن هذه الجامعة وميض بسيط من ذلك الإشعاع الذي كان يتمناه الملك فيصل من هذا المصدر للإنسانية جمعاء.

وألقى المشرف العام التنفيذي لمستشفى الملك فيصل التخصصي الدكتور قاسم القصبي كلمة المؤسسين للجامعة، عبّر فيها عن سعادته بتشريف صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز لحفل وضع حجر الأساس لجامعة الفيصل بالرياض.

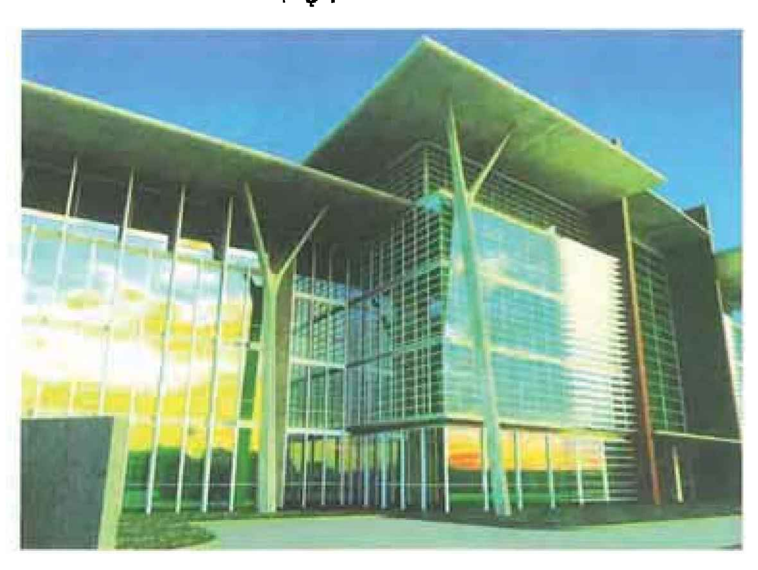
وقال: «إن جامعة الفيصل التي تتشرف بغرس بذرتها الأولى في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله ابن عبدالعزيز - حفظه الله - هو إنجاز تمتزج فيه أصالة الماضي العريق بعنفوان الحاضر المشرق، وتقف على إنشائه مؤسسة الملك فيصل الخيرية، ليضيف بصمة عز وافتخار إلى منظومة إنجازاتها الخالدة عبر ثلاثين عامًا من العمل والإنفاق، فيما يعود على الإنسان بالنفع، ويحقق له الرقي والنمو والازدهار».

وأبان أن الجامعة تحاكي أعرق الجامعات العالمية خبرة وتقنية عالمية، وتتلمس حاجات المجتمع، وتغني الأبناء عن الاغتراب عن أرضهم، وتوافق حاضر المملكة، والأهداف المستقبلية لها.

عقب ذلك شاهد سمو ولي العهد والحضور عرضاً مرئياً يشتمل على تعريف بالجامعة، قدمه سمو الأمير بندر بن سعود بن خالد ـ نائب المدير العام للمؤسسة، وعضو مجلس الأمناء، ورئيس اللجنة التنفيذية ـ.

وفي نهاية الحفل انتقل راعي الحفل والحضور لمقر تنفيذ المشروع، حيث وضع حجر الأساس للجامعة، ثم شرف سموه حفل العشاء الذي أقيم بهذه المناسبة.


أحد مباني الجامعة





في ندوة نظمها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية: أكاديمية المأمون في خوارزم، والتراث الإسلامي في أوزبكستان

عقد مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالتعاون مع سفارة جمهورية أوزبكستان لدى المملكة ندوة بعنوان «أكاديمية المأمون في خوارزم، والتراث الإسلامي في أوزبكستان» في مساء الثاني من جمادى الأولى سنة ١٤٢٧هـ (الموافق ٢٠٠٦/٥/٢٩م) في قاعة المحاضرات بمبنى إدارة المركز، وذلك ضمن نشاطه الثقافي لهذا العام، وقد شارك في الندوة: الأستاذ شهرت ياوقاتشوف - مستشار جمهورية أوزبكستان، والأستاذ الدكتور زاهد الله منوروف - رئيس الصندوق الدولي لدراسة تراث الإمام البخاري، والأستاذ الدكتور إبراهيم المزيني - أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والأستاذ الدكتور عبدالحي عبد للاييف - رئيس جامعة طشقند الإسلامية، والأستاذ الدكتور كريمجان صفروف - رئيس أكاديمية المأمون بخوارزم، والدكتور أمين سيدو - من مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض.

وفي المحاضرة الأولى تحدث الأستاذ شهرت ياوقاتشوف عن عمق العلاقات السعودية الأوزبكية في المجالات العلمية والإنسانية والدينية، وتحدث عن محاربة أوزبكستان للإرهاب، والمحاولات التي تبذلها للمحافظة على السلم، كما تحدث عن احتفالات بلاده بيوبيل مرور ألف سنة على قيام أكاديمية المأمون في أوزبكستان.

وفي المحاضرة الثانية تحدث الدكتور زاهد الله منوروف عن التطورات التي حدثت في أوزبكسان في المجالات الثقافية والدينية والروحية، وتغير العوامل التي كانت سائدة إبان الحكم السوفيتي ومحاربته الدين، كما أوضح اهتمام الدولة الآن بالدين الإسلامي، وكيف أنه صار يؤدي دورًا مهمًا في حياة المجتمع الأوزبكي، وقد حدثت نتيجة لذلك تطورات في كثير من الأمور، وزاد عدد المساجد من مئة مسجد إبان العهد السوفييتي إلى أكثر من ألفي مسجد الآن، وذكر عددًا من الأئمة الذين أنجبتهم اوزبكستان أو بلاد ما وراء النهر، كما كان يطلق عليها المسلمون، منهم الإمام البخاري، والترمذي، وغيرهم، كما تحدث عن الجهود التي تبذل الآن لبحث التراث الإسلامي في أوزبكستان من جديد.

وتحدث الأستاذ الدكتور إبراهيم المزيني، في المحاضرة الثالثة، عن الأسرة المأمونية في خوارزم، وأثرها في الحضارة الإسلامية، وبدأ الحديث عن

مخطوطات إسلامية في أحد المعارض بطشقند



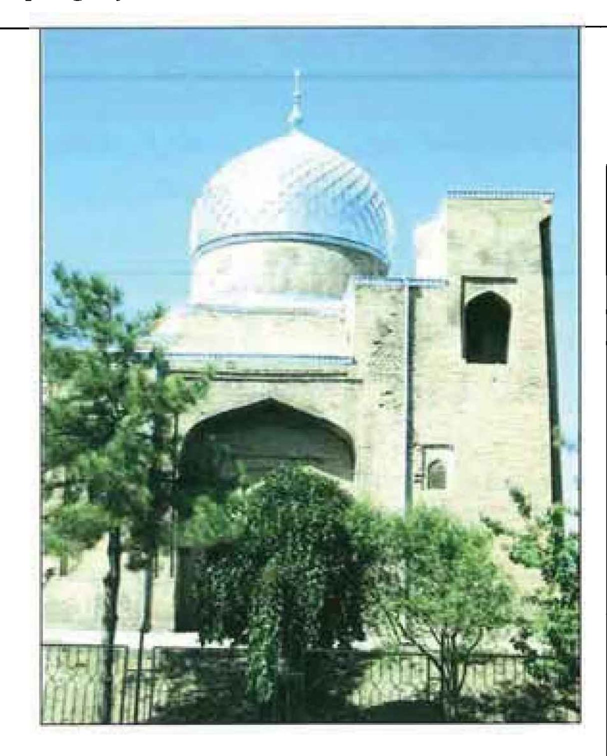
الدولة الإسلامية، وانتشار نفوذها في العالم، وتناول خوارزم وموقعها المتميز، وعلاقتها بأوربا الشرقية، خاصة في مجال التجارة، وتناول هذا الموضوع من خلال ثلاثة أبعاد هي:

الإطار السكاني، والتاريخ والزمان: (الأسرة حكمت الإقليم قرابة ٢٣ سنة، وكانت فترة حافلة بالأحداث التاريخية)، والأثر الذي تركته الأسرة المأمونية في خوارزم في الحضارة الإقليمية بصفة خاصة، وفي الحضارة الإسلامية بصفة أشمل وأعم.

وقدّم تفصيلاً لهذه الأطر، وتناول إسهامات هذه الأسرة بصفة عامة حتى نهاية عهدها، (انتهت الأسرة في سنة ٤٠٨ للهجرة حينما دخلها السلطان محمود الغزنوي في أثر أحداث سياسية متسارعة فيها، وأنهى دور هذا الحكم فيها).

ثم تحدث عن الدور الحضاري المميز الذي سجل لهذه الأسرة، إذ سجل التاريخ لخوارزم في عهد هذه الأسرة أنها كانت منارة العلماء، ومركزًا من مراكز الإشعاع الحضاري، بالإضافة إلى دورها الفاعل في مجال التجارة الدولية.

وتناول الأستاذ الدكتور عبدالحي عبداللايف، في المحاضرة الرابعة، دور الجامعة الإسلامية التي تأسست بعد حصول جمهورية أوزبكستان على استقلالها عام ١٩٩٩م، وكان الهدف منها الحفاظ على المقدسات الإسلامية، والتراث الإسلامي، ودراسة تراث علماء أوزبكستان بصورة عميقة، وإعداد الطاقات البشرية المؤهلة تأهيلاً علميًا دينيًا ودنيويًا، بالإضافة إلى إحياء التراث الديني للأجداد، وإعداده والاستفادة منه، وإعداد المناهج العلمية والمراجع حول دراسة الأديان، وبخاصة الدين الإسلامي، للاستفادة منها في مرحلة التعليم الإلزامي، ونشرها لفائدة الجماهير. وتتكون



أحد مساجد أوزبكستان

الجامعة من ثلاث كليات هي: كلية تاريخ الإسلام والفلسفة الإسلامية، وكلية الشريعة والفقه الإسلامي والاقتصاد والعلوم الطبيعية، وكلية رفع مستوى المتخصصين، وهي من الكليات ذات الدورات المتعددة. (شهر، وثلاثة أشهر، وستة أشهر). وبالجامعة مركز للبحوث والدراسات الإسلامية يجري فيه تحقيق المخطوطات الموجودة بالجامعة، بالإضافة إلى أستديو تلفازي يبث إرساله يوم الجمعة عبر القناة الأولى للتلفاز المحلي، من إعداد طلاب الجامعة. وتوجد بالجامعة دار نشر وطباعة لنشر الكتب والمقالات التي يكتبها أساتذة الجامعة وطلابها.

وفي المحاضرة الخامسة تحدث الأستاذ الدكتور كريمجان صفروف عن أكاديمية خوارزم والتراث الإسلامي في أوزبكستان، التي تعدّ من أكبر مقار التراث الإسلامي في عالمنا الإسلامي، وأوضح أن هذه الأكاديمية قد قامت بعد

استقلال أوزبكستان، حين أعلن رئيس الجمهورية إعادة إعلان قيام أكاديمية المأمون، ومن مهامها:

- إعادة إنشاء التقاليد الفنية وتطويرها، في تكوين الظروف العلمية على أسس التراث الوطني العظيم والقديم في مجالات العلوم، والبحث عن العلماء والشباب، وجلبهم إلى النشاط الأكاديمي، ورفع إنتاجهم في مجال الإبداع العلمي.
- دراسة التراث الوطني والفني في مجال العلوم وتحليله في مختلف الجوانب.
- تنسيق جميع الأعمال المرتبطة بالعلوم والدراسات في المنطقة بالتوافق مع متطلبات الزمن.
- إعداد الطاقات العلمية والتربوية المؤهلة.
- المشاركة الفعالة في البرنامج الوطني لإعداد الكوادر، وإقامة العلاقات بين نظام التعليم المستمر، ورفع النشاط التربوي في المدارس الأكاديمية.
- تطوير التعاون العلمي الدولي مع المرافق العلمية الأجنبية.

وتضم الأكاديمية ثلاثة أقسام هي: قسم التاريخ والآثار والفلسفة، وقسم اللغة والآداب، وقسم القضايا وعلم الأحياء. وقدم المحاضر شرحًا مفصلاً لعمل كل قسم من هذه الأقسام، وجهوده في خدمة التراث الإسلامي في أوزبكستان، كما استعرض الإنجازات التي تمت في كل المجالات العلمية.

وفي ختام المحاضرات تحدث الدكتور أمين سيدو، وهو خريج جامعة كازخستان، عن أبي الريحان البيروني: حياته وجهوده العلمية، وتناول دور علماء آسيا الوسطى في نشر العلم والمعارف، ولا سيما علوم الفلك والطب والتاريخ والنحو والأدب، وعلوم الدين الإسلامي، مثل أحمد الفرغاني، وعالم الرياضيات محمد بن موسى الفرغاني، والفيلسوف أبي نصر الفارابي، والشيخ الرئيس ابن سينا، والرازي، وغيرهم من العلماء في مختلف المجالات، مثل: الإمام البخاري، والنسائي، والترمذي، والعالم الموسوعي أبي الريحان البيروني الذي عدّه المستشرق الألماني إدوارد سخاو أعظم عقلية عرفها التاريخ، ويعدّ من وجهة نظر تاريخ العلوم أكبر ظاهرة علمية في الحضارة الإسلامية، وتحدث المحاضر عن تاريخ مولده، وعلمه، وفكره، وأساتذته، ووفاته.

وأوضح المحاضر أن البيروني تخصص في الرياضيات، واطلع على الفلسفة، والتاريخ، والطب، والطبيعيات، والكيمياء، والحيوان، وطبقات الأرض، وعلم الأديان، مع مشاركة قوية في العلوم الشرعية والأدبية، وكان يكتب بالعربية والفارسية، كما نقل عددًا من المؤلفات من اللغات الأخرى إلى العربية، ونقل علوم المسلمين إلى الهندوس، وله عدد من المؤلفات ذكر المحاضر جزءًا منها، وأوضح أن كثيرًا منها قد ضاع.

واعقب هذه المحاضرات عدد من الأسئلة والمداخلات، شارك فيها الحضور.

طبعة باليونانية من كليلة ودمنة

صدرت في أوائل الشهر الماضي عن دار ليفاني اليونانية للنشر ترجمة كتاب «كليلة ودمنة» المعروف؛ وذلك في حفل كبير نال اهتمامًا من الجهات الرسمية والشعبية ويعرض الكتاب قصصًا وحكايات على ألسنة الحيوانات عن الكثير من الحكم، وطرائق التفكير الحكيمة.

وحضر الحفل وزير الأمن اليوناني فيرون بوليذوراس، الذي تحدث عن الكتاب، وعن الحضارة العربية والإسلامية.

وأضاف الوزير اليوناني أن «كليلة ودمنة» لا يقل مستواه عن الكتابات العالمية، مثل مؤلفات لامارتين، ولافونتين، وغيرهما من الكتابات المعروفة.

وقال مدير وكالة أثينا للأنباء فوليليس: إن الكتاب يفتح آفاقًا جديدة لليونانيين للتعرف إلى الحضارة

قصص عبد الرحمن منيف الأولى

صدرت بأخرة مجموعة قصصية للأديب عبدالرحمن المنيف تضم القصص القصيرة العشر التي حملت عنوان أسماء مستعارة، والتي تشكل بعض بدايات الكاتب الكبير عبد الرحمن منيف، وتمكس في ما تعكسه رومانسية من أبرز سماتها حزن وأسى وثورة.

وتمكس بعض قصصه أحداثًا وأوضاعًا ومشاعر طبّعت حقبة من العصر الذي كتبت فيه.

قدمت المجموعة السيدة سعاد منيف زوجة الأديب الراحل، فقالت في كلمات حملها الغلاف: كتبت هذه القصص بين عامي ١٩٦٩م و١٩٧٠م، التي كانت مرحلة تجريبية في حياة الكاتب عبد الرحمن منيف، وامتحانًا أوليًا لممارسة الكتابة، حتى إن معظمها كتب قبل أي عمل روائي في وقت كان مغرمًا فيه بقراءة القصة القصيرة... أجّل نشرها مرارًا للعودة إليها لتكون بشكل يرضى عنه أكثر، لكن لم يجر عليها أي تعديلات أساسية لقناعته انه إذا بدأ فستتغير نهائيًا، ولحرصه أن تترك كما جاءت في الكتابة الأولى وضمن ظروفها. لقد قسم القصص إلى مجموعتين ورتب تسلسل القصص في كل مجموعة، ووضع عنوانًا للمجموعة الأولى أسماء مستعارة، والباب المفتوح للمجموعة الثانية. والذي لم يتحقق هو نيته بأن يحضّر مقدمة مناسبة لتلك المجموعات بعد تصحيحات بسيطة، وإن لم تكتمل هذه الرغبة.

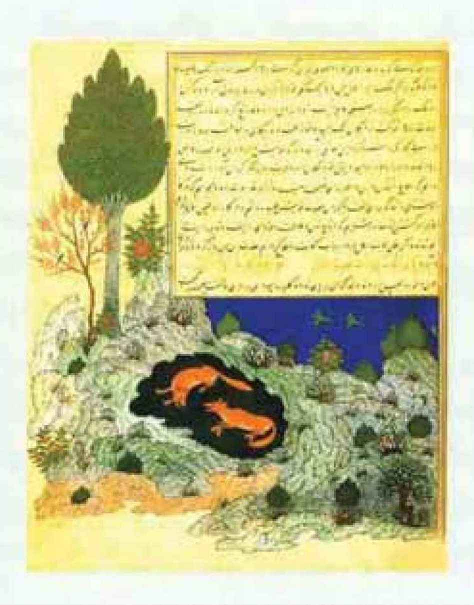
وقد صدر الكتاب عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، والمركز الثقافي العربي، وجاء في ١٥٧ صفحة متوسطة القطع، والتصميم والرسوم لمروان قصاب حسن.

العربية والإسلامية، وذكّر بوجوب إعادة فتح قنوات الحوار بين اليونان والدول العربية، الذي انقطع لأسباب تاريخية معروفة.

وأشار مترجم كليلة ودمنة لليونانية د. صالح سعادة جلاد إلى أن الكتاب يضيف إلى المكتبة اليونانية جزءًا من الثقافة العربية والإسلامية، وهو مجال كان شبه غائب.

وأضاف أن العرب لو كثفوا من تقديم حضارتهم وتاريخهم إلى العالم باللغات العالمية، لكانوا أسهموا بشكل كبير في التعريف بهذه الحضارة التي هي أساس ما يتمتع به الغرب من تطور في مجال الفلك والطب وغيره.

وختم جلاد بأن اليونان بطبيعتها قريبة جغرافيًا من العالم العربي، ومع ذلك فالحضارة العربية والإسلامية غير معروفة فيها بالشكل المطلوب، ومن المؤسف أن الحضارة العربية لولا نعمة النفط، ونقمة المشكلة الفلسطينية لما كانت معروفة لدى الكثيرين.



في ندوة "حول الأفكار" للمجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر: صورة سلبية ومعتمة عن واقع تدريس اللغة العربية بالمهجر

الجزائر: إنشراح سعدي

عقد المجلس الإسلامي الأعلى للغة العربية في الجزائر أخيرًا مؤتمرًا بعنوان «حول الأفكار» ناقش فيه واقع تدريس اللغة العربية في بلاد المهجر.

قال العربي ولد خليفة - رئيس المجلس الإسلامي الأعلى للغة العربية: إن علاقة الجزائريين بوطنهم ليست مجرد عاطفة عابرة، بل هي رابطة ترتكز على العقيدة الإسلامية السمحة، واللسان العربي، والتاريخ، والتراث، الذي ساهم فيه الآباء والأجداد، وإن احترام قوانين المستقبلة لمهاجرينا، وإتقان لغتها والتكيف مع متطلبات الحياة فيها لا تعني التنكر للهوية الحضارية، والانفصال عن الوطن الأصلي. وأضاف العربي ولد خليفة، خلال العدد الجديد من منبر حوار الأفكار الذي خصص لإثارة «إشكالية اللغة العربية في المهجر: الفرص والعوائق» أنه بعد أن كان الجيل الأول من المهاجرين يتشكل في أغلبيته من الأميين والعمال البسطاء، الذين ساهموا في تحرير فرنسا في الحربين العالميتين الأولى والثانية وإعادة بناء هياكلها القاعدية ومصانعها بأجور زهيدة، ثم الجيل الثاني، الذي أضاف على الشرائح السابقة عددًا قليلاً من النخبة الموالية أو التي حملت شعلة الوطنية، وهي الأغلبية الساحقة.

هناك مؤشرات كثيرة تؤكد أن الجيل الثالث الحالي يعود للتعلق بهويته والرغبة في التمسك بعقيدته، وتساءل الدكتور العربي ولد خليفة: كيف ندعم هذا التوجه؟ وما العوائق والفرص لكي تحافظ الهجرة على خصوصياتها الوطنية، ولماذا نجح اليهود في ربط جاليتهم بإسرائيل، واعتزاز أغلبيتهم باللسان والديانة العبرانية، على الرغم من اندماجهم في ثقافات وأنظمة البلدان التي استوطنوا فيها، بينما لم ننجح نحن حتى الآن في تكوين لوبيات مؤثرة سياسيًا واقتصاديًا لمصلحة الجزائر؟ سائلاً: أليس من المفيد أن تنشئ الدولة الجزائرية بيت الجزائر في كل تجمع للهجرة على غرار الهند التي تؤسس بعيدًا عن سفاراتها بيت الهند، الذي يلتقي فيه الجميع مهما كانت انتماءاتهم السياسية، وخصوصياتهم المحلية؟!

في مداخلة قيمة رأى الأستاذ محمد الطاهر زرهوني أن موضوع الإشكالية المطروحة غاية في الأهمية، واستعرض تجربة الجزائر في مجال دعم تدريس اللغة العربية لجالياتها في الخارج بمواجهة الذوبان في الآخر، وحماية الشخصية الوطنية، وأشار إلى أنه على الرغم من جهود الدولة في هذا المجال إلا أن التعليم كان يقدم بصورة هامشية خارج الأوقات الرسمية، ووصف بالسلبية واقع التعليم العربي في فرنسا، مذكرًا بقانون فرنسي خاص بالتعليم لم تستفد منه اللغة العربية.

من جهته حلل الأستاذ سعدي بزيان في مداخلته مكانة اللغة العربية في المنظومة التربوية الفرنسية، وأهم المحطات التاريخية لتدريس اللغة العربية في فرنسا، وأوربا عمومًا، وقوّم التجربة بالمراوحة بين السلبية والإيجابية، حيث يعيش في فرنسا وحدها ٥ ملايين مسلم، ٣ ملايين منهم جزائريون، وعدّد مكاسب اللغة العربية في هذا الفضاء الأوربي، وتحدث عن تجربة فتح الثانوية الجزائرية بباريس، وذكر أيضًا جهود الدولة الجزائرية في دعم التعليم باللغة العربية في باريس حيث بلغ إنفاقها مليارًا ونصف المليار، ومستشهدًا بآراء بعض المفكرين في مستقبل اللغة العربية ووضعها في أوربا على غرار التونسي عبدالوهاب المسيري، والمرحوم جمال الدين بن شيخ، وجاك بيرك.

الدكتور مولود عويمر، وعبر مداخلته العميقة والتشريعية



للغة العربية في الغرب بين الواقع والآفاق، قدّم مسحًا ووصفًا دقيقين لمعوقات تدريس اللغة العربية في فرنسا وأوربا من بينها استحالة الفصل بين اللغة كأداة للتواصل والحوار، واللغة كبعد ثقافي وحضاري وعدم تجديد البرامج التي لا تختلف عن واقع الوطن الأم، بينما الطالب يعيش واقعًا آخر في أوربا، وبروز المدارس الأهلية، وتعدد المناهج، وضعف تأطير الأساتذة المدرسين للغة العربية، واستعمال القوة من طرف الأولياء لدفع الطفل لتعلم اللغة العربية، وهيمنة المدرسة الفرنسية، وغياب الوسائل التربوية التعليمية مقارنة مع المدارس الفرنسية، ولكنه مع هذا الوضع المأساوي تبرز مؤشرات لإحياء تعليم اللغة العربية في فرنسا وأوربا مستقبلاً، خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر، وإقبال الغرب على فهم الإسلام عن طريق اللغة العربية، وهي مؤشرات، إذا ما أحسن استغلالها، ستؤدي إلى مستقبل مثمر للغة العربية، كما تم خلال الندوة التي حضرتها شخصيات سياسية وثقافية إثارة بعض الإشكاليات في إطار نقاش مثمر.

أطفال جزائريون يتلقون دروساً في اللغة العربية



كاتب أنغولي يرفض كبرى جوائز البرتغال في الأدب

رفض الكاتب الأنغولي جوزيه لاوندنيو فييرا جائزة كامويس، وقيمتها ١٢٠ ألف دولار، التي ينظر إليها بوصفها جائزة نوبل في الأدب للعالم الناطق بالبرتغالية.

وقال فييرا (٧١ عامًا)، الذي انتقد الحكم الاستعماري البرتغالي في كتبه، إنه لا يريد الجائزة التي يبتغيها كثيرون لأسباب شخصية بحتة، في حين قال النحات جوزيه رودريغز، وهو صديق لفييرا: إنه يعيش على طريقة الرهبان الفرنسيسكان بعيدًا عن الأشياء كافة، ويمضي وقته في الكتابة.

ويعد فييرا أول فائز يرفض جائزة كامويس التي تمنحها البرتغال والبرازيل اللتان دهشتا من رفضه لها، وصارتا لا تعرفان كيف تتصرفان بقيمتها المالية، إلا أن وزيرة الثقافة البرتغالية ستمنح الجزء الخاص بها، وهو نصف الجائزة لإدارة الشؤون الدولية بالوزارة.

وقد فاز فييرا عام ١٩٦٥م بجائزة جمعية الأدباء البرتغالية عن مجموعة من القصص القصيرة التي كتبها وهو في السجن، حيث أودع لمعارضته الحكم الاستعماري البرتغالي لأنغولا، ولم يتسلمها أيضًا؛ لأن الديكتاتور أنطونيو دي أوليفيرا سالازار حلّ جمعية الأدباء لتكريمها مناضلاً من أجل الاستقلال.

ومن أشهر أعمال فييرا الذي ولد في البرتغال، ثم انتقل مع أبويه للعيش في أنغولا وهو في الثالثة، وكتب بلغة تمزج بين الكيمبوندو والبرتغالية، رواية «لواندا» التي ترجمت إلى الإنجليزية بالاسم نفسه، وتصف الحياة المحفوفة بالمخاطر في مدن الصفيح الأنغولية.

وتمنح جائزة كامويس التي سميت باسم الشاعر البرتغالي لويس كامويس (١٥٢٤-١٥٨٠م) سنويًا منذ عام ١٩٨٩م منحت من قبل لاثنين من الأفارقة، هما الموزمبيقي جوزيه كريفيرنهام عام ١٩٩١م، والأنغولي بيبتيلا عام ١٩٩٧م.

الصين تبني ٣٠٠ متحف

كشفت الصين خطة لبناء أكثر من ٣٠٠ متحف خلال السنوات الخمس المقبلة، وبدأت السلطات المختصة الشروع بتنفيذ تلك المشروعات مؤكدة أن كل مدينة رئيسة في الصين ستمتلك متحفًا متعدد الوظائف تنفيذًا للخطة.

والمتاحف الجديدة متعددة المحتوى، وتشمل التاريخ القديم، والحديث، والشخصيات، والفنون، والقوميات، والتقاليد، والعادات الشعبية.

وكانت الصين قد احتفلت في العاشر من يونيو الماضي بيوم التراث الثقافي، واستطاعت، منذ عام ١٩٩٩م حين بدأت بتسجيل القطع الاثرية من المواقع التاريخية، تنظيم ملفات خاصة لأكثر من ١٠٠ الف قطعة من الآثار، وبالتحديد من منطقة التيبت الذاتية الحكم بجنوب غرب الصين، حيث يوجد ألفا موقع أثري و١٧٨ وحدة اثرية، منها ٢٧ وحدة خاضعة للحماية على المستوى الوطني. وأوضحت الإحصاءات أن المتاحف الصينية تقيم سنويًا نحو ١٠ آلاف معرض يتردد عليها أكثر من ١٥٠ مليونًا من الزوار.



غونتر غراس ينتقد أمريكا

قال الأديب الألماني . غونتر غراس، الحائز على جائزة نوبل: إن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في التنديد بما تسميه الدول المارقة، هي الأغبى، ومن ثم الأخطر حسب تعبيره.

وعدّ الكاتب الألماني، الذي تحدث في افتتاح مؤتمر الجمعية الدولية للكتاب ببرلين، الذي عقد هذا العام تحت شعار «الكتابة في عالم يسود فيه السلام» أن الولايات المتحدة زرعت الإرهاب الذي تحاول حاليًا محاربته بالسلاح.

وأضاف أنه من خلال التنديد بالدول المارقة لم تفعل واشنطن سوى تعزيز الأصولية، وقال وسط تصفيق نحو ٤٥٠ مشاركًا، جاؤوا من ٨٠ بلدًا، منهم الجنوب إفريقية الحائزة على جائزة نوبل نادين غورديمر، والسويدي بير أولوف إنكويست لا يمكن تصور سياسة أكثر غباء، ومن ثم أشد خطرًا.

وشبه غراس الرئيس الأمريكي جورج بوش، ورئيس الوزراء البريطاني توني بلير بالمبشرين الذين باركوا دومًا السلاح، وجلبوا الموت إلى البلدان البعيدة حسب تعبيره.

ودعا الرئيس الألماني هورست كولر المجموعة الدولية لمكافحة الاضطهاد، الذي يقع ضحيته الكتّاب بالدول الدكتاتورية، وقال: إنه يتعاطف، بشكل خاص، مع الكتاب الأفارقة الذين يتعرضون للتهديد أو السجن؛ بسبب كتاباتهم.

مقتنيات سفينة تيتانيك في مزاد

أقامت دار مزادات كريستي مزادًا لبيع أربعة ألواح من البرونز عثر عليها في قوارب النجاة التي فرّ إليها الناجون من السفينة الغارقة تيتانيك بمبالغ خيالية، هي الأكثر ارتفاعًا في تاريخ المزادات التي أقيمت لبيع مقتنيات متعلقة بالسفينة التي غرقت عام ١٩١٢م.

وهذه الألواح هي: لوح معدني كتب عليه إس إس تيتانيك، وآخر يحمل علم شركة خطوط وايت ستار الملاحية منقوشًا على صفيحة من البرونز، وآخر كتب عليه إس إس تيتانيك، وطبق كتب عليه ليفربول.

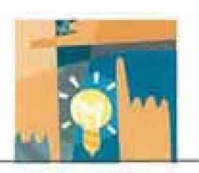
وقال جريج ديتريش - المتخصص في قسم المقتنيات الملاحية في دار كريستي - إن هناك مجموعة من المقتنيات تصل إلى ٢٥٠ قطعة ستباع في مزاد، كما ستعرض للبيع مقتنيات من سفن أخرى غرقت مثل آر إم إس لوسيتانيا، وإس إس أندريا دوريا، وإس إس يونايتد ستايتس، وإس إس نورماندي، وإس إس فرانس، بالإضافة إلى خريطة مفصلة لسطح السفينة أعطيت لركاب الدرجة الأولى.

وكان أعلى سعر دفع في مزاد لشراء أحد مقتنيات السفينة مبلغ ٨٨٥٠٠ دولار، مقابل قائمة الطعام الخاصة بمطعم السفينة، كما بيعت قلادة بها إطار صغير وصورة بأكثر من ١٠٠ ألف دولار، كانت إحدى الناجيات أعطتها لصديق لها غرق بالسفينة، وعثر عليها بعد انتشال جثة الصديق الذي لم تكتب له النجاة.

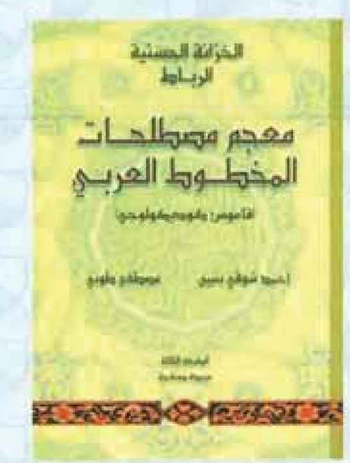
وكانت سفينة تيتانيك الضخمة قد غرقت بعد أن اصطدمت بجبل ثلجي في أولى رحلاتها إلى نيويورك، وقتل أكثر من ١٥٢٠ شخصًا من الركاب والملاحين، من بينهم بعض الشخصيات المشهورة آنذاك، بينما نجا ٧٠٠ آخرون، وبلغت إيرادات فيلم أنتج عام ١٩٩٧م يتناول قصة غرق السفينة أعلى مبيعات في تاريخ السينما العالمية بلغت ١,٨ مليار دولار.



غونترغراس في إحدى المحاضرات







بنبين، أحمد شوقي، ومصطفى طوبي/ معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)، ط ٣ ـ مراكش: الخزانة الحسنية بالرباط، ٢٠٠٥م، ٤٧٧ص.

هذه هي الطبعة الثالثة من معجم مصطلحات المخطوط العربي، وهي تختلف عن سابقتيها من حيث التصحيح والإضافة والحذف، مع محاولة وضع مقابل بالفرنسي لمعظم المصطلحات المقترحة، وقد واجهت المؤلفين صعوبات جمة؛ إذ ليس هناك رسائل أو معجمات مختصرة ينطلقان منها على غرار ما صنعه الأسلاف واضعو معجمات الألفاظ والمعاني في العصور الأولى، واعتمد المؤلفان على المخطوطات نفسها، بالإضافة إلى مصادر القدماء في الثقافة العربية.

ويحتوي هذا المعجم على مادة غنية تقع في ما يقرب من ألفي مدخل وتعريف، مرتبة ترتيبًا ألفبائيًا.

وقد حرص المؤلفان على التمسك بالضبط الواضح للاصطلاح حسب تداوله التقني، وأبقيا على الألف واللام كلما كان المعنى من دونهما مكلومًا، وقاما بالضبط والشكل كلما كان ظاهر اللفظ نابيًا ملغومًا، وأما إذا تبدى الاصطلاح مثار تساؤل وتحقيق فكانا يذيلانه بتقييد مظان وجوده، وأسامي مستعمليه وذويه، وإذا كان ميسرًا رائجًا بين عامة الناس، فكانا يهملانه قاصدين، لكونه جليًا واضحًا في معناه.

وقد جاءت مادة المعجم التقنية وفق الأبواب المعجمية الآتية: المعجم التقني المعجم، والمعجم التقني المنقول أو المشتق، والمعجم التقني الدخيل، والمعجم التقني الموزون.

وقد وقف المؤلفان على ثلاثة إسهامات جليلة كانت مفيدة في هذا المشروع، هي: كتاب «دونيس ميزريل» المعروف باسم «قاموس علم المخطوطات»، وكتاب «جاسيك» «مأثور المخطوطات العربية: قاموس المصطلحات التقنية والببليوغرافيا»، والعمل المشترك الذي شارك فيه الأستاذ إبراهيم شبوح ضمن أعمال المؤتمر الثالث لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي عام ١٩٩٥م بعنوان «نحو معجم تاريخي لمصطلح ونصوص فنون صناعة المخطوط العربي».

زين الدين، صلاح/ المدخل إلى الملكية الفكرية: نشأتها ومفهومها ونطاقها وأهميتها وتكييفها وتنظيمها وحمايتها ـ عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م، ٢٩٢ص.

يدخل في نطاق الحقوق الفكرية، جميع صور الإبداع الفكري الأصيل في المجالات العلمية والفنية والأدبية الناتجة من وحي العقل، التي يمكن التعبير

عنها في صورة خلق مادي أصيل «إبداع»؛ وهذا يعني أن حقل الحقوق الفكرية واسع جدًا، فيشمل براءات الاختراع، والنماذج الصناعية، والرسوم الصناعية، والعلامات التجارية، والأسماء التجارية، والعناوين التجارية، والتأليف في صوره المتعددة، وما أشبه ذلك.

وتنبع أهمية تنظيم الحقوق الفكرية وحمايتها من كونها تؤدي إلى تشجيع المنافسة المشروعة، ومنع المنافسة غير المشروعة، وسائر ضروب الغش، ومحاربة التقليد والتزوير، وتشجيع الابتكار والإبداع وصنع المعرفة، وحفز الأمة إلى الأخذ بأسباب التطور والتقدم والازدهار، عن طريق الابتكار، لا عن طريق التقليد، والوصول إلى التكنولوجيا والتقنيات المتقدمة بدلاً من العيش على التكنولوجيا والتقنيات المتقادمة.



يقع الكتاب في مقدمة وسبعة فصول جاءت كالآتي: «نشأة ومفهوم ونطاق الحقوق الفكرية»، و«أهمية الحقوق الفكرية»، و«حماية الحقوق الفكرية»، و«التكييف القانوني للحقوق الفكرية»، و«التنظيم القانوني للحقوق الفكرية»، و«تحديث قوانين الحقوق الفكرية»، و«النهوض بالإبداع العربي».

وجاء في خاتمة الكتاب ملحق ببعض الاتفاقيات الدولية في حقل الملكية الفكرية، وبعض المصطلحات الإنجليزية والفرنسية في حقل الملكية الفكرية.

البسام، رحاب بنت عبدالمحسن/استخدام شبكة الإنترنت في الإجراءات الفنية في مكتبات مدينة الرياض: دراسة تحليلية ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٢٢٠ص.

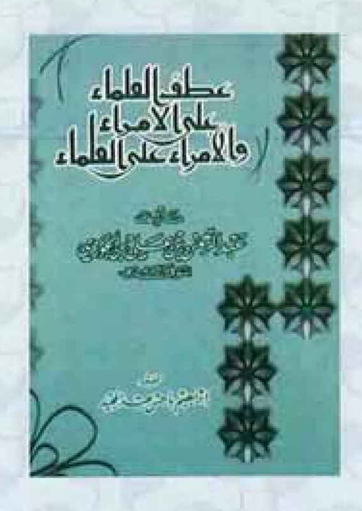


يتناول هذا الكتاب استخدام شبكة الإنترنت في الإجراءات الفنية «التزويد، الفهرسة» في المكتبات، والتعرف إلى بعض المشكلات التي تواجهها تلك المكتبات عند استخدام الإنترنت، مستخدمة المنهج التحليلي الوصفي لدراسة الظاهرة، واستخدمت بعض الأساليب الإحصائية للخروج بنسب مئوية دقيقة.

وقد تبين أن أغلب المكتبات تستفيد من بعض خدمات شبكة الإنترنت في الإجراءات الفنية كالبريد الإلكتروني، وتصفح المواقع، والإفادة من فهارس المكتبات الأخرى، واتضح أن أقسام الفهرسة نادرًا ما تستخدم شبكة الإنترنت مصدرًا للفهرسة المنقولة أو عملية الفهرسة ذاتها. وقد ناقش الكتاب بعض العوائق التي تواجهها المكتبات عند استخدام شبكة الإنترنت.

وقد توصلت المؤلفة إلى عدد من التوصيات، أهمها: أن على المكتبات أن تستغل

الأدوات التي أتاحتها شبكة الإنترنت في المساعدة على إجراءاتها الفنية، وعقد المحاضرات والندوات والدورات المستمرة لموظفي التزويد والفهرسة حول استخدام شبكة الإنترنت في الإجراءات الفنية. وفتح المكتبات لحساب مصرفي خاص بأوامر شراء أو اشتراك بواسطة شبكة الإنترنت، واستخراج بطاقة ائتمانية للغرض نفسه، والعمل على تطوير مناهج المكتبات والمعلومات بما يتناسب مع استخدام شبكة الإنترنت في المكتبات.

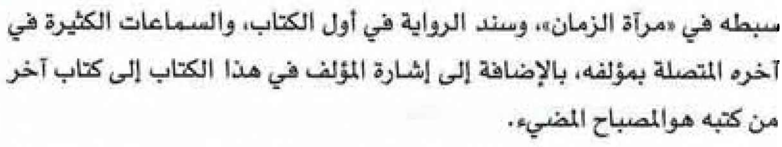


ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي/ عطف العلماء على الأمراء والأمراء على العلماء، تحقيق: إبراهيم باجس عبدالمجيد ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ٧١ص.

يعمل المؤلف في هذه الرسالة على وضع الأسس السليمة للعلاقة بين العلماء والحكام، وترسيخ مبدأ التكامل والتعاطف بين الفريقين، ونبذ التصادم والتنافر بينهما، وهو من جهة أخرى يضع القواعد الأساسية لأسلوب النصح الموجه من العلماء إلى حكامهم، والحدود التي ينبغي أن يلتزمها العلماء في علاقتهم مع حكامهم ووعظهم إياهم.

ودعا المؤلف هو وغيره من علماء المسلمين إلى نصح الحكام وإرشادهم، وقد ألفوا في ذلك كثيرًا من الكتب، فابن الجوزي ألف كتاب: «الشفا في مواعظ الملوك والخلفاء»، وممن كتب في ذلك أيضًا من العلماء: أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي (٤٥٠هـ) «نصيحة الملوك»، وحجة الإسلام أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) «التبر المسبوك في نصيحة الملوك»، وأبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ت٥٢٠هـ) «سراج الملوك»، وهم في هذه الكتب يؤصلون لهذا الأمر تأصيلاً علميًا شرعيًا متوازنًا، ويرون أن صلة العلماء بالحكام تكون مقدرة بقدر الحاجة إليها، وبقدر ما تحقق مقصود الشرع، وإلا كان عدم إتيان العلماء للسلاطين أولى وأنفع لهم؛ لأنهم بذلك يدخلون في قول عبيد بن عمير، رحمه الله: ما ازداد رجل من السلطان قربًا إلا ازداد من الله بعدًا.

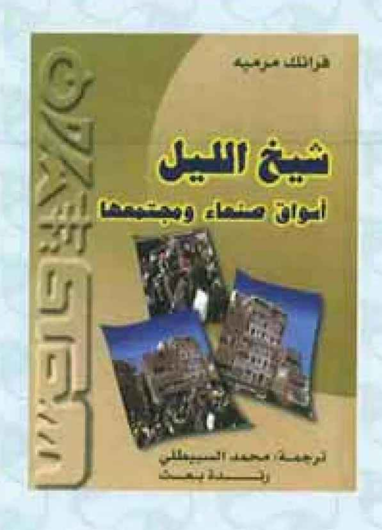
بدأ المحقق بإيراد نقاط موجزة ومختصرة عن منهج المؤلف في كتابه، ورأيه في طبيعة العلاقة بين العلماء والحكام، ثم أورد تعريفًا بالمؤلف شمل: اسمه ونسبه وولادته، وشيوخه، وتلاميذه، ومؤلفاته، وصفاته، ووعظه، ووفاته، كما قدم وصفًا للنسخة المحققة، وأثبت نسبة الكتاب إلى مؤلفه بإيراد عدد من البينات، وهي: إشارة الكثير ممن ترجم لابن الجوزي أن له هذا الكتاب، منهم



سبطه في «مرآة الزمان»، وسند الرواية في أول الكتاب، والسماعات الكثيرة في آخره المتصلة بمؤلفه، بالإضافة إلى إشارة المؤلف في هذا الكتاب إلى كتاب آخر من كتبه هوالمصباح المضيء.

جاء الكتاب في بابين، احتوى الباب الأول على عدد من الفصول، وكان بعنوان «في مخاطبة العالم»، ومن فصوله: التلطف في الموعظة، وآداب موعظة السلطان، وموعظة السلطان الجائر، وأنواع السلاطين، وفي الدخول على السلاطين، ومحاذير الدخول على السلاطين، وفتنة السلطان، وشروط مخالفة السلطان.

وجاء الباب الثاني في مخاطبة السلطان.



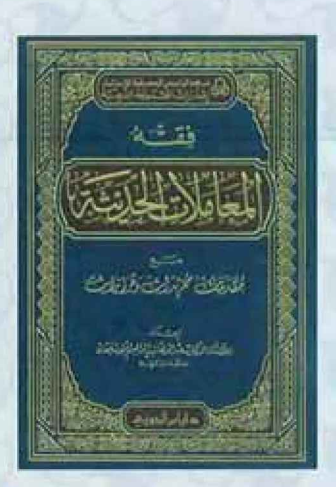
ميرميه، فرانك/ شيخ الليل (أسواق صنعاء ومجتمعها)، ترجمة: محمد السبيطلي ورندة بعث- دمشق: قَدْمُس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م، ٢٥٩ص.

هذا الكتاب دراسة للحياة في العاصمة اليمنية صنعاء تصف تاريخها الحديث، الذي هو في الوقت نفسه امتداد لماضٍ عريق، ونقرأ فيها عن مكونات المدينة الاجتماعية وأسواقها واقتصادها التي يميزها: شيخ الليل، وشيخ الإسلام، وشيخ الربع، وشيخ القطعات، وشيوخ الأرباع، وصقّالو العقيق، والعاقل، والطوائف الحرفية، وأمين السوق، والجابي، والجنبية، والحرازيين، والحكي باليد، والحمامات العمومية، وتفاصيل أخرى كثيرة.

والمعطيات المجموعة في هذا الكتاب هي ثمرة بحث ميداني أجراه المؤلف بين شهر نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٨٣م، ويونيو/ حزيران عام ١٩٨٦م، ثم أضيفت إليها ملاحظات منتظمة جمعها خلال عدة زيارات لاحقة استمرت حتى منتصف التسعينيات.

ويقع الكتاب في ثلاثة فصول، يتحدث الفصل الأول عن تاريخ المدينة والسوق، من خلال شهادات الرحالين، والأخبار المحلية، ويعيد رسم مختلف مراحل التطور الاجتماعي والاقتصادي للمدينة، والنظام البلدي فيها. وهو يهدف أيضًا إلى تحديد وضع صنعاء في محيطها القبلي، وفي علاقتها بالدولة على المستويات المؤسساتية والسياسية، وكذلك على المستوى الرمزي.

ويتناول الفصل الثاني علاقة التراتبية الاجتماعية بتراتبية الحرف، كما يحاول الإحاطة بخصوصيات النموذج المديني، وتتضمن دراسة التراتبيّة في الوقت نفسه أبعادها العقدية وتصوراتها الأسطورية، وآثارها العملية في العلاقات الاجتماعية، وبعض أنماط التغير الاجتماعي على قاعدة المنظومة التقليدية للفئات ذات الأوضاع المحددة.



وفي الفصل الأخير عرض لأسس التنظيم المهني للسوق عن طريق عزل بعض العناصر التي تبدو كأنها تكوّن منظومة السوق، بدءًا من نمط التعامل التجاري مثلما تبينه ممارسات المساومة والسمسرة، وصولاً إلى علاقات القرابة التي تشكل قاعدة الاندماج والتوارث المهنيين. كما تُعرض في هذا الفصل التغيرات الاقتصادية، وعمليات إعادة التشكل الاجتماعي التي حدثت في الأسواق خلال السنوات العشرين الأخيرة، وكذلك محاولات الوسط الحرفي لإعاقة بروز احتكارات تجارية جديدة بوساطة إنشاء التعاونيات.

أبو سليمان، عبدالوهاب إبراهيم/ فقه المعاملات الحديثة مع مقدمات ممهدات وقرارات- الدمام: شركة الراجحي المصرفية للاستثمار(إصدارات المجموعة الشرعية)، ١٤٢٦هـ. ٦٣٢ص.

اتسع نطاق عقود المعاملات المالية في العصر الحديث، وتشعبت أمورها، فلم تقتصر على تلك العقود المدونّة في كتب الفقه الإسلامي، بل تعددت، وتنوعت بسبب ما يشهده العالم من تقدم في المجالين: المالي، والاقتصادي.

غير أن هذا التنوع والتعدد لم يمثل تحديًا أو مشكلة أمام الفقهاء؛ وذلك أن لقواعد الفقه الإسلامي، وأصوله، ومقاصده مع الفهم الصحيح من الشمول ما يكفل إيجاد الحلول التي تلبي ذلك التطور في اعتدال لا يتعارض وثوابت الشريعة الإسلامية، ومبادئها المحكمة.

يعرض المؤلف في هذا الكتاب عقود توافر لها التحليل الاقتصادي من متخصصين مجمعيين في مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة، وقد عقدت من أجلها عدة ندوات بين الفقهاء والاقتصاديين، كان من نتاجها معظم هذه الدراسات، التي حظيت بموافقة التحكيم العلمي في ما بعد من قِبَل المجمع. وقد نشرت بعض هذه العقود أيضًا في مجلات علمية رفيعة محكّمة، ونشر بعضها استكتابًا من جهات علمية، أو استكتابًا لندوات، أو مؤتمرات متخصصة بعضها حكِّم، ولكن لم يكن له نصيب من النشر.

وقد رأى المؤلف أن من المفيد أن يقوم ببعض الإضافات التي من شأنها أن تنمي الوعي بمقاصد الشريعة في مجالات المعاملات، والعقود المالية، وتزويد القارئ المتخصص وغير المتخصص بالقرارات المجمعية في ما يتصل بالعقود المالية، والشأن الاقتصادي بشكل عام، إذ إنه لا يتاح للكثيرين الاطلاع عليها للإفادة منها، سواء في هذا المستفتون، والباحثون الدارسون، والأساتذة الأكاديميون، وجمع منها عددًا وضعه



تحت عنوان «المقدمات الممهدات»، فمن ثم اشتملت على العناوين الآتية:

- المقاصد الشرعية في المعاملات المالية.
- بعض القواعد الفقهية المهمة المشتملة على المقاصد الشرعية، وموضوعات أخرى مهمة بلغت خمس مقدمات.
- القرارات الصادرة عن مجمع الفقه الإسلامي بمنظمة الدول الإسلامية بجدة، ومجمع رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

وجاء الكتاب في ثمانية أبواب، أورد في خاتمتها القرارات الصادرة عن مجمع الفقه الإسلامي المنبثق من منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، ومجمع رابطة العالم الإسلامي.

يوسف، محمد خير رمضان/ آداب إعارة الكتاب في التراث الإسلامي، ويليه «جزء فيه عارية الكتب» لأبي بكر اليزدي، المتوفى بعد سنة ٤٢٩هـ، و«بذل المجهود في خزانة محمود» لجلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ - بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ١٤٦ص.

يدور هذا البحث حول الكتاب، الذي كان له قيمة معنوية كبيرة لدى المسلمين، وتدل الأخبار والأشعار والحكايات والنوادر التي قيلت فيه على قيمته، كما أنها تدل على تعلق المسلمين بالعلم وتقديرهم له، وقد بلغ تعلق الكثيرين به إلى الخوف من إعارته، أو إلى عدم إعارته، أو عدم رده إلى معيره، وقد أورد الكتاب الكثير من أخبار عشاق الكتب، التي تلقي بظلالها على الإعارة.

ويقع الكتاب في ثمانية مباحث، تدور في فلك إعارة الكتب، «بين سمح جادت نفسه بها فلا يسأل عن السبب، وقد لا يطلب كتابه إذا لم يرد، وبين مشترط في إعارته، ومعقّد لها ثم طلبه إذا لم يُرد، وذمّ من لم يرده، وعدم إعارته أصلاً، حرصًا عليه أو بخلاً».

وجاءت مباحث الكتاب تحت عدد من العناوين، منها: الإذن بالإعارة، والترغيب في الإعارة، وأنواع الإعارة، وطلب الكتاب، وغيرها.

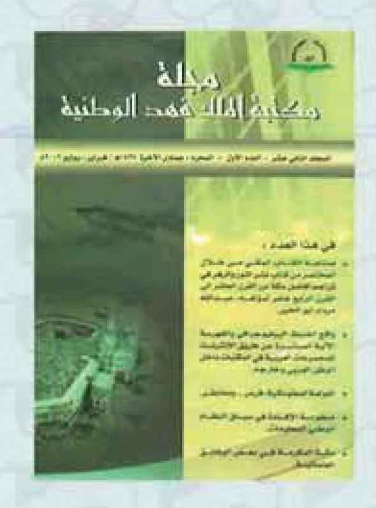
ثم عرج المؤلف على حكم إعارة الكتب في الشريعة الإسلامية العادلة، ليكون المسلم على بينة من أمره، ويضبط تصرفاته بأحكامها وآدابها، وتناول ذلك تحت عدد من العناوين هي: الحكم الشرعي، وفتاوى في إعارة الكتب، وآداب استعارة الكتب.

وختم الكتاب بإيراد رسالتين نادرتين من التراث الإسلامي تتضمنان آثارًا واجتهادات في الاستعارة، وقام بتحقيقهما: إحداهما بعنوان: «جزء فيه عارية الكتب» للحافظ أبي بكر أحمد بن محمد بن جعفر مهريار اليزدي المتوفى بعد سنة ٤٢٩هـ، والثانية «بذل المجهود في خزانة محمود» لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ.



دوريـــــات





مـجلة مكتبـة الملك فـهـد الوطنيـة «مج١٢، ع١، المحـرم - جـمـادى الآخـرة ١٤٢٧هـ/فبراير - يوليو ٢٠٠٦م»

تضـمن هذا العـدد الجـديد من الدورية مـجـمـوعـة من الدراسـات العلمـيـة، والببليوجرافيـة الموضـوعيـة، والمراجعـات النقـديـة، من خـلال الحـقـول الثـابتـة للمجلة، وبدأت بالدراسـات التي كتبت فيهـا هدى محـمد العمـودي عن «صناعة الكتاب المكي من خلال المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر لمؤلفه: عبدالله مرداد أبو الخير»، وتتبع عبدالكريم بن عبدالرحمن الزيد «واقع الضبط الببليوجرافي والفهرسة الآلية المباشرة عن طريق الإنترنت للمجموعات العربية في المكتبات داخل الوطن العربي وخارجه»، وناقش هشام بن عبدالله عباس «العولمة المعلوماتية: فرص.. ومخاطر»، وكتب عيسى عيسى العسافين موضوعًا بعنوان «نحو إنشاء شبكة معلومـات للمكتبـات الجـامـعيـة في دول الخليج العـربيـة: دراسـة في الحـاجـة والهدف»، وتناول هاشم فرحات «منظومة الإفادة من المعلومات في سياق النظام الوطني للمعلومات»، وغير ذلك من الدراسات.

وفي مجلة الببليوجرافيات تناول محمد سعيد الأسمري «الرسائل الجامعية في علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية المودعة في مكتبة الملك فهد الوطنية»، وجاء في المراجعات: «وثائق قرية وتاريخها: تصويب وتعليق وإضافة» لسعود ابن عبدالله الحزيمي، وقدّم محمد بن عبدالرزاق القشعمي مراجعة لكتاب «معجم المصادر الصحفية لدراسة الأدب والفكر في المملكة العربية السعودية - صحيفـة صوت الحجاز من سنة ١٣٥٠هـ إلى سنة ١٣٦٠هـ (عـام ١٩٣٢- ١٩٤١م)» من تأليف: منصور بن إبراهيم الحـازمي، كمـا قدّم أمين سليمـان سيـدو أضواء على كتب حديثة، وجـاءت عن: «إسهـامـات مكتبـة الملك فـهـد الوطنية في نشر الكتب عن مكة المكرمة»، وتتبع - في آخر العدد - إسماعيل ابن عبـدالله الزهراني البحوث الجـارية، وجـاء فـيـهـا: «عبـدالله بن خـمـيس ناثرًا» لبـاحـثـة هيـا بنت عـبـدالرحـمن بن مـحـمـد السـمـهـري، و«ترخـيص المحتويات الرقميـة «دليل عملي لأمناء واختصـاصيي المكتبـات» للبـاحثين: جبريل بن حسن العريشي، وعلي بن عبدالعزيز الحمودي، و«السلوك غير السوي للمستفيدين في المكتبات» للباحثة: فايزة دسوقي أحمد، وغيـر ذلك من البحوث والدراسات.

العنوان:

ص.ب: ٧٥٧٢ - الرياض: ١١٤٧٢

هاتف: ٤٦٢٤٨٨٨ ناسوخ: ٤٦٤٥٣٤١



مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية «س ٣٢، ع١٢١، ربيع الأول ١٤٢٧هـ/ أبريل ٢٠٠٦م»

مجلة فصلية علمية محكمة، تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت.

اشتمل هذا العدد من المجلة على عدد كبير من البحوث والدراسات المتعلقة بشؤون منطقة الخليج والجزيرة العربية في مختلف العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والقانونية، وغيرها، بدأت بالبحوث والدراسات، وقد جاء فيها: «دور المحافظات في الإدارة المحلية بدولة الكويت: دراسة ميدانية تحليلية» للدكتور طارق محمد الريس، والدكتور فضل صباح الفضلي، و«زيد الحرب والعزف على أوتار الأمة» للدكتورة حصة سيد زيد الرفاعي، و«أهمية الخصخصة وآفاق التحول إلى القطاع الخاص لتصحيح الوضع الاقتصادي في المملكة العربية السعودية» للدكتور عبدالحفيظ عبدالرحيم محبوب، و«كتاب (الأنساب) للعوتبي: إشكاليات في النسبة والتأليف» للدكتور حسن محمد عبدالله النابودة، و«القوى العاملة في قطر وسماتها الديموغرافية، والاقتصادية، والاجتماعية» للدكتور ناصر عبدالرحمن فخرو، و«التعليم الأساسي ومفاهيم حقوق الإنسان: دراسة اجتماعية تحليلية لمضامين كتب اللغة العربية في مرحلة التعليم في سلطنة عمان» للدكتور راشد بن حمد بن حميد البوسعيدي.

وجاء في مجال عرض الكتب ومراجعتها عرض لكتاب «الثقافة الكويتية.. أصداء وآفاق» تأليف: الدكتور سليمان العسكري، وآخرون، قدّمه المحامي عبدالعزيز إسماعيل أحمد.

وأعدّت سهيلة فهد المالك الصباح «الببليوجرافيا العربية لمنطقة الخليج والجزيرة العربية».

وجاء في بحوث العدد باللغة الإنجليزية بحث بعنوان «المشاركة المالية للعاملين في الخليج العربي: دراسة حالة لبعض الشركات المنتجة في سلطنة عمان والإمارات العربية المتحدة» للدكتور الخضر علي موسى، وختمت المجلة «بملخصات باللغة الإنجليزية للبحوث المنشورة باللغة العربية».

العنوان:

ص.ب: ١٧٠٧٣ ـ الخالدية

الرمز البريدي ٧٢٤٥١ الكويت

هاتف: ٤٨٣٣٢١٥ / ناسوخ: ٤٨٣٣٧٠٥







تأثيرات التقنية في الشباب السعودي

عوض بن خزيم آل سرور الأسمري
الرياض – السعودية

أصبحت استخدامات التقنية المعاصرة بالنسبة إلى الأفراد من أساسيات الحياة. وقد يقول قائل: إن بعض هذه التقنيات من الكماليات التي يستطيع الفرد العيش من دونها، وهذا لا اختلاف فيه، ولكن الظروف والعوامل المحيطة بنا تدفع بالكثير منا إلى مواكبة التقنية، وركوب موجة (شراء كل جديد) من باب المفاخرة أو التقليد، أو من باب الحاجة. فعلى سبيل المثال: كلنا يحتاج إلى جهاز الجوال للاتصال، وإرسال الرسائل واستقبالها، والبريد الإلكتروني. ولكن التقدم التقني في صناعة الجوال وخدمات الإرسال والاستقبال الرقمية أضاف بعض المميزات التي كانت في الأساس كماليات. ولكن مع التقدم الهائل في خدمات الوسائط وتقنية المعلومات أصبحت ضرورية، ومنها - على سبيل المثال - كاميرات الجوال، التي كانت قبل سنوات قليلة ينظر إلى مستخدميها بعين الشك والريبة والازدراء، ولكن مع التقدم التقني في مجال نقل البيانات، ومع توافر الترددات اللازمة لنقل الوسائط، ومن دون ترخيص من الجهات المختصة، ومع ثورة البلوتوث، أصبحت الكاميرات شيئًا مرغوبًا فيه، ومحببًا إلى معظم أفراد المجتمع، فقد أصبح من الممكن تسجيل مناسبة محببة إلى النفس وتخزينها، أو نقلها إلى جهاز آخر من دون عناء، باستخدام تقنية البلوتوث، وبما تقدمه من النقل السريع للمعلومات، ومن دون الحاجة إلى موصلات (أسلاك). إذًا التقنية قد تتحكم في مسار حياتنا، وقد تفرض علينا التعامل معها بالطرائق التي نريدها، وليس على النحو الذي نرغبه. إذًا هناك أياد خفية تتحكم في مساراتنا الآتية والمستقبلية ليست أيادي بشرية (من لحم ودم) يمكن رؤيتها والتعامل معها، ولكنها أياد تتكون أجزاؤها المختلفة من موجات وذبذبات، وبرامج وعتاد صلب يؤثر في ميزانيتنا وعقولنا ومشاعرنا، وعلاقتنا الاجتماعية، أستطيع أن أسميها عصابات التقنية الساحرة، فنحن نعلم مدى خطرها، ولكننا نحبها، ونستخدمها، ونأنس إليها، علمًا بأنها الصديق الغدار.

سيد أو خادم

التقنية ليس لها صديق أبدًا، فإما أن تكون سيدًا، لها، وإما أن تكون خادمًا. من استطاع السيطرة عليها فهو السيد، ومن لم يستطع السيطرة فهو الخادم، بغض النظر عن هيئته، سواء أكان إنسانًا أم جهازًا مخترعًا. ولكي أوضح الصورة أعطيكم مثالاً يعرفه الكثير من الناس: أحد الأشخاص التقط صورة لأقرب الناس، وأحب الناس إلى قلبه (كما يزعم) عن طريق كاميرا جواله الخاص، وكان حريصًا على إخفائها بعيدًا عن أعين الناس؛ لأنها لواحدة من محارمه، فوضع لها كلمة سر، بحيث لا يتمكن أحد من رؤيتها، ولكنه بعد فترة وجيزة من الزمن فوجئ بوجودها على أجهزة جوالات أخرى، بل فوجئ بوجودها على شبكة الإنترنت العنكبوتية! كيف حصل هذا؟ من هذا الخائن الذي استطاع كسر سره، وقلبه وخدش حيائه وهتك عرضه؟ أهو السيد أم الخادم؟ أم كلاهما مشترك في الجريمة، جريمة هتك عرض امرأة مسلمة مستورة في دارها، كريمة بين أفراد أسرتها؟ إنها التقنية التي فرضت نفسها علينا، وجعلتنا الخدم، وهي السيد. ولكي تكون أنت السيد فإنه يجب عليك إما إلغاؤها من حياتك، وهذا محال، وإما أن تتعامل معها بحذر وفهم وذكاء (تعامل السيد)، وهذا صعب. إذًا ما الحل؟

دراسة واقعية

في هذا المقال سوف أتطرق إلى دراسة واقعية حول تأثيرات التقنية في فئات الشباب السعودي:

بدأ الخبراء والعلماء في مجال التكنولوجيا بإصدار نداءات إلى الشباب والمراهقين بالابتعاد، ولو مؤقتًا، عن التكنولوجيا الحديثة،

واخذ استراحات قصيرة، والاستمتاع بممارسة الحياة الطبيعية، والعودة إلى الواقع بعيدًا عن الفضاء الإلكتروني.

في دراسة إحصائية مبسطة، قمت بها، وبمساعدة عدد من طلبة البكالوريوس في قسم الهندسة الكهربائية بجامعة الملك سعود، ليست دراسة متعمقة، فقط من باب الاطلاع، ومعرفة تأثيرات التقنية الحديثة في شباب الجامعة، وبعض طلاب الثانوية الذين شملتهم الدراسة. وجدنا أن معظم الشباب السعودي، وخصوصًا المراهقين منهم، يقضون أوقاتًا طويلة امام شاشات الكمبيوتر لتصفح الإنترنت، او كتابة الرسائل الإلكترونية، او الدخول في حوارات عن طريق الماسينجر، أو إرسال رسائل قصيرة عن طريق اجهزة الجوال.

وقد ابدت بعض العينات رغبتها في اعتزال الناس جميعًا، ومن ضمنهم افراد اسرهم، وقضاء جميع أوقاتهم امام شاشات الكمبيوتر، وقد استوعب الكثير من البرامج، التي من شأنها إمتاعهم، وإرضاء غرائزهم.

نادم ولكن

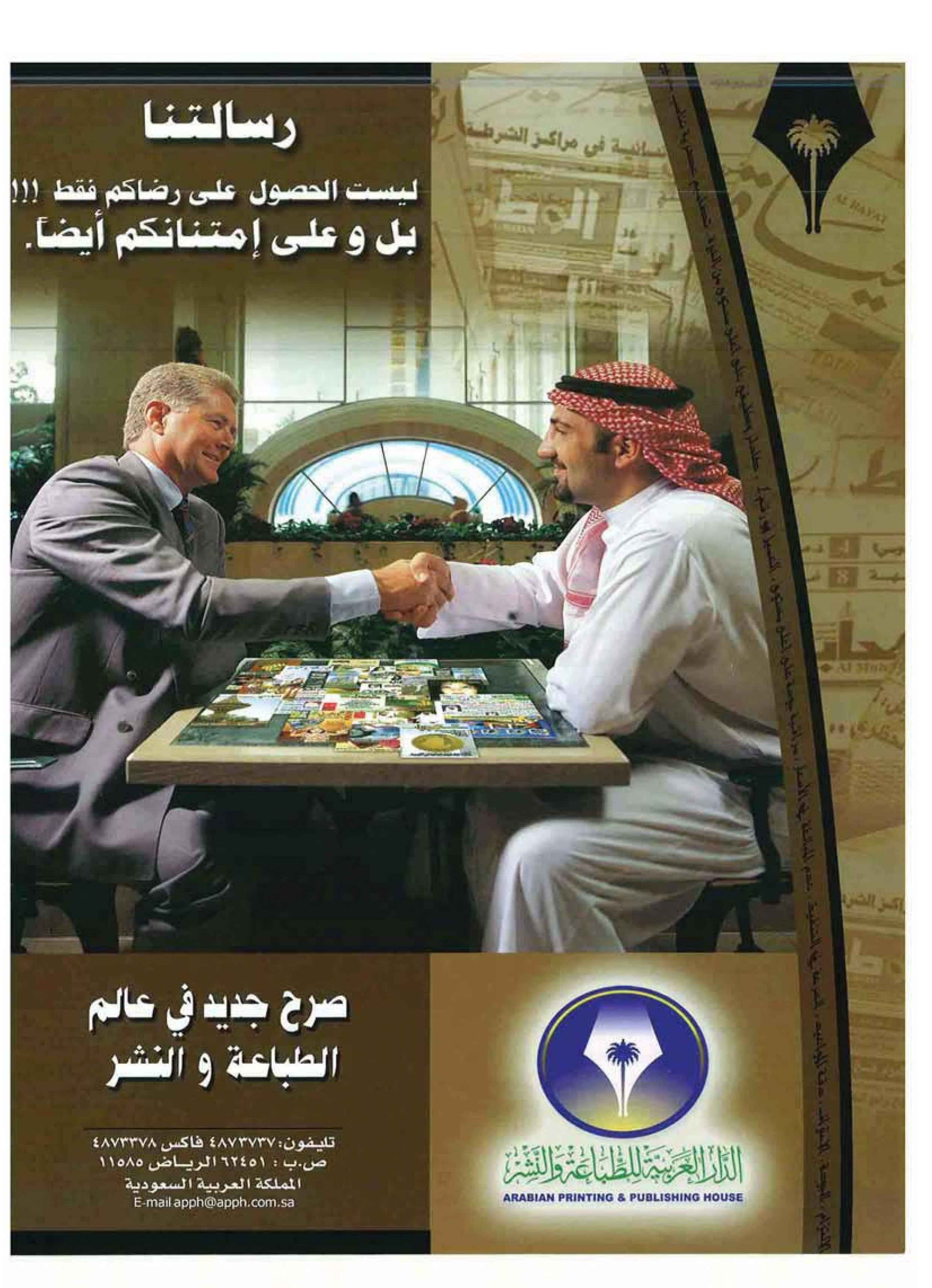
حتى في مجال الأجهزة المحمولة ذكر لنا أحد المراهقين، الذي لا يتجاوز عمره ١٦ ربيعًا، أنه يستطيع إرسال فيروسات من جهازه إلى اجهزة الهواتف المحمولة الأخرى، والتلاعب بها، كما يشاء، علمًا بأنه مقصر في واجباته تجاه والديه ومدرسته. فقد ذكر لنا الشاب أن علاقاته الأسرية غير مرضية (فهو في شجار دائم مع والده)، إضافة إلى انحدار مستواه التعليمي، نتيجة لكثرة غيابه عن المدرسة، وقد ابدى استعداده للتخلي عن هذه العادة السيئة في سبيل إرضاء والده ووالدته، واستعادة مستواه الدراسي السابق. فقد كان من ضمن المتفوقين في مدرسته. وقد طلب مني عدم ذكر اسمه لأحد؛ لأنه نادم على ما فعل. طلبت منه أن يذكر لي كيف نمّى هذه المهارة وإمكانية استخدامها في ما ينفع الناس، فذكر لي أنه يقضي معظم أوقاته على جهاز الحاسب، وتصفح مواقع الهاكر (الهجمات العسكرية) في الإنترنت للحصول على بعض الفيروسات التي من شأنها اختراق هواتف أصدقائه المحمولة. ولكي يُشبع رغبته (بإتقان مهارة الاختراق للمضادات الفيروسية) انضم إلى مجموعة (Group) عالمية لها الهدف نفسه، وتستمتع بأذى الآخرين ومضايقتهم. علمًا بأن جهازه الخاص تعرض مرات كثيرة إلى التخريب من قبل بعض أعضاء مجموعته.

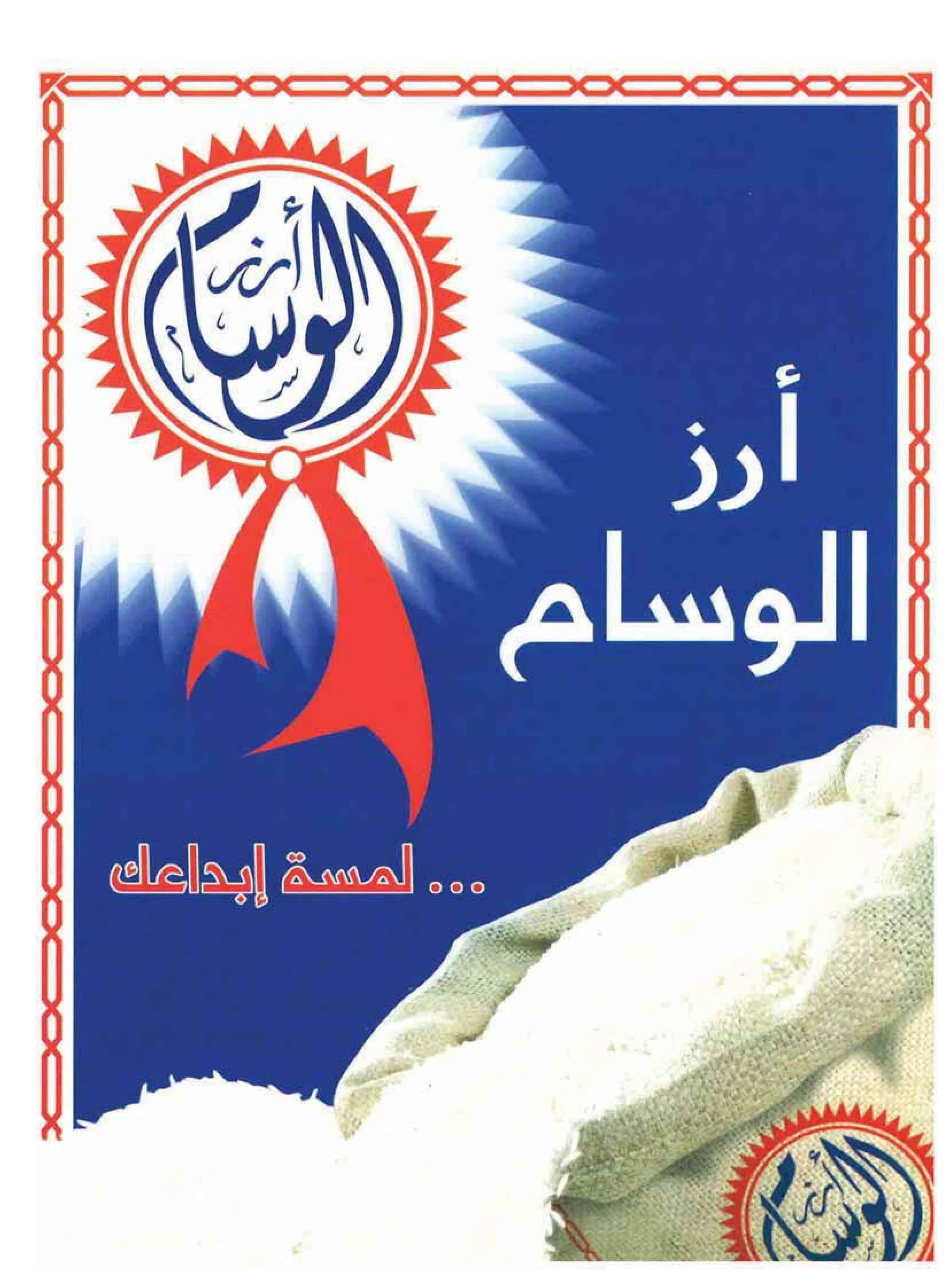
وقد أبدى معظم الشباب عدم استعدادهم للتخلي عن استخدامات التقنية (إنترنت، هاتف محمول، فضائيات، ألعاب السوني، ... إلخ)، وقد ذكر لي أحد المبدعين في مجال الإنترنت من فئة الشباب أنه يشعر بأنه يسبح في الفضاء عندما يدخل عالم الإنترنت؛ فهو يستطيع أن يلعب، وأن يتحدث، وأن يتعلم، وأن يتعرف، وأن يشتم ويسب في مكان واحد، ومن دون عناء التنقل.

هناك من أبدوا تذمرهم من سيطرة التكنولوجيا، وقالوا: إنهم يشعرون بالحرية عندما يبتعدون عن جهاز الكمبيوتر، ولكنهم في الوقت نفسه يحنون إلى الجهاز، ويفكرون دائمًا في ما سوف يقومون به عند فتحه. ذكر لي أحد هؤلاء أن والده حدد له الأوقات التي يستخدم فيها الجهاز للإنترنت؛ لأن فاتورة الإنترنت بلغت (حسب كلامه) ٢٠٠٠ ريال سددها والده، ويذكر لي الشاب نفسه أنه جعل جهاز الهاتف المحمول بديلاً عن الإنترنت في الأوقات التي يبتعد فيها عن جهاز الكمبيوتر. ومن هنا نستطيع أن ندرك مدى تأثير التقنية في أغلى فئات المجتمع (فئة الشباب)، فهم عماد الوطن، وسلاح المستقبل. فهم لك أو عليك، فهل نحسن توجيههم؟

ولكن، ولله الحمد، هنالك فئة واعدة، فقد وجدنا في دراستنا المتواضعة نسبة ٣٧٪ من العينات لديهم الميل الشديد إلى عدم استعمال الإنترنت للدردشة، والرسائل الإلكترونية، بل بلغ بهم الأمر إلى فصل جوالاتهم معظم الأوقات خوفًا من الرسائل القصيرة، وبعضهم غيَّر رقمه، حتى لا يستقبل رسائل أو مكالمات في أوقات المذاكرة، والاستعداد للامتحانات، وهؤلاء الطلبة معظمهم متميزون دراسيًا.

وأخيرًا أجد لزامًا علينا مراعاة أبنائنا، والحرص عليهم، وإبعادهم عن سيطرة التكنولوجيا (من أجهزة حاسب وغيرها) بين الحين والآخر، لاستعادة قواهم الطبيعية، وعدم تعرضهم لضغوط نفسية، وإجهادات عصبية.


رسالتنا
ليست الحصول على رضاكم فقط !!!
بل و على إمتنانكم أيضاً.
صرح جديد في عالم
الطباعة و النشر
تليفون: ٤٨٧٣٧٣٧ فاكس ٤٨٧٣٣٧٨
ص.ب : ٦٢٤٥١ الرياض ١١٥٨٥
المملكة العربية السعودية
E-mail apph@apph.com.sa
الدار العربية للطباعة والنشر
ARABIAN PRINTING & PUBLISHING HOUSE


أرز
الوسام
... لمسة إبداعك
أرز الوسام